بُولُونيا

بَينَ الماضِي والحاضِر

مع ٤ خرائط و٩٤ رسم



ترجمه الى العربية

يوسف اسعد داغر

باشراف اللجنة العالمية للاتحاد البولوني

١٩٤٧

بيروت ، لبنان

*

استهلال

ان التفاهم المتبادل بين الشعوب ، والا طلاع البالغ المشترك على ما تتصف به الامم من اخلاق ومناقب ، ومايهزها من مقاصد ومنازع ، وهتك تلك الستور المسدولة ، مهما كثفت اورقت ، وغلظت اودقت ، حديداً كانت اوهباباً من دخان ، تحجب الانظار وتصد الابصار ، كل هذا وما اليه ، من شأنه ان يؤول الى بعث روح جديدة ستغمر العالم بهجة وحبورا .

ان المكث الطويل في هذه الربوع العربية ، ولا سيا في لبنـــان هذا القطر العزيز الوسيم ، مهبط الوحي والالهام ، اتاح للالوف من المواطنين البولونيين ان يتعرفوا ، عن كثب ، الى مـــا تفردت به الامة العربية جمعاء ، من خلق كريم ولما اتصفت به من قيم وكفاءات، أعدتها اصلا، الدور العظيم الذي تُسهمُ به ، على قدر طاقتها ، في تنظيم السلام العالمي .

فالعرب والبولونيون ، شعبان صنوان ، يشدّ الواحد منها الى الآخر ، مجموعة طيبة من الاخلاق الاصيلة المشتركة ، مهما باعدت بينهما المسافات الجغرافية وفوارق الاقليم المتباينة . تعشق كل منهما الحرية والاستقلال وجفل نافرا اذا ما لاح القيد من بعيـــد ، ولو كانت سلاسله من ذهب . وقد أعدّا ، منذ الازل ، للعمل معا في جبهة واحدة مشتركة ، حفاظاً على الحق والحرية والعدل ، من كل طاغ غشوم ، تزيّن له النفس الاغضاء من القدسيات واخفات صوتهـــا او الخفض من جانبها .

طالما أنسنا من الصحب والاصدقاء الكثر ، بين لبنانيين ومصريين وسواهم ، رغبة صادقة في التعرف الى الامور البولونية والوقوف على دخيلة قضيتنا المقدسة ، والنفاذ الى وجوههـــا المتعددة . كيف لا وحلّ هذه القضية يشكل ، من الوجهة الحقوقية والادبية ، مقياسا صادقا لتفهم تلك القيم التي يتفتح عنها ، اليوم ، ضمير النظام الدولي .

وقد حدا بنا هذا العطف ، المرتسم على الوجوه في هذا الصحب الكريم من الاصدقاء في الشرق العربي ، الى نشر هذا الكتاب . فأسهم في إعداده فريق من رجـــال الاختصاص بين البولونيين، فتناهدوا في وضع الفصول المختلفة التي تعالج القضية البولونية وما يلابسها من حدثان تتعلق بتاريخ هذه الامة وحضارتها واشعاعها الفكرى ونشاطها السياسي ونظامها الاجتماعي واقتصادهاالوطني .

وجلّ ما نرغب فيه ونهدف اليه ، هو ان يثير هذا الكتاب ، في الاوساط العربية ، عـــلى اختلاف صعيدها ، تفها صحيحا لقضية ، جاءت بين ضمير التاريخ ، في مأتى الحق والعـــدالة الانسانية . فيؤدى بالتالي ، الى حـــلّ القضية الكبرى ، قضية تفاهم الشعوب لتساهم معاً في استقرار سلام دائم تعيش معه قريرة العين ، مطمئنة النفس ، رضية البال .

لجنة التحرير

أن من يرغب التعمق علمياً بدرس مشكلة بولونيـــا يستطيع الحصول على المعلومات العلمية من المعهد البولوني في بيروت .

معلومات جغرافية عامة

ملاحظات عامة

النواحي الطبيعية — يتخلل القارة الجبارة المعروفة بـ « اوراسية » سلاسل من الجبال الشواهق تعرف باسماء اجزائها المختلفة : الالب — والكربات — وحمالايا — والتايا . ويقع هذا الحاجز الجبلي الى الجنوب من تلك القارة بينما يقوم الى الشمال منه شبكة من البقاع تنبسط رقعتها المترامية الاطراف على مدى البصر . يقطع هذه السهول الى الشرق سلسلة من الجبال تنتصب من الشمال الى الجنوب سوراً عالياً هي جبال الاورال القائمة حاجزاً بين اوروبة وآسية .

المناخ : — وتكوّن منطقة جبال الالب الممتدة من الغرب الى الشرق الحد الفاصل بين منطقتين متميزتين منطقة الاقليم الحار والمنطقة المعتدلة لخضوعها لمؤثرات المحيط الهندى والبحر المتوسط ، وبين منطقة البرد المعتدلة التي تخضع لمؤثرات الاطلنطيك ولمجاري ارياحه الرطبة التي تهب من الغرب وللعناصر المناخية الشمالية وللمؤثرات الهوية من الشرق .

فتأثير مجاري « الغولف ستريم » على الشطآن الغربية والشمالية في اوروبة يلطف كثيراً في هذا القسم الغربي من اثر الرياح الباردة التي تهب من القطب الشمالي او من المناطق القارية في الشرق كل هذا يجعل البقاع الواقعة في هذه الناحية من القارة الاوروبية اكثر اعتدالاً من المناطق الاسيوية او الاميركية الموازية لها والتي هي معها على بعد واحد من خط الاستواء .

ظروف الحياة — وهذا المناخ يصلح جداً لازدهار الحياة النباتية والحيوانية ولاسيا لتلك الانواع التي تنعم بالراحة ، شتاء ، بخلاف تلك الحيونات الحارة الدم والجسم ، او تلك التي يكسوها الفرو الكثيف والريش الزاهي متحدية زمهرير البرد وتجمد المياه الباردة ، فيشتد قرها او يخف باختلاف البلدان والمناطق آخذاً بالارتفاع من اوائل تشرين الثاني حتى اواسط اذار .

فالقفار لا وجود لها في هذه المنطقة بل ، على العكس ، نجد فيها على الغالب ، بنسبة معتدلة ، قدراً كبيراً من الرطوبة يزيد احياناً عن حاجة الكائنات الحية يحتاج اليه الانسان في استثماره الارض واستغلاله لها . فهو يجد في هذه المنطقة ظروفاً جداً مناسبة للازدهار الطبيعي والعقلي وهذا لا يعني قط ان المناخ السائد فيها هو مناخ البحر المتوسط اللطيف اومناخ تلك الاقاليم التي

تسيطر عليها الارياح الموسمية التي تطفى على الانسان جواً دافئاً قد لا تشعر معه كثيراً باختلاف التغيرات الجوية . ففي هذه المنطقة من اوروبة الوسطى تقتضي الطبيعة من الانسان جهداً اكبر وقدراً من الاختبار والمعرفة يدرأ عنه غائلة البرد القارص، شتاء، والتغيرات الجوية القاسية الطارئة، كما انها تتطلب منه جهداً دائماً ليمد نفسه بما يحتاج اليه من الملبس الدافىء والمنزل الحار والمأكل الصالح .

ولهذه الاسباب لم تنشأ المدنيات الكبرى الاولى الا على شطآن البحر المتوسط او في الجنوب من القارة الاسيوية . وبعد ان تطور الانسان وبلغ درجة عالية من الرقي انتقل مركز الجذب للحضارة المادية والفكرية في العالم الى الاقطار الشمالية ، فاستقر اولا في اوروبة الغربية ثم في اوروبة الوسطى ومن ثم، عقب استعمار العالم الجديد، توطد في الولايات الاميركية المتحدة في اميركا الشمالية .

بولونيا من خلال الجغرافية والتاريخ

عمل الجليد : تنثني السلسلة الجبلية الجبارة المؤلفة من جبال الالب والكربات وحملايا وتتقوس حتى تدنو من شواطىء البلطيق بتفرعاتها المدعوة بجبال السوديت والكربات ، ويقوم الى الشمال منها سهل منبسط لا يأخذه الطرف ينبطح ممتداً من الشمال الغربي حتى شواطىء المحيط الاطلسي .

ففي الدور الجيولوجي الرابع ، اي في بدء هذا العهد الذي كان الصقيع يغطي القسم الشمالي من اليابسة ويجعل جو الاقليم فيه لا يطاق لشدة البرد ، كان القطب الشمالي يرسل نحو الجنوب عن طريق البلطيق، جباله الجليدية فيستقربها المطاف في اوروبة الوسطى ، حتى بلغ بعضها اقدام جبال الكربات متصلة بالصقيع الهابطة حقوله من تلك الجبال . وقد اخذت هذه الحقول الجليدية قاعدة لها ترتكز اليها الاقواس المتفرعة عن جبال الكربات والتي نشأ منها سلسلة نجاد البحر المتوسط . وقد خددت هذه الحقول الجليدية السهول الشاسعة الواقعة بين بحر البلطيق شمالا، والنجاد الكرباتوهضاب البحرالاسود جنوباً،فسحلتها سحلاً مكونة هنا وهناك،مرتفعات تحدث عما قام هنالك من تراكيب جيولوجية ، تاركة تلك الطبقات الغضارية والرملية وغيرها مما كانت تنقله بزحفها البطيء من الصخور والفلزات المعدنية، بعد ان جاءت بها من الاصقاع الشمالية . فاستقرت تلك المواد المختلفه وما اليها من رمال واتربة وصخور في قاع الارض وتوالت عليها طبقات عديدة ، الواحدة فوق الاخرى ، جاءتها من حقول جليدية جديدة تعاقب نزولها على تلك البقاع مدة آلاف من السنين .

وتتميز مناطق بولونية كثيرة بصخورها المحببة (غرانيت) جاءتها من سكنديفيا مع ما جاءها في الادوار الجيولوجية من حقول الجليد . وقد اخذت المياه الناشئة من ذوبان الجليد والصقيع تترك هي ايضاً اثرها في تلك المناطق ، تارة تصقل الارض وتمهدها ، وطوراً تحفر الاودية والمسايل شاقة طريقاً لها في منصرفها نحو البحر، تاركة على جنبات المجاري او في آخرها ما تحمله من الغرين والرواسب . وقد تعاونت مياه الامطار ومياه الجليد عند ذوبانه على سحل حقول الصقيع تدريجيا . فنشأ من ذلك ما نراه من الغدران والغياض والمستنقعات التي تتخلل سهول اوروبة الشمالية ومصاب بعض الانهر فيها .

موقع الاراضي البولونية — تقع الاراضي البولونية في القسم الوسط من تلك البطاح الفسيحة متجهة من الغرب الى الشرق وتتكون تخومها الطبيعية في الجنوب من جبال السوديت والكربات . وقد اتسعت رقعة الدولة البولونية في غضون تاريخها الالفي فبلغت في فترات مختلفة اقدام هذه السلسلة حيث ينبع نهر الاودير الذي يكون مجراه الاوسط الحد الطبيعي لبولونيا في الغرب .

جبال بولونيا — وقد كانت جبال الكربات، منذ اقدم العصور حتى يومنا هذا ، حدود بولونيا من الجنوب ، جغرافياً وتاريخياً وسياسياً فتتبع على خط مستقيم قمم هذه الجبال وذراها وتتعداها احياناً الى الجنوب . واهم سلاسل هذه الجبال سلسلة جبال تاتري (Tatry) سلسلة شاهقة شامخة صخرية التركيب تقع الى الغرب من الكربات ويبلغ اقصى علوها ٢٦٦٤ متراً واشد قممها ارتفاعاً في الاراضي البولونية ٢٥٠٠ متراً . امتازت بمناظرها الرائعة الفتانة التي لا نظير لها ليس في اوروبة بل وفي العالم كله وهي مكسوة بالاحراج الغضة والادغال الكثيفة تسرح فيها اسراب الظباء والغزلان والايلة . وفيها تجد نوعاً من الهررة البرية هي اقوى الانواع المعروفة في اوروبة على الاطلاق ، يمرح بين تلك الادغال الفهد والدب الاغبر ، مفزعة الاغنام والابقار . وقد تتكاثف الادغال بحيث يستحيل على الانسان النفاذ منها واجتيازها . يكثر فيها نوع من الشوح القزم يطفي على الريف الواناً من الخضرة المنعشة ترتاح العين للنظر اليها . وتنبسط هذه الاحراج صعداً في مرقى السلسلة الى علو يتراوح بين ١٠٠٠ — ٢٠٠٠ متر ، وهو العلو الذي نشاهد الارز في ما يشبهه من جبال لبنان والتين في فارستان من اعمال ايران .

ويعلو منطقة الاحراج هذه منطقة من المروج الخضراء تتوج صيفاً بقطعان الاغنام والسائمة على اختلاف انواعها ، ثم يليها صعداً على علو ٢٢٠٠ متر فما فوق منطقة صخرية جرداء يغشاها ثلج دائم ، يألف السكنى فيها الوعل الشرود والإروي المصفر واليربوع الجفول والنسر الصخري . لانجد في تلك الاعالي المندثرة اثراً لحقول الجليد التي كانت تغشاها في العصور الجيولوجية الخوالي

كما لا نجد فيها الا قليلًا من الثلوج المؤبدة . كيف لا وسفوحها كثيرة الانحدار تتقاطعها الوديان السحيقة الاغوار، المنتصبة جدرانها عمودياً وتقوم في بطن هذه الوديان حيناً الغدران وآونة الفياض والبرك والبحيرات . منها بحيرة مورسكي او كو اي عين البحر، تمتارها سيول جوارف، تقطع مسايلها صخور صم، فبدت عميقة الغور، صافية النمير ترقص اشعة الشمس على صفحاتها البلورية نشوى من اناشيد عرائس المياه .

ويتخلل الوديان انهار تنساب بين الاعشاب والاقحوان انسياب الافعى، تتدافع مياهها بين الصخور الملساء، وتسمعك نشيداً يغلظ ويدق وينعم ويسترق، اذا ما هوى مزبداً في الشلال او جرى متهدلا في الارض اللينة .

والى جنبات الوادي فجوات حالكت ظلمتهافاذا بها فوهات المغاور يأوي اليها الدببة وتستبين فيها آثاراً تعود الى ما قبل الطوفان والعصور الحوالي، اي الى ما قبل التاريخ. ويقصد هذه الجبال هواة الرياضة البدنية والمغرمون بتسلق الجبال وبالتزلج على الثلج وقد اصبحت شهرتها عالمية يؤمها الغواة من جميع اقطار العالم .

اما القسم الشرقي من سلسلة جبال تاتري (Tatry) فهو أشد ارتفاعاً من الغربي ويتألف من مجموعة من صخور بدائية ترتكز على طبقات جيولوجية صوانية الصخر حديثة العهد، بينما يتألف القسم الغربي من صخور كلسية .

وفي الطرف الاقصى من جبال الكربات، الى الشرق تنتصب سلسلة من المرتفعات تعرف بجبال تشرنوخوفا (Czarnohora) تحتل المرتبة الثانية في البلاد من حيث الارتفاع، اذ يتجاوز علوها ٢٢٠٠ متر، هي مركز ممتاز للتزلج على الثلج وللاصطياف صيفاً . يكسو القسم الواطي من هذه الجبال احراج فسيحة ويغشي القسم المرتفع مروج خضراء، والفاصل بين القسمين زنار من اشجار الدفلي الجبلي وهي المعروفة في جبال الالب « بورد الجبل » . ويتفرع من جبال الكربات سلاسل ثانوية اخرى يبلغ علوها احياناً ١٨٠٠ متر، صعبة المجاز عادة، يتخللها معابر ضيقة تفضي الى السهول الواقعة جنوباً . تصلح هذه الجبال في قسمها السفلي للزراعة حيث تنبسط الحقول الخضراء . اما العلوي منها فمكسو بالاحراج والمراعي الخصبة . وبعض هذه الغابات كان عام ١٩٣٩ من اغنى الاحراج بانواع الصيد، يكثر فيها الغزلان والخنازير البرية والدببة وغير ذلك من الحيوانات .

الطبقات الارضية — وتتكون الاقسام الخارجية الواقعة الى الشمال من الكربات والمنبسطة على اقدامها، من تراكم طبقات بحرية قليلة العمق ترجع الى العصر الجيولوجي الثالث (Flish)

وتحتوي على فلزات بعض المعادن التي لا تقوّم بثمن لبولونيا . ويقوم في الاقسام الغربية، جنوبي كراكوفيا، مناجم الملح الواقعة قرب فيالتشكا (Wieliczka) التي تستثمر منذاقدم العصور وتحوم حولها كثير من الاساطير والخرافات الشعبية. وتمتد سراديب هذه المناجم تحت الارض الى اكثر من ٣٠ كيلومتراً، يقوم فيها المعابد والكنائس والصالات الكبيرة لخدمة العمال . وكل ما فيها يدل على ان ثروتها لا تنضب .

ويقوم في وسط هذه الطبقة الصخرية، الى الشرق، حقول النفط او البترول الوحيدة من نوعها في بولونيا . اخذ الانسان في استثمارها منذ عهد سحيق ولعلها من اقدم ما استثمره الانسان في العالم. ويقوم في وسط هذه المنطقة البترولية المدينة البولونية دروخوبتش (Drohobycz) المعروفة بنشاط حركتها منذ اواسط القرن التاسع عشر . فقد اخترع الصيدلي اغناطيوس لوكاشفتش (Lukasiewicz) اول قنديل غاز للانارة، كان اول خطوة للنهوض بصناعة النفط، هذه المادة التي اصبحت عصب الصناعة الحديثة ومثاراً للمشاكل السياسية وللحروب بين الامم والشعوب.

كان ما تنتجه حقول النفط البولونية في مقاطعة غاليسيا في السنين الاخيرة محدوداً جداً وبمقادير ضئيلة اذا ما قيس بجبابرة النفط في العالم وبما ظهر من حقوله الغنية في القوقاز وايران والعراق والهند الهولندية والولايات المتحدة ورومانيا . فالانتاج البولوني، اذا ما قيس بالمقادير الجبارة من النفط ومشتقاته التي تنتجها الولايات المتحدة وروسيا هو نقطة من بحر . ومع ذلك فالخمسمائة الف طن التي كانت تدرها البلاد سنوياً من النفط الخام تكون عنصراً هاماً في التوازن الاقتصادي في البلاد وتؤمن وسائل الدفاع عن بولونيا . وقد دلت الدروس الجيولوجية وما رافقها من حفر آبار جديدة على ان معدل الانتاج البولوني من البترول سيحافظ على نسبته مدة طويلة.

وتحوي الطبقة النفطية، عدا ما تحويه من البترول، معادن اخرى نادرة، منها الشمع الحجري (Ozocérite) ومقادير كبيرة من الغاز كان يستعمل لاغراض تجارية . ويشتمل الجزء الشرقي من بولونيا بالقرب من الكربات ثروة لا تقدر من املاح البوتاس تقع مناجمها على مقربة من مدينة لفوف. ولم يباشر باستثمار هذه المناجم الا بعد ان نالت البلاد استقلالها سنة ١٩١٨/١٩٢٠. وقد اخذ انتاج هذه المناجم يرتفع، سنة فسنة، بين ١٩٢٩/١٩٣٩ حتى اصبح في آخر هذه المدة ضعفي ما كان عليه اولاً، ويعد البلاد بامكانيات لا حد لها تنافس جدياً ما تنتجه المناجم الالمانية القائمة على مقربة من ستراسفورت، كما يمكن من تصدير مقادير جسيمة منه . وكانت املاح البوتاس هذه تمزج على اسس فنية بمواد كيماوية اخرى حسب الطريقة العلمية التي وضعها الاستاذ موشتشكي (Moscicki) الذي اصبح فيما بعد رئيساً للجمهورية البولونية وتوفي في سويسرة سنة ١٩٤٦، فتعطي مقادير كبيرة من السماد الكيماوي وهو احد اركان الزراعة العلمية في بولونيا .

السهول والهضاب — وكانت المقاطعة الكورباتية المذكورة تحتوي، فيما تحتويه من المعادن الثمينة، ينابيع معدنية متنوعة الجنس يقصدها الزوار والمرضى من جميع الجهات بعد ان جهزت باحسن الانشاءات العصرية.

ويفصل هذه المنطقة من الشمال المجرى العلوي لنهرين عظيمين هما الفستول (Vistule) الذي يصب في بحر البلطيق والدنيستر (Dniestre) الذي يردف البحر الاسود، فيجتازان بلاد لا تتعداها حدود بولونيا الجغرافية. يسيل الفستول في واد عريض رسوبية التربة هي من اخصب الاراضي في بولونيا، تتوسطها عاصمة البلاد قديماً مدينة كراكوفيا (Krakow) المشهورة اما الدنيستر، فيسير اولا في واد رحبة الجنبات، الا انه لا يعتم ان يدخل غوراً ضيقاً وحشي المنظر جعل الرواد وهواة الرياضة يقصدونه من كل حدب وصوب فكان، قبل ١٩٣٩، اكثر الانهار مزاراً. واذا انحدرنا متجهين نحو السهول المنخفضة شمالا رأينا منطقة من التلال قليلة الارتفاع وهضبة تمتد من حدود بولونيا الغربية الى الشرق والشرق الجنوبي، يتراوح عرضها حتى منعطف الكوربات جنوباً بمعدل ٢٠٠ كلم، ثم تتسع الى الشرق وتمتد جنوباً فتكون مرتفعات البحر الاسود وبلاد اوكرانيا حيث يتراوح ارتفاعها بين ٢٥٠—٣٥٠ متراً ويتخللها، حيناً بعد حين مرتفعات تبلغ ٤٠٠ الى ٥٠٠ متر ويقوم في القسم الوسط، ظاهراً متميزاً، قمم الجبال المعروفة بجبال « الصليب المقدس » البالغ ارتفاعها ٦١١ متراً وهو اكبر ارتفاع نراه بين الكوربات وجبال الاورال. واهم اقسام هذه المنطقة إبتداء من اقدام جبال السوديت، هي مقاطعة سيليزيا الغنية بما تحويه من المعادن الوافرة ومناجم الفحم والقصدير والحديد، ومقادير ضئيلة من الرصاص والفضة التي جعلت من هذه المقاطعة منطقة من اهم المناطق الصناعية في اوروبة. وقد بذل العلم والفن الالمانيان جهوداً جبارة «لجرمنة» هذه المنطقة بعدان اغتصبها الالمان عنوة وحكموها مئات السنين، فذهبت جهودهم سدى، وبقيت هذه المنطقة التي تعد تاريخياً مهداً للدولة البولونية، تتطلع ابداً الى الوطن الام، يلتهب سكانها الكثيرون بصدق الوطنية وبالاخلاص الوطيد لبولونيا.

ويلي مقاطعة سيليزيا جبال الجورا عند مدينة كراكوفيا. وهي ارض قليلة الخصب قاحلة فيما الوديان الغناء التي ترتدي حلة سندسية من العشب الاخضر، حيث يقوم مراكز صناعية هامة تعنى بصنع الزجاج والنسيج وخلاف ذلك من المواد الصناعية. وقد كان صعيد كراكوفيا فيما مضى، غنياً بمناجم الفضة والرصاص. اما اليوم فقد نفدت هذه الثروة منذ عهد بعيد. فتجد في وقتنا الحاضر عند اقدام جبال الصليب المقدس مناجم النحاس والرخام الغالي الثمن. ويتألف القسم الجنوبي من هذه المنطقة من رواسب غرينية تعرف بلغة العلم (Loess) صالحة جداً للزراعة. والى شرق هذه المنطقة تقوم منطقة اخرى يفصل بينهما مجرى نهر الفستول الوسطي،

هي عبارة عن مرتفعات كلسية خصبة التربة تصلح للصناعة السكرية ، مثل مقاطعة بودولي وفوليني . ويلي هذه المقاطعة الى الشرق والجنوب الشرقي ، هضاب البحر الاسود ، وهي مرتفعات صوانية القاعدة يعلوها طبقات حديثة التكوين ، سوداء التربة تمتد مساحات شاسعة هي اخصب ارض في العالم على الاطلاق . في هذه المقاطعة تنتهي حدود بولونيا الشرقية الجنوبية ، فتتاخم مجرى نهري الدنيبر والديناستر . الا انه لو وقفت حدود بولونيا عند هذا الحد ، فما لا شك فيه ان المؤثرات الفكرية والسياسية والاقتصادية التي تنبعث عن الامة البولونية قد تجاوزت هذه الحدود وتعدتها شرقاً جنوباً عبر الدنيبر حتى شطآن البحر الاسود . فمدينة اوديسا ، الرابضة على شاطىء هذا البحر الاسود انشأها في القرن الثامن عشر ، باسم « كوتشوبين » احد الاشراف البولونيين . وكان يقوم حتى ١٩١٨ ، شرقي نهر الدنيبر معامل ومصانع اصحابها بولونيون يملكون في تلك الناحية اطياناً شاسعة كما كنا نرى فيها مزارعين وجاليات بولونية . وكان الفلاح الاوكراني ، كلما اراد ان يعبر ضفة الدنيبر اليسرى الى الضفة اليمنى ، يقول : « عبرت الى بولونيا ، مع ان بولونيا لم يكن لها اذ ذاك استقلال ناجز . وكنا نرى الظاهرة نفسها في حكومة سمولنسك الروسية ، احدى جمهوريات الاتحاد السوفياتي اليوم ، حيث تسمع الروس يرددون اسم بولونيا ، وهم انما يعبرون بهذا المسمى عن الوطن البولوني الواقع غربي هذه المقاطعة ، مع الملاحظة ان البولونيين فيها قليل عديدهم .

الحدود البولونية — وعلى عكس الحدود الجنوبية ، لا نرى في السهول الواطية والمرتفعات المنخفضة القائمة في الشرق اي حد جغرافي او ثقافي ، بين البولونيين والشعوب المجاورة لهم الذين لا يختلفون عنهم باللغة والاصل . فالطبيعة والتاريخ اتفقا معاً على تعيين مدى الاشعاع الثقافي والتوسع الجغرافي الذي بلغته الامة البولونية عبر الدهور . فنهر الدنيبر كان حداً فاصلاً وقفت عند ضفته اليمنى رقعة المملكة البولونية ، وبلغت ضفته اليسرى مملكة موسكو او الروسيا ، وتسير حدودهما المشتركة حتى تشرف على البحر الاسود من خلال البطاح المنبسطة على شطآن هذا البحر ، تلك البطاح التي لم يسكنها الى القرن الثامن عشر سوى قبائل ، ابداً مستعدة للحروب والرحيل ، لتعرضها الدائم لغزوات التتار والمغول .

قطن القسم الشرقي من هذه السهول الفسيحة التي كانت فيما مضى ، ضربا لقبائل السكيثيين اجناس من ذراري المغول والتتار ، بينما عمر القسم الغربي منها اناس تحدروا من عرق بولوني روتاني عرفوا بالقوزاق اليوم . وقد اطلق اهل هذا العصر على الاخير منها اسم «اوكرانيا» اي الاطراف ، اشارة الى التخوم البولونية الشرقية واطرافها النائية . وقد شاء ان يحمله منذ اواسط القرن التاسع عشر الروتانيون تمييزاً لهم عن الروس سكان مملكة موسكو .

المناخ والاقليم ــ اذا ما نظرنا الى الامور التي تتعلق بالمناخ في اوروبة، نرى ان الاشعاع الفكري البولوني في الشرق، يقف حيثما يتضاءل كل اثر للعوامل الجوية الناتجة عن المحيط الاطلسي. ويمتد الى الشمال، على خط موازٍ للسهول وسلسلة الهضاب التي اتينا على وصفها، منطقة السهول الواطية الفسيحة الارجاء. فلبولونيا من الشمال والجنوب حدود طبيعية واضحة المعالم: هي جبال الكربات جنوباً والبحر البلطيق شمالا. اما من الغرب والشرق فلا معالم طبيعية تحدها، ولهذا خضعت الاراضي البولونية والحضارة البولونية، من هاتين الناحيتين، لعوامل جغرافية ومؤثرات تاريخية.

المعنا سابقاً، ان الحدود البولونية في الشرق تتصل بمجرى الدنيبر، اقصى مدى تبلغه مؤثرات المحيط الاطلسي من هذه الجهة. اما من الوجهة البشرية، فالعرق البولوني يختلط هنا، باجناس تشابهه عرقياً باللغة والاصل، كما اخذت تحاكيه، منذ اواخر القرن التاسع عشر تطوراً قومياً، وبعضها منذ القرن الخامس عشر: كالاوكرانيين والروتانيين البيض. فالحدود اذن هنا، متجرجحة من الوجهة السلالية والعنصرية، وهي على عكس ذلك واضحة الخط في الغرب، من الوجهة العرقية او العنصرية، بالرغم من المساعي التي بذلها الالمان، في عهد النظام الهتلري وما سبقه من انظمة الطغيان الاخرى، لتعمية هذا الخط عن طريق هجرة المانية كثيفة. فالبولوني هنا يعايش عنصراً آخر مختلفاً عنه تمام الاختلاف من الوجهة اللغوية، هو العنصر الالماني. وبالرغم مما يجري من الدم السلافي في كثير من الاجناس الساكنة الى الشمال الشرقي من المانيا، وبالرغم مما يحمله كثير من الاسر البولونية من اسماء المانية تشير الى تباين الجدود، فالاختلاف العنصري في الغرب هو اشد بكثير مما هو في شرقي بولونيا.

ان الاراضي الالمانية الواقعة الى الشمال الشرقي وماإليها من سهول حوض نهر الالب (Elbe) حتى تبلغ مدينة همبورغ وهانوفر، اي كل السهول الواطية الواقعة شمالي المانيا، كان يقطنها في الاجيال الوسطى، سلافيو الغرب الذين يجمعهم والقبائل التي انشأت الامة البولونية عناصر اللغة والقربى. ومن بقاياهم في اوروبة الوسطى: التشيك والسلوفاك وجالية صغرى بالقرب من برلين على نهر السبراي (Sprée) . فالجزء الشمالي من هذه القبائل فصل ما بين النواة الاصلية للشعب البولوني والبحر البلطيق، ثم اتحد سياسيا وقومياً، ببولونيا في القرن الثاني عشر والثالث عشر. اما العناصر الاخرى من هذه الشعوب، فلم تقو بالرغم مما عرفت به من بأس، على المحافظة على كيانها، فامتزجت في اواسط القرن الرابع عشر بالاكثرية الالمانية. وقد توقف التوسع الالماني الى الشرق عند ضفاف نهر الاودير، حيث وقفت العناصر البولونية، في وجهه سداً منيعاً من الوجهة السياسية والقومية.

وعلى العكس، ان مقاطعة سيليزيا هي مقاطعة بولونية صرفة، من الوجهةالعنصرية او الجنسية بالرغم من انفصالها سياسياً عن الوطن الام، مدة سبع مائة سنة . وقد انقسمت عـام ١٩١٨ من الوجهة القومية . ولما أعيد معظمها الى الوطن شكلت مع المقاطعات المجاورة وحدة تامة من الوجهة الفكرية والاقتصادية .

وفي الشمال، كانت حدود بولونيا قريبة جداً من الهروسيين،الذين تربطهم بالليتوانيين روابط الجنس وقد قضى عليهم الفرسان التوتونيون . وما كاد يشغر محلهم حتى توافد اليه مستعمرون جدد اتوا من المقاطعة البولونية المجاورة « فارسوفي (Warszawa) وقاعدتها فارصوفيا . ومع انه قام على انقاض امارة الفرسان التوتونيين المملكة الهروسيانية البروتستانتية الجديدة ، فقد لبث سواد الشعب هنالك من العنصر البولوني .

واقصى الى الشمال الشرقي ، كانت المقاطعة البولونية تلاصق اراضي الليتوانيين الذين انضمت مملكتهم الى بولونيا، فتألفت منهما دولة واحدة مستقلة، تساوت فيهاحقوق الجميع . وقدصهرت هذه الدولة في وحدتها اقليات صغيرة وعناصر مختلفة من الليتوانيين والروتانيين وذابت جميعها في بوتقة وطنية واحدة

الدولة البولونية الحديثة

الماضي — ففي هذه الرقعة من الارض التي اتينا على وصفها فيما تقدم ، ترعرعت الدولة البولونية ، منذ اقدم العصور، تتسع تارة ، حتى تضم العناصر المجاورة والمتماثلة حضارة وسلالة ، وتنكمش ، طوراً بحسب الانقلابات السياسية . واليك جدولاً واضحاً باهم التطورات الجغرافية والتقلبات الاقليمية التي المت ببولونيا ، على مر العصور،ولا سيما بين ١٠٢٤ — ١٩٣٩ من التاريخ المسيحي

السنة	المساحة بالكلم المربع	مساحتهامع البلدان المنضمةبالكلم المربع
١٠٢٤	٣٣٣،٠٠٠	
١٤٠٢	١،١١٥،٠٠٠	١،٢٦٣،٠٠٠
١٦١٨	١،٠١٧،٠٠٠	١،٠٧٦،٠٠٠
١٧٧٠	٧٣٣،٥٠٠	٧٥٥،٠٠٠
١٧٧٣	٥٢٠،٠٠٠	٥٤٢،٠٠٠
١٧٩٣	٢١٢،٠٠٠	
١٩٣٩	٣٨٩،٧٢٠	

من الثابت انه لم يقم خلال القرن التاسع عشر دولةبولونية مستقلة بالمعنى المتعارف. انما قام فيها بعض انشاءات سياسيةلم تعمرطويلاًتمتعت بشيء من الاستقلالالاداري، منها مثلاً: دوقيةفارصوفيا التي انشأها نابوليون (١٨٠٧ — ١٨١٥) ومملكة بولونيا التي انشأها مؤتمر فينا، متحدة مع روسيا (١٨١٥ — ١٨٣١)، وجمهورية كراكوفيا الصورية (١٨١٥ — ١٨٤٦) وهي ايضاً من منشآت مؤتمر فينا (١٨١٥).

وبلغت مساحة بولونيا في عصورها الزاهرة، ستة اضعاف مساحة سورية، وما يزيد عن ضعفي مساحة مصر بقليل (بما فيها الصحراء)، وثلاثة اضعاف ونصف مساحة العراق، وضعفي مساحة فرنسة في الوقت الحاضر. وقد كانت مساحة بولونيا عام ١٩٣٩ ما يوازي ضعفي مساحة سورية ولبنان مجتمعين، اومايعادل مساحة العراق وشرقي الاردن. فانت ترى ان الدولة البولونية الحديثة كانت تفوق الدول العربية مجتمعة باستثناء المملكة العربية السعودية ومصر، والدول البلقانية منفردة، وتشيكوسلوفاكيا، وهنغاريا وايطاليا وبريطانيا العظمى (٢٤٥ الف كيلو متراً مربعاً) ونروج. فكانت بولونيا تأتي في المرتبة السادسة، بعد فنلندة بين الدول الاوربية من حيث المساحة اذا ما استثنينا روسيا.

الموقع والحدود — فمي الدولة البولونية الحديثة التي قامت بين ١٩١٩ — ١٩٣٩ ضربنا صفحاً

اولاً — في الغرب — عن ذكر القسم الالماني من مقاطعة سيليزيا البولونية الاصل.

ثانياً — في الشمال — عن عدد من الاقضية بولونية الاصل في الاساس، تركتها معاهدة فرساي للرايخ الالماني. بينما وضع لمرفأ دانتزيغ الهام، الواقع على مصب الفستول نظام خاص مع ما اليه من الضواحي، تحت سيادة بولونيا الاسمية ومراقبة جامعة الامم.

ثالثاً — في الشرق الشمالي — عن ليتوانيا بالمعنى الحصري التي انضمت فيما مضى الى بولونيا فالفت معها عنصرياً دولة واحدة.

رابعاً — في الشرق والجنوب الشرقي — عن الاقسام الشرقية في روتينيا البيضاء، وبوليزيا وفولينيا والقسم الاعظم من بودوليا.

خامساً — عن القسم الغربي في اوكرانيا بالمعنى المعروف هذا القسم الذي كان ابداً، في العهود التاريخية الماضية قسماً من الدولة البولونية.

وبلغت حدود بولونيا الحديثة حدودها التاريخية والطبيعية، فقط في الجنوب على خط مواز للكربات. وبلغت في الشمال شواطىء البحر على خط بلغ طوله ١٤٠ كيلومتراً فقط. ولم يدخل ضمنها بين ١٩١٨ — ١٩٣٩ احد من تلك الدول التي كانت تابعة لها من قبل.

احتلت بولونيا في اوروبة موقعاً مركزياً تراوحت حدودها بين الدرجة ٥٠ والدقيقة ٤١ وبين الدرجة ٤٧ والدقيقة ٤٤ من خط العرض،ووقعت بين الدرجة ١٥ والدقيقة٤٧— والدرجة ٢٨ والدقيقة ٢٢ من خط الطول شرقيغرينويتش . فبلغ اقصى عرضها ٨٦٤ كيلو متراًواقصى طولها ٩٠٨ كيلومترات .

وكانت حدودها من الوجهة الستراتيجية رديئة للغاية تمتد على طول٥٥٤٨ كيلو متراً فيصيب الكيلو متر الواحد طولا ، ٧٠ كيلو متراً مربعاً ، منها ٢٥ كلم حدود بحرية ، ليس الا . وكان يجاورها عدوان وخصمان عنيدان هما المانيا والاتحاد السوفياتي . وكان بينها وبين المانيا حدوداً مشتركة تمتد ١٩١٢ كيلو متر ، وبلغت هذه حدود ، عام ١٩٣٩ ماطوله ٢٦٣٨ كيلو متراً . امابينها وبين الاتحاد السوفياتي فقد بلغ طول الحدود المشتركة ١٤١٢ كيلو متراً فكان نسبتها عام ١٩٣٨ بمعدل ٥، ٣٤ ، و ٥، ٢٥ بالمائة بينما بلغ هذا المعدل ، سنة ١٩٣٩ ما قيمته ٥، ٤٧ ، و ٥ ، ٢٥ اي ٧٠ بالمائة من مجموع طول الحدود . وما تبقى توزع على دول اخرى صغيرة لاحول لها ولا طول . وقد زاد هذه الحالة سوءاً السياسة الخرقاء التي تمشى عليها ساسة الدول بايجادهم على كيفية غير طبيعية ، تتوين بارزين في كل من بروسيا الشرقية وسيليزيا الالمانية . وكانت حدود بولونية طبيعية الا ما جاء منها في الكربات . وفي منطقة ضيقة تقع على شواطيء البحر وفي منطقة اخرى على ضفةنهر الدفينا (Dvina) وهذه الاخيرة مشتركة بينها وبين ليتوانيا تقوم وراءها مناطق بولونية هامة .

وكانت الحاميات الضعيفة المناط بها امر الدفاع عن الحدود هي نقطة الضعف الحساسة في الستراتيجية البولونيه ، لانها لم تكن لتحول دون الغزوات الجرمانية غرباً ، والغزوات المغولية والمسكوبية شرقاً ، والخطر التركي في الجنوب .

وقد دفعت الدولةالبولونية غالياً ثمن الدور التاريخي الذي مثلته دفاعاً عن الحضارة الاوروبية وحضارةالبحرالمتوسط،لاسياوانالدفاع عن الشعوب السلافيةمن الخطرالالماني كان احداهداف رسالتها .

ومن حسنات هذه التخوم المفتوحة ان بولونيا والبولونيين ساعدوا على انتشار الحضارة الاوروبية وحضارة البحر المتوسط في الشمال الشرقي ، اذ ان الطرق الطبيعية للتجارة تجتاز بولونيا من الجنوب الى الشمال ، وهي الطريق المعروف عند الرومانيين بطريق الكهربا ، ومن ايران والبلدان العربية شرقاً الى الغرب، مارة بقواعد البلاد الكبرى مثل لفوف ولوبلين وكراكوفيا

النواحي الطبيعية — وتتكون السهول المنخفضة في بولونيا من مقاطعات تخترقها من الشمال الى الجنوب مجاري انهر الفارتا والفستول والبوخ والنيمن ، كما يتكون جنوبي النهر الاخير من مستنقعات تقنيها روافدالبريبت الذي يصب فيالدنيبر بعد ان تأخذ الارض بالانحدار تدريجياً . وتبدو

منطقة الغياض هذه جميلة المنظر، وقد شبهها هواة الصيد الانكليز بادغال الهند لكثرة ما فيها من الطيور والحيوانات. ويقوم في هذه المنطقة عدد كبير من البحيرات الرائعة تنتشر حواليها مساحات شاسعة من الاحراج التي لم تطأها اقدام الانسان حتى عام ١٩٣٩ .

وكذلك تنقسم منطقة الهضاب الشمالية الى وحدات جغرافية تكثر فيها مئات البحيرات واكوام من الحصى هي اثر باق من حقول الجليد. وقد اشتهرت منطقة البحيرات خاصة «بحيرات مازوريا» اثناء الحرب الكونية الاولى، وهي جزء من المانية حتى عام ١٩٣٩ وتنظر الدوائر الدبلوماسية اليوم في امر ضم جزء منها الى بولونيا .

وتمتد منطقة البحيرات هذه عبر الحدود الليتوانية واللتونية، وقد امتازت البحيرات البولونية فيها ولا سيما بحيرات اوغستوفو المحاطة بالاحراج والغابات الشاسعة، بعمق مياهها وبانواع نادرة من الاسماك .

فباستثناء جبال الكربات البولونية التي يبلغ اقصى ارتفاعها ٢٥٠٠ متر ترى المرتفعات البولونية الاخرى لا يتجاوز علوها ٩٥٠ متراً فسلسلة جبال سانت كروا (٦١١ متراً) هي اعلى جبال تقوم بين الكربات والاورال. وقد كان معدل ارتفاع الاراضي البولونية، عام ١٩٣٨، ماهو ٢٢٣ متراً بينما يبلغ هذا المعدل في اوروبة ٣٣٠ متراً، وفي افريقية ٦٦٠ متراً وفي آسية ولبنان والبلدان العربية ١٠١٠ امتار.

تبلغ نسبة الاراضي البولونية كما يلي :

٣ بالمئة لما يبلغ ١٠٠٠ متر فما فوق .

٣ بالمئة لما هو بين ٥٠٠ — ١٠٠٠ متر

٩ بالمئة لما هو بين ٣٠٠ — ٦٠٠ متر

٤٧ بالمئة لما هو بين ١٥٠ — ٣٠٠ متر

٣٨ بالمئة لما هو دون ١٥٠ متر

نظام المياه في بولونيا — يقع معظم الاراضي البولونية في مجتمع مياه البحر البلطيق واعظم نهر يقوم فيها هو نهر الفستول الذي تمده بالمياه ٤٦ ، ٢ بالمئة من مساحة هذه البلاد. وهو وحده بين الانهر الكبيرة ينبع ويجري في بولونيا الا في مصبه الذي جعلته السياسة ضمن نطاق مدينة دانتزيغ الحرة

وتملك بولونيا ١٢ بالمئة من مجرى نهر الاودير و ١٣ ، ٢ من مجرى نهر النيمن الاعلى و ٢٤٧ بالمئة من مجرى نهر الدفينا الاوسط وكلها يصب في بحر البلطيق . اما الانهر التي تصب في البحر الاسود فانها تسقي ٢٥ بالمئة من الاراضي البولونية يصيب منها نهر الدنيبر بواسطة رافده البريبت ٨ ، ١٥ بالمئة ، والدنيبر الاعلى ٨ ، ٢ بالمئة والدانوب بواسطة البريبت ٤ ، ١ بالمئة ولا تسقي الانهر الصغيرة على سواحل البلطيق سوى ٥ ، ٠ بالمئة من مجموع الاراضي البولونية .

والفستول هو اكبر طريق نهرية بين الانهر التي تصب في بحر البلطيق ، اذ يبلغ طوله ١٠٦٧ كلم

(الفرات ٢٨٦٠ كلم ، الاردن ٢٦٥ كلم ، النيل ٦٥٠٠ كلم ، الرين ١٣٠٠) . ومما جعل استثمار هذا النهر عسيراً قيام مدينة دانتزيغ الحرة عند مصبه لا سيا وهي تتمتع باستقلال صوري كثيراً ما تسترت وراءه المطالب القومية الالمانية المتنافية مع مصالح كل من بولونيا ودانتزيغ نفسها ، الامر الذي حدا الى بناء مرفأ جدينيا الكبير . وان عدم انتظام مياه الفستول حمل اولياء الشأن على انشاء سدين في رافدين من روافده الجبلية كان من شأنهما امداد البلاد بمقادير كبيرة من الفحم الابيض . وفي سنة ١٩٣٩ كان العمل فيهما اوشك ان ينتهي .

وكان يصل الفستول بنهر الاودير قناة هامة، كما ان الهمة كانت منصرفة الى اصلاح الاقنية العائدة الى القرنين السابع عشر والثامن عشر والواصلة حوض الهريبت والنيمن بحوض الفستول . وهنالك مشروع يرمي الى وصل الدنيستر بالفستول وبالتالي ربط البحر الاسود ببحر البلطيق عن طريق رومانيا وبولونيا ، وهو من المشاريع التي لا بد ان يكون لها دوي عالمي .

ويوجد في بولونيا مئات من البحيرات بين كبيرة وصغيرة اهمها بحيرات ناروتش Narocz اذ تبلغ مساحتها ٨٠.٢٦ كلم مربعاً ، وكلها يتمتع بميزة خاصة لوفرة الاسماك وروعة المناظر الطبيعية يقصدها هواة الرياضة الشتوية .

الاقليم او المناخ — تقع بولونيا في المنطقة الباردة المعتدلة في اقصى ما تبلغه مؤثرات المحيط الى الشرق حيث تأخذ بالامتزاج والاختلاط مع المؤثرات البرية الصادرة عن القارة الاوراسية واقاليم البحر الاسود . فاقاليم المنطقة الساحلية كان بحرياً واضحاً يتأثر بجو البحر البلطيق . وكانت المؤثرات الاوقيانوسية تأخذ بالتضاؤل من الغرب الى الشرق ، ويبدو ذلك ظاهراً في فصل الشتاء اذ يكون قارصاً في الشرق .

وكانت الارياح التي تهب من السهول المطلة على البحر الاسود تبلغ مقاطعة بودوليا ، كما تبلغ جنوبي بولغزيا ، حاملة فصل الشتاء في هذه الاقاليم قارصاً ، كثير الثلوج ، على معدل واحد من الحرارة ، بينما تجعل الصيف اكثر حرارة وجفافاً وشمساً . ففي هذه المناطق البولونية ، تقع الاراضي الصالحة لزراعة الشمندر السكري ، والحنطة والذرة والفاصوليا ، ودوار الشمس والدبس ، والزراعات الخضرية والبقولية : كالبطيخ الاصفر والاحمر ، واليقطين والكوسى والبرقوق والمشمش والكرمة . وعلى عكس ذلك تقوم المنطقة الشمالية الشرقية ، فهي تدخل ضمن نطاق الزراعات البلطيقية ، حيث تزدهر زراعة الكتان للنسيج .

وكانت البلاد ، تعنى خصيصاً بزراعة الجاودار والبطاطا والشعير والشوفان والحمص وغير ذلك من اعلاف المواشي . اما الاراضي الخصبة فكانت تعطي الحنطة والشمندر السكري والزراعات الخضرية ، والحدائق الثمرية وما فيها من تفاح واجاص ، وكرز على اختلاف انواعه .

وكان معدل الحرارة السنوي يتراوح بين ٤ ، ٤ — ٨ درجات فوق الصفر واقصى ارتفـاع للحرارة في الصيف يبلغ ٣٥ درجة واقصى البرد شتاء ٣٧ درجة تحت الصفر (وهو نادر جداً) ويتراوح معدل الحرارة في كانون الثاني بين درجة ١ — ٦ تحت الصفر ، وفي تموز بين درجة ١٨ـ ٢١ فوق الصفر .

وعلى سبيل المقارنة بين اقليم بولونيا واقليم البلاد العربية والبلاد المجاورة لها، نذكر ان معدل درجة الحرارة السنوي في لبنـان وسورية يتراوح بين + ١٧ — ٢٠ درجة ويبلغ في طهران + ٥ ، ١٦ درجة ، وفي اصفهان + ٢ ، ١٥ وفي بوشير + ٢ ، ٢٣

ويتراوح معدل الامطار السنوية بين ٥٠٠ — ٧٥٠ مليمتراً ، وتبلغ في الجبال ١٢٠٠ مليمتر . وهي كمية كافية لتؤمن للبلاد نباتاً وافراً دونما لجؤ الى الري او السقاية . ويبلغ هذا المعدل ، في بيروت ٨٣٥ مليمتراً ، وفي دمشق ٢٥٠ ، وفي القـدس ٦٦٥ مليمتراً ، وفي تل افيف ٥١٧ ، وفي اريحا ١٠٧ ، وفي طهران ٢٥١ ، وفي اصفهان ١٣٠ مليمتراً ، وفي انكلترة ٢٠٠٠ مليمتر .

وينهمر معظم هـذه الامطار في فصلي الربيع والصيف . امـا الخريف فهو جاف نسبياً . والثلج يكثر او يقل بنسبة التوغل الى الشرق . وكذلك تجمد المياه النهرية ، فتكثر على نسبة الاتجاه شرقاً .

النباتات — تبلغ انواع النباتات المختلفة المعروفة في بولونيا نحواً من ٢٢٨٥ ضرباً . فأنت ترى من هذا العدد الوافر ان قسمة البلاد من النباتات ليست بضئيلة . والسواد الاعظم من هذه النباتات ، باستثناء الفصيلة الصنوبرية منها ، تتعرى من اوراقها شتاء . كما ان معظم النابتة البارزة تفقد في الشتاء اقسامها الظاهرة فوق سطح الارض . ما عدا الاشجار والشجيرات والجُنُب منها .

اما الحياة النباتية ، فممثلة بالاشجار الحرجية ، وعلى الاخص بالفصيلة الصنوبرية . والسهول المزروعة خلال سنة ١٩٣٩ ، هي في الجنوب الشرقي ، عبارة عن جزر منقطعة . ونرى الى جانب الفصيلة الصنوبرية انواعاً كالسنديان والصفصاف والحور والشوح ، وكلها يستعمل للبناء وللخشب المعاكس ، ومراوح للطائرات وعيدان الكبريت ومعجون الورق وقوالب المفروشات . وقد قضت ضرورات العيش وافتقار بعض المناطق البولونية للحجر ، باستعمال الخشب لتشييد ابنية دافئة جافة في كثير من تلك المناطق . وكانت الاحراج ، في عام ١٩٣٩ ، تغطي ٢٢ بالمئة من مجموع مساحة البلاد ، اي ٨٣٢٢ الف هكتار . وهو معدل ينقص قليلاً عن مثله في المانيا وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا ، ويربو على معدل نسبة المساحة الحرجية ، في كل من فرنسة وايطالية وانكلترة . وكانت الاحراج تلعب دوراً هاماً في الاقتصاد الوطني ، ولهذا كان يقوم استثمارهـا على احدث الطرق العلمية . وكانت الدولة تملك من مجموع هذه الاحراج ٣٣٣٩ الف هكتار ، ممـا جعل

للزراعة الحرجية وللتشريع الخاص بها ، مكانة مرموقة في حيوية البلاد وقد ساعد هذا التشريع في صيانة احراج كثيرة تحفظ على حالتها الطبيعية كمظهر من مظاهر الطبيعة البدائية، يمنع فيها الصيد والقنص منعاً باتاً . وخصت بالتنزه والسياحة لكثرة ما فيها من الحيوانات والازهار، وتفردت بمساحاتها الشاسعة في اوروبة كلها . واكبر غابة فيها هي غابة « بيالوفيزا » (Bialovieza) التي تبلغ مساحتها تقريبا ٢٢٠٠٠ هكتار . وهنالك غابات اخرى كبيرة ، تقوم في جبال سانت كروا في مقاطعة تاتري وجبال الكربات ، ونعتقد انه لحق بها كثير من البلى والاذى من جراء الحرب الاخيرة وتعديات الجيوش المحتلة .

وتسيطر نباتات حوض البلطيق على القسم الاكبر من بولونيا، مع الملاحظة ان القسم الجنوبي الشرقي منها يتأثر جداً بنباتات حوض البحر المتوسط والبحر الاسود . ويبدو في بعض المناطق الجبلية ، نباتات الاقاليم القطبية ، التي تحول بعضها الى مراع خصبة بين سنة ١٩٣٥ — ١٩٣٩ . وقد وصلت الينـا اجناس حرجية ترجع الى الادوار الجيولوجية القديمة ، لا تزال تنمو في تلك المناطق التي لم تعد تتعرض كثيراً للجليد . ومن تلك الاجناس ، مـا هو لليوم ، موضوع عناية المشترع ، الذي يوصي باحترامها والعناية بها،لا سيما ووجودها ينحصر في نقطتين من بولونيا فقط ، وفي نقطتين من روسيا : احداهما على حدود بولونيا والاخرى في القوقاس .

ومن الاشجار الحرجية النادرة ، شجرة من فصيلة الأرْز، تتساقط اوراقها في الشتاء، منهـا في العالم كله نوعان لا غير ، احدهما موجود في بولونيا . وقد حرصت دوائر الزراعة في البلاد على تجديدها في الآونة الاخيرة .

وهنالك شجرة اخرى من الفصيلة الارزية تمثل في بولونيا ما تمثله شجرة الارز في لبنان ، تنمو على علو ١٤٠٠ متر،في جبال مقاطعة « لميا » لا ترى مثيلا لها الا في سيبيريا ، حيث تعرف بالارز . ومن الاجناس التي تخصها بالذكر : الزيزفون، الذي يبلغ هنالك ارتفاعاً شاهقاً .

ولمـا كانت هذه العجالة لا تتسع للتبسط ، فاننا نكتفي بالاشارة الى ان بعض هذه الانواع جيء به من آسية الصغرى ومن سورية .

المملكة الحيوانية — تكثر انواع السباع في بولونيا حيث نرى ٧٢ جنساً مختلفاً من ذوات الثدي كما، تعد ٣٢٣ ضرباً من الطيور ، بينها انواع كثيرة قواطع ، تغادر البلاد شتاء ، ليحل محلها في هذا الفصل انواع اخرى تأتي من الشمال القصي . ولا تتعدى انواع الزواحف فيها بضعة عقود ، كما تعد مياه البلاد من الاسماك ٧٢ نوعاً مختلفاً . وفيها من ضروب الهوام والحشرات نحو من ١٠،٠٠٠ نوع مختلف وتوجد فيها ثلاثة آلاف نوع آخر من المملكة الحيوانية .

وتختلف هذه الاجناس ، في بولونيا باختلاف المناخ وتنوع المناطق والارضين والنباتات

والمزروعات. فالبيزون الاوروبي Bison) بقي في اوروبة الى مــا بعد الحرب العالمية الاولى يسرح في غابة بياتوفزا ، حيث كان يتكاثر لا يخشى شراً ، بفضل سهر الحكومة وعنايتها. ويقال انه اجتاز الحرب الاخيرة هذه، متحملاً مخاطرها.

وكان الكندر، وجوداً قديماً بكثرة في اوروبة الوسطى ، اما اليوم فتراه في بولونيا فقط، يعيش زرافات على شطآن الانهر والمستنقعات الواقعة شرقي نهر البوغ ومن بقايا الحصان البري ، نوع لايزال موجوداً في بولونيا أليفاً. وقد أجريت عليه بين ١٩٣٨ — ١٩٣٩ اختبارات لرده الى طبعه الوحشي القديم، كما اجريت محاولات من هذا النوع على الحيوان المعروف ب Aur ochs وبلغة العلم (Bos Primigenitns)

ومن الانواع الجبلية التي كان امر صيانتها موضوع عناية المشترع، الوعل والاروى والجربوع وبعض الاجناس من الطيور المائية النادرة جداً . وصيانةً لبعض الانواع النادرة ، رأت الحكومة البولونية ان تصدر تشريعا خاصا للقنص والصيد ، الغاية منه حفظ بعض الحيوانات النادرة كالظبي الكريم الذي يعيش بين الادغال الجبلية ، غربي البلاد وفي مناطق اخرى.

وكنت ترى في طول البلاد وعرضها يسرح ويمرح ، الايل والخنزير والارنب البريان . ولم تكن نادرة الايام التي يؤاتي فيها الحظ الصياد فيصيب بضعة عشر خنزيراً برياً وبضع مئـــات من الارانب البرية. اما الثعلب ، فكنت تراه اينما سرت. وبين الطيور انواع كثيرة: منهـــا تلك الطيور الزاهية الريش، والحجل وهو وافر الوجود في الحقول، وطيور مائية اخرى كثيرة الاجناس

وبين السباع نرى الدب الذي يقطن الجبال والغابات ، والفهد وانواعاً من القط البري ، والذئب ، وهو كثير في بعض المناطق. وبين الطيور الجوارح ، النسر الذي يعيش في الجبال وفي بعض السهول المنخفضة ، ومنه نوع يقطن المناطق المائية اليوم.

وكان القانون يمنع منعا باتاً صيد بعض العصافير المغردة ، اذ يرى فيها معواناً للانسان على الحشرات والهوام المؤذية ، التي تضر بالغابات وبزراعة الحقول والحدائق. ففي كثير من المناطق كان الانسان يبني لها اعشاشاً في الارياف او في الحدائق العامة في المدن ، فتنمو بكثرة وبسرعة. و كان البجع موضوع احترام خاص بين الاهلين، اذ كثيراً مايبتني اعشاشه بين السقوف والاشجار يأوي اليها ، سنة فسنة ، بعد عودته من البلاد الحارة.

وكانت طوائف الاسماك في البلاد على جنسين. اسماك البحر البلطيق واسماك البحر الاسود مع انواع اخرى، شائع وجودها في البلاد كلها. وبعض انواع هذه الاسماك التي تعيش في بحيرات بولونيا الشمالية لا يعرف لها امثال الا في بعض مناطق نادرة في العالم . وكانت الدولة وبعض الجماعات تعتني عناية فائقة بتربية انواع الاسماك اللذيذة الطعم وذلك في بعض الانهر والبحيرات

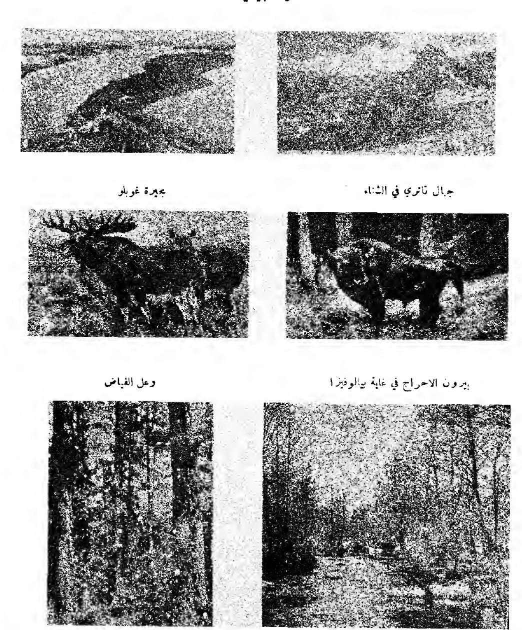
الخاصة . وكان صيد الاسماك من الموارد الهامة في معيشة البلاد ، يقدم للاهلين مقادير جسيمةمنها لم تكن مع ذلك لتكفي بحاجتهم .

الانسان في بولونيا قبل التاريخ — ان الاراضي البولونيةالواقعة الى الشمال من جبال الكربات التي حالت سابقاً دون اتصال السكان بمراكز الحضارة القديمة التي ازدهرت على شواطىء البحر المتوسط ، والمجاورة للشعوب السلافية في الغرب ، كانت فيما مضى ، مغطاة بالاحراج والغياض والمستنقعات، وكانت تلك الاراضي قليلة المواصلات صعبة المسالك ، لا تعرف سوى طرقات تجارية تجتازها القوافل من الجنوب الى الشمال ، ناقلة سلع العالم الروماني ، ثم تعود حامله كهربا الاصقاع الشمالية على البحر البلطيق . وكانت الطريق الرئيسية للتجارة ، تلك الطريق التي تذهب من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي تمر بمحاذاة سلسلة جبل الكربات . والسائد في رأي المؤرخين ، ان اليونانيين والرومانيين ، قلما هبطوا هم انفسهم تلك المناطق النائية . والثابت تاريخياً ، ان اولى الاتصالات بهذه المناطق تمت في عهدالامبراطور تراجان، اذجعل بين الامبراطورية وبين سكان تلك النواحي اتصالا مباشراً . ولهذا لا يمكن للمؤرخ ان يعتمد كثيراً على ماجاء عنهم في الاثار القليلة التي دونها الكتبة اليونان والرومان .

وقد بلغ التجار العرب، فيما بعد، تلك البقاع وتركلنا الادب العربي، في الاجيال الوسطى، قبل القرن العاشر للميلاد ، عن تلك الاتصالات ، وصفاً للبلاد واهلها ، هو اقدم ما لدينا من المعلومات واصدقها ، في عهد لم تكن بعد الدولة البولونية اوشكت ان تطل على الحياة . ودلت الحفريات والاعمال الاثرية في البلاد، على ان الانسان سكن البطاح البولونية، منذ العصر الحجري القديم والمشظى ، اي قبل المسيح باربعة آلاف سنة ، مارس فيها الزراعة والصناعة .

ونرى في الحقبة التي تراوحت بين عام ١٣٠٠ — ٤٠٠ قبل المسيح ، الاراضي التي صارت فيما بعد بولونيا،وما جاور هذه الارضين من المناطق السلافية الاخرى ، الواقعة غرباً بين نهر الاودير والالب والدانوب حتى ضواحي فينا ، وجبال الكربات ونهر البوغ، على شيء من مظاهر الحضارة ، ينصرف معها الناس الى الزراعة ورعاية الماشية ، ويحيون ذكر الاموات في قراهم ومدنهم المبنية من الخشب ، وهي تشابه في بعض خصائصها حضارة الاجناس الصقلبية فيما بعد ، دون ان يكون لدينا ادلة جازمة على ذلك . وقد ثبت وجود قبائل سلافية بين نهر الالب ومقاطعة بولغريا وشواطىء البحر البلطيق وجبال الكربات منذ القرن السادس قبل المسيح . وتتجاور هذه القبائل في الغرب مع الكلتيين ، وقد غزوها في القرن الرابع والثالث قبل الميلاد ، وفي الشمال مع الجرمان ، وفي الشرق الشمالي مع الليتوانيين والفينوطرانيين ، وفي الجنوب الشرقي مع قبائل السكيثيين الرحالة . وقد احتل صقالبة الجنوب البلقان وسهول بانونيا (هنغاريا)

مناظر طبيعية



جبال تاتري في الشتاء

بحيرة غوبلو

بيزون الاحراج في غابة بيالوفيزا

وعل الفياض

احد انهار بولونيا

اجمة عصة من الشربين

مناظر طبيعية



سهول مازوفيا في قلب بولونيا



الخنزير الوحشي في جبال الكربات

حيث حل محلهم بعد قليل المجر ، وهم من العرق الفينو طوراني . وقد احتفظ سلافيو الغرب بالمناطق التي احتلوها في القوس الذي ترسمه جبال السوديت ، حيث نرى اليوم سكان تشيكوسلوفاكيا وغيرهم من تلك الاجناس .

وقد قام في الشرق الدولة الروتانية وقاعدتها كييف ، وامتدت رقعتها حتى تناولت في الغرب الجنوبي مضارب السكيثيين قديماً . فخضعت مع ما اليها من تلك الشعوب السلافية ، تارة لنفوذ بيزنطية شرقاً ، وطوراً لنفوذ روما غرباً . وكثيراً ما كانت هذه البقاع حتى القرن السابع عشر، عرضة لغزوات دولية يشنها التتار والاتراك الواحد تلو الاخر ، مما ادى الى اقفار تلك المناطق .

وكانت تلك المناطق تعوض الخسارة التي تلم بها بالنفوس ، بمهاجرين جدد يأتونها من بولونيا الوسطى فيتسربون الى داخل البلاد ويتزوجون مع السكان الوطنيين ، محتفظين بلغتهم وعاداتهم ومعتقداتهم الدينية . وهكذا نشأ ، على مجرى نهر الدنيبر الاسفل ، مزيج غريب من الاجناس والعروق المختلفة : بين روتانيين وبولونيين وتتار . ونقلت الامبراطورة كاترين بعض هذه الاجناس، في القرن الثامن عشر،الى مناطق نهر الدون واستقدمت محلهم القوزاق من اصقاع روسيا الكبرى .

والى الشرق الشمالي ، امتزجت العناصر السلافية بالعناصر الطورانية ، ولا سيما بالغزاة المغول والتتار . ومن هذا المزيج في العناصر والحضارة بين صقالبة ومغول ، نشأت الامة الروسية التي منها برزت في القرن الخامس عشر مملكة موسكو التي تطورت فيما بعد الى الامبراطورية الروسية .

اما القبائل السلافية الضاربة في الوسط ، فكونت فيما بعد بولونيا، غب ان تمثلت وصهرت، اجيالا طويلة ما في الغرب من عناصر سلافية وجرمانية وكلتية، وما في الشرق من اجناس : روتانية واوكرانية وليتوانية وفنلندية طورانية .

السكان — اخذنا مما يلي من الاحصاءات والارقام ، عن احصاء النفوس الذي جرى في البلاد عام ١٩٣٩ ، اذ بلغ سكان بولونيا آنئذ ، نحواً من ٣٥ مليون نسمة ، اي بمعدل ٩٠ نفس للكيلو متر المربع . وكان عددهم عام ١٨٧٠ نحو ٢٧ مليون لا غير ، اي بمعدل ٤٤ نسمة للكيلو متر الواحد ، بينما كانوا سنة ١٩٢١ نحواً من ٢٧ مليوناً اي ٧٠ نسمة للكيلو متر المربع الواحد .

وفيما يلي جدول يمكن من النظر اليه المقارنة بين مساحة بعض الدول العصرية ومجموع سكانها ومعدل هؤلاء السكان للكيلومتر المربع الواحد :

اسم البلد	مساحته بألوف الكيلومترات	عدد السكان بالملايين	معدل الكيلومتر المربع
بولونيا(١٩٣٩)	٣٩٠	٣٥،١	٩٠
المانيا	٥٨٣	٧٨،٥	١٣٥
بريطانيا العظمى	٢٤٥	٤٧،٣	١٩٣
الاتحاد السوفياتي في اوروبة	٦٠٠٢	١٣٨،٥	٢٣
هولانده	٣٤	٨،٦	٢٥٠
العراق	٤٢٥	٤	١٢
سوريا	١٨٨	٢،٤	١٣
لبنـان	١٠	٠،٩٥٠	٩٠
شرقي الاردن	٩٠	٠،٣٠٠	٣
مصر	١،٠٠٠	١٥،٩	١٦
اليابان	٣٨٢	٧٠،٥	١٨٤
الهند	٤،٦٨٤	٣٧٤،٢	٨٠

وتأتي بولونيا باعتبار عدد السكان ، في الدرجة الخامسة بين الدول الاوروبية ، تفوقها بسه المانيا ضعفين والاتحاد السوفياتي (اوروبة وآسية) خمسة اضعاف من حيث معدل السكان بالنسبة للكيلومتر الواحد وتأتي في المرتبة الثامنة بين الدول الاوروبية الثلاثين، التي يزيد سكان الوحدة منها عن المليون . وتأخذ كثافة السكان بالنقصان والتضاؤل كلما اتجه المرء من الغرب الجنوبي الى الشرق الشمالي . في سيليزيا، حيث الصناعة مزدهرة للغاية، تبلغ الكثافة ٣٣٠ نسمة للكيلومتر الواحد ، وهو معدل لا يبلغه اي معدل آخر في اوروبة .

الحقت الحرب العالمية الاخيرة ببولونيا خسارة عظيمة في الارواح ، وقد جرّ وضع الحدود شرقي نهر البوخ ، وهو الخط المعروف« بخط كيرزون » المدعو ايضاً بخط« ريبنتروب—مولوتوف » ومـا عقبه من تشريد السكـان ونفيهم وحركة الاعتقال والتقتيل ، على يد السلطات السوفياتية ، وبلات لا تحصى وخسارة لا تقوّم قلبت الوضعية هنـالك ، ظهراً لبطن ورأساً على عقب . ويقول بعض العارفين ان كثيراً من العناصر البولونية والاوكرانية والروثانية في تلك المقاطعات، قد استبدلت وحل محلها جماهير من العرق المنولي استقدموها من اواسط آسية وشمالها . وليس لدينـا للآن احصائيات دقيقة يمكن الاعتماد عليها من شأنها تأييد التغييرات التي لحقت بالاهلين في الاراضي البولونية .

البولونيون من الوجهة السلالية او العنصرية

اذا ما نظرنا الى البولونيين من الوجهة العنصرية والجنس ، رأينا سكان البلاد يتوزعون ، عام ١٩٣٩ ، كما يلي ، من حيث عــدد العنصر بالملايين ، ونسبتهم الى مجموع السكان :

بولونيون :	٢٤،٤	٦٩ بالمئة	المان :	٠،٨	١،٣ بالمئة
اوكرانيون وروتانيون :	٤،٩	١٣،٨ بالمئة	روس :	٠،١٥	٠،٤٠ بالمئة
روتانيون بيض :	١،١	٣،٢ بالمئة	تشيك :	٠،١	٠،٣ بالمئة
يهود :	٢،٧	٨،٢ بالمئة	ليتوانيون :	٠،٠٩	٠،٣ بالمئة
مختلف :	٠،٨٢	٥،٢ بالمئة			

البولونيون — يقطن البولونيون ، وهم سكان البلاد الاصليون وسوادها الغالب، تلك الرقعة من البلاد الممتدة بين حدود الدولة في الغرب ، والبحر البلطيق الى الشمال، وشطآن البوخ في الجنوب . ويقوم الى الشرق ، عند التخوم البولونية الشرقيـة عناصر بولونية متفوقة حـاسمة تتمركز حول مدن ليوبول وتورنبول الواقعتين الى الشمال من الدنيبر، ولنك وزيبوميير في مقاطعة فولينيا ، وحول لفوف وفيلنو وغيرها من القواعد الكبرى الاخرى .

ويكوّن البولونيون في الاقضية الشرقية الاخرى ، اما الاكثرية النسبية ، اي اقوى جماعة قومية واكبرها ، واما اكبر اقلية بين السكان الاوكرانيين والروتانيين . وكان يقوم ، سنة ١٩٣٩ ، خارج حدود الدولة ، جوالي بولونية يتراوح عددها بين ٩ و٨ ملايين نسمة ، اي ما يزيد على ربع مجموع السكان في الدولة البولونية ، وذلك في مناطق كانت قديمًا جزءاً من جسم هذه الدولة، فلم يصر ادماجها في بولونيا يوم اعيد لها استقلالها، بين ١٩١٨ — ١٩٣٩، وتسكن هذ الجاليات البولونية في ليتوانيا،وعددهم فيها ٢٠٠،٠٠٠، وفي جمهورية الاتحاد السوفياتي،حيث يصعب تحديدهم بصورة قاطعة،فيتراوح عددهم فيها بين مليون وثلاثة ملايين نسمة . ومما يجب التنويه به انه كان في الاتحاد السوفياتي، عام ١٩٢١ نحو من ٣ ملايين نسمة من البولونيين، ورد منهم على بولونيا ، بعد ذلك التاريخ ما عدده نصف مليون نسمة تقريباً ، فيجب ان يكون بقي منهم والحالة هذه في تلك الدولة زهاء مليونين .

ويقوم بين المانيا والنمسا ١،٠٠٠،٠٠٠ من البولونيين يقطن معظمهم مناطق الحدود ، وما تبقى ، داخـل البلاد ، حيث هاجروا طلباً للرزق ، مفضلين الاقامة في الاحواض المعدنية او في المناطق الصناعية على ضفاف الرين او في وستفاليا .

وكانت رومانيا تضم نحواً من ٧٠ الف من الجوالي البولونية ، مقيمين في ولايتي بوكوفينا

وبسارابيا . بينما تضم مدينة دانتزيغ نحواً من ٣٥ الف من البولونيين ، وليتونيا ٧٢ الفاً ، معظمهم في مدينة ديناببورج وضواحيها . ويقوم في البلدان الاوروبية الاخرى ، ولا سيما في فرنسة وبالجكة والدانيمارك ، نحو من ٥٦٩٠٠٠ بولوني ، فنزحو اليها طلباً للرزق لآجال قصيرة .

اما المهاجرة الى اميركة ، فقد اتصفت بالاستقرار ، مع انه عاد كثير من المهاجرين الى الوطن الام . فالولايات المتحدة تعد اكثر من ٤ ملايين نسمة من اصل بولوني ، والبرازيل ٢٧٥الفا ، وكندا ١٥٠ الف ، والارجنتين ٩٠ الف ، ونحواً من ١٠ آلاف في الاقطار العالمية الاخرى . وقد ارتفعت نسبة هؤلاء في الحرب العالمية الاخيرة ، ولاسيا على اثر حركة الترحيل الجبرية التي قامت بها السلطات السوفياتية ، بين ١٩٣٩ — ١٩٤٠ ، ولايمكن الآن التبسط في حركة الهجرة الحالية ولا ان نتبين مميزاتها . وذلك بالنسبة الى ما نراها عليه من الابهام والغموض .

الاوكرانيون — يقطنون مع البولونيين الاقضية الجنوبية الشرقية في بولونيا . فيؤلفون الاكثرية في جنوبي الدنيستر وفي القسم الجنوبي من مقاطعة فولينيا . وقد شاطروا ، بوصفهم سكان البلاد الاصليين ومواطنين ، البولونيين السراء والضراء ، وعاشوا معهم الاحداث التاريخية والجغرافية الاخيرة كما نوهنا بذلك فيما تقدم .

فالجماعات الجنسية بينهم والوحدات الاكبر شأناً التي عرفت بالروتانيين ، يتكلمون اللغة الاوكرانية ، او لهجات اخرى شقيقة تدور كلها حول البولونية . ويتمتع الاوكرانيون القاطنون الاراضي البولونية بكثير من الاستقلال الاداري وبحريات ثقافية دينية واسعة ، متمركزين حول مدينتهم الكبرى ليوبول اولفوف (Léopol ou Lwow) ويبدو ذلك في الجامعة والجمعيات العلمية والصناعيه ، وفي تنظيمهم الديني ، اذ ان معظمهم روم كاثوليك . فلهم نظامهم التعليمي على درجاته المختلفة : من ابتدائي وثانوي وجامعي .

والسواد الاعظم من الشعب الاوكراني الذي لا يقل قط عن ٢٤ مليون من البشر ، يقطنون اوكرانيا السوفياتية ، بينما ٤ ملايين منهم استوطنوا مناطق اخرى من روسيا ، ، ويسكن مليون الى مليون ونصف من الاوكرانيين . اقطارا اخرى في اميركة واوروبة .

الروتانيون البيض — كان الروتان البيض ، فيما مضى من سكان المناطق الشرقية في ليتوانية القديمة . فالذين يسكنون في بولونيا منهم كانوا يقيمون ، في عام ١٩٣٩ ، في الشرق الشمالي في مدينة فيلنا ولوانها ، لهم مؤسساتهم الثقافية . الا انهم لم يكونوا بلغوا تطوراً يذكر من الوجهة القومية . والسواد الاعظم من الروتانيين يعيشون في روسيا السوفياتية حيث يزيد عددهم على خمسة ملايين نسمة .

الليتوانيون — هم سكان حوض نهر النيمن الاسفل والاوسط . كان من يقطن منهم بولونيا يؤلفون عام ١٩٣٩ ، جماعات موزعة على مقربة من الحدود الليتوانية ، وفي المناطق الواقعة حول مدينة فيلنو ، حيث كانت نسبتهم الى مجموع السكان ٢ بالمائة فقط . ومع ذلك فقد كان لهم جمعيات ثقافية ناشطة

ومعظم الليتوانيين يسكن جمهورية ليتوانيا المستقلة بين ١٩١٨ — ١٩٣٩ حيث يبلغ عددهم مليونين مع اقلية تذكر من البولونيين . وكان منهم من يسكن مدينة ميمل الحرة (Klajpeda) والاقضية الشرقية في بروسيا الشرقية .

الالمان — يعود وجودهم في البلاد الى هجرة حرة قاموا بها قديماً، فامتزجوا بالامة البولونية وانصهروا في بوتقتها ، فلم يبق ما يشير الى الاصل الا الاسم فقط . ومن الغريب جداً ، ان يكون هذا ايضاً هو المصير الذي آل اليه العدد الكبير من الاسر الالمانية التي ارسلت بها حكومة النمسا ، خلال القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر ، ليحيوا المقاطعة البولونية التي كانت تابعة اذ ذاك للنمسا .

وقد احتفظ ، مع ذلك ، بعض الجاليات الالمانية بقوميتها ، كما هو ظاهر في مدينة لودز ، مثلاً ، وعلى الاخص تلك الجوالي التي دخلت البلاد فرادى ، خلال القرن التاسع عشر ، او تلك التي جاءت بها الحكومات النمساوية او البروسيانية تمشياً مع خطة مرسومة ، سارت عليها الاخيرة منهما حتى انفجار حرب سنة ١٩١٤ . وقد عاد الى اوطانهم الاصلية عدد كبير من هذه الجوالي ، على اثر قيام الدولة البولونية الجديدة .

وكانت هذه النازلة الالمانيه في قلب بولونيا تتمتع بجميع النظم الثقافية والمالية والتعليمية المعمول بها في البلاد . ومع ذلك . فقد كانت موضوع اهتمام الحكومة الالمانية بنوع خاص ، تغدق عليها المساعدات وتشد ازرها بصورة غير شرعية . فلا عجب ان تزدهر جماعاتها اكثر مما تستدعيه حالة اقلية عنصرية المانية ، وتخص نفسها بانشاءات ، ثبت سنة ١٩٣٩ ، انها هيآت يعتمد عليها الطابور الخامس .

الروس — تتألف الاقلية الروسية في بولونيا من اولئك الروس البيض الذي ناصبوا البولشفيك العداء ، او من مأمورين في العهد القيصري ومن عدد صغير من اللاجئين ، دخلوا البلاد عام ١٩١٤ ، فلم يشاؤوا ان يغادروها فيما بعد الى الاتحاد السوفياتي ، ومن فريق ضئيل من الروس يرى رأياً دينياً مغايراً للجماعة الكبرى ، ففضل الاستيطان في الولايات البولونية التي كانت تابعة اذ ذاك للدولة القيصرية ، وغيرهم من المهاجرين السياسيين . كل هذه الاقلية لم تكن اصلية

في البلاد بل وصولية،قدمت اليها بعوامل مختلفة ،فتوزعت انجماً في شرق البلاد على طول الحدود الشرقية . وقد تمتعت انها تمتع غيرها من الاقليات الجنسية الاخرى، بكل حقوق المواطن البولوني وبالامتيازات الثقافية القومية . فلم يزد معدل الروس في بولونيا الشرقية على بالمائة من مجموع السكان

اليهود — دخل اليهود بولونيا على موجات ثلاث متباينة - دخلها اولا قسم جاءها من الجنوب الشرقي، خلال الاجيال الوسطى ،مزيجاً من الخزر المتهودين ، ودخلها فيما بعد من الغرب، في القرن الرابع عشر ، موجة اخرى نزحت من اسبانيا ومن المانيا هرباً من الاضطهاد الذي وقع عليها ، فاعتصمت في بولونيا المشهورة منذ ذلك العهد بروح الحرية والتسامح الديني .ثم هبط البلاد فريق من المشردين والمنفيين من اليهود الروس ، فحلوا في اواسط المقاطعات الوسطى من روتانيا البيضاء واوكرانيا مفضلين السكنى في القرى او المدن الصغيرة ، حيث كانوا الاغلبية السائدة في كثير منها . وقد دخل البلاد في الآونة الاخيرة ، فوج قوي بنفوذه المالي ، فر من وجه الاضطهاد الذي رماه به ، والعداء الذي ناصبه اياه النظام الهتلري في المانيا . وتمتع اليهود في بولونيا ، منذ تكوينها السياسي في القرن العاشر ، حتى عام ١٩٣٩ ،بذات الحرية الدينية والفكرية التي يتمتع بها جميع المواطنين ، ونالوا في بولونيا القديمة « رعوية الملك » اي انهم لم يكونوا مرتبطين بمشيئة الاسياد ورغباتهم الخاصة .

اما حالتهم الاقتصادية فكانت توصف بكونهم باعة وتجاراً صناعيين ويتمثلون في الحرف الحرة بعدد يفوق جداً ما يعود اليهم نسبياً ، يكثر بينهم الاطباء والمحامون ورجال القضاء . فهم الحق ، كما لغيرهم من الاقليات العنصرية الاخرى في البلاد ، بطلب الوظائف العامة والدخول في الجيش متمتعين بكل الحقوق السياسية كافة . وقد انشأوا لهم في البلاد منظمات ثقافية وسياسية، بعضها يرجع الى عهد قديم ، يتمتع في العالم اليهودي بشهرة واسعة . فاليهود يكونون ، بعد الاوكرانيين ، اكبر اقلية وطنية في البلاد (٩ بالمائة من مجموع السكان) واكبر مجموعة من اليهود في اوروبة (٣ ملايين) ، يتوزعون على كل المناطق والنواحي ويسكنون على الغالب المدن الكبيرة منها والصغيرة .

وكان عددهم ضئيلاً جداً في غربي بولونيا ، ولا سيما في سيليزيا وبوسنانيا وبوميرانيا ، في عهد الدولة البولونية القديمة ، اذ ان معظم اليهود القاطنين تلك الولايات ، آثر الالتحاق بالمانيا ، بينما رأت اقلية صغيرة منهم ان تحتفظ بالجنسية البولونية . وقد فتك الالمان ، بعد عاصفة ١٩٣٩ باكبر عدد من اليهود ، ذهبوا ضحية للغدر الهتلري .

الاتشيك — كان عددهم في البلاد قليلاً، معظمهم مزارعون على بسطة من رغد العيش وقد

تمكن بعضهم ، اثر حوادث ١٩٣٩ — ١٩٤٠ ، من الرجوع الى تشيكوسلوفاكيا المحتلة ، بينما بقي المتخلفون منهم يمارسون اعمال الحقول ، في المقاطعات الشرقية (فولينيا) تحت مراقبة الحكام الـــروس .

الكارايم — هم بقايا جنس قديم تربطه بالخزر والتركمان روابط العرق واللغة ، انقرض معظمهم . وما سلم منهم كان ذراري فريق احترف الجندية في القرن الخامس عشر . فكانوا اجناساً غريبي الاطوار ، صادقي الوطنية ، يقيمون في ثلاث مدن صغيرة الى الشرق .

التتار — جنس تخلّف من اسرى قدامى وجنود اشتغلوا بعد التسريح في تعمير الارض واستثمارها . قالوا بالاسلام واستوطنوا شرقي البلاد ولا سيا مدينـــة فيلنو ، وهم مـــن خيرة جنود الوطن ، قاموا اباً عن جد ، حتى عـــام ١٩٣٩ ، بوظائف كبرى : مدنية وعسكرية وعلميـــة .

الارمن — يبلغ عددهم نحو من ٢٥ الفاً تحدروا من اولئك التجـــار الذين هبطوا البلاد للتجارة ، وقد حافظوا على تقـــاليدهم واصلهم وعقيدتهم ، معظمهم كاثوليك امتزجوا بالشعب البولوني امتزاج الراح بالروح . يقيم رئيسهم الروحي في مدينة لفوف . ولا يصح النظر اليهم ولا الى التتار كاقلية قومية في البلاد . فهم منها قلباً وقالباً .

وموجز القول ، ان الدولـــة البولونية بين ١٩١٨ — ١٩٣٩ ، يتألف معظمهـــا من العنصر البولوني الذي يمثل ٧٠ بالمائة من سكـــان البلاد والذي يربو عدده ١٦ — ١٨ ضعفاً على كل من الاقليتين الكبيرتين : الاوكرانيين والروتان . ولم يكن اي الجماعات القومية ، ما عدا البولونية طبعاً ، ليؤلف ، في اي منطقة كانت ، كتلة كبيرة مؤتلفة . فلم تكن بولونيا ، والحالة هذه ، في جوهرها دولة مركبة من اقليات عنصرية مختلفة، وان كانت لا تخلو من شيء من ذلك في طبيعتها . وكل هذه الاجناس تتمتع في ظل القانون وحمايته ، بحريات واسعة ثقافية وفكرية ودينية ، على شرط ان لا تكون احدها تُكَأة للتدخل الاجنبي ، واداة له يسيرها في سبيل اغراضه ، او مدعاة للتحكم باحدى تلك الاقليات ، او داعية للانفصال عن الوطن الام .

الديانة — كانت بولونيا مثالا يحتذى من وجهة التسامح الديني ، ولا سيا اذا ما قارنا بينها وبين جارتيها : روسيا والمانيا من هذه الناحية . كانت روسيا تسوم في القرن التاسع عشر المضادين للعقيدة الارثوذكسية صنوف الأضطهاد والعذاب ، فترغمهم قسراً على جحود الكنيسة الكاثوليكية واعتناق الارثوذكسية ، وتعرض المترددين منهم للنفي والتشريد . فجاء السوفيات اليوم يشددون التنكيل على اليهود وعلى اتباع الكنيسة الرومانية ، كما قامت الحكومة الهروسيانية من قبل ،

تضطهد في عهد بسمارك ، الكنيسة الكاثوليكية ، باسم التجدد والتطور : وهو ما يعرف في التاريخ بـ « الكلتوركف . »

لعل بولونيا البلد الوحيد في اوربة،الذي لم يعرف نظام محاكم التفتيش من قبل ، وذلك بالرغم من شعورها الديني ومن تعلقها بالديانة . ولعل هذا الصدق في العقيدة الدينية والاخلاص لها ، هو الذي جعلها لا تحتاج الى مثل هذا التدبير . ولم تعتم بعض التضييقات الدينية التي ظهرت عام١٧٣٦ بصدد بعض الوظائف العليا والقائمين بها،ان الغيت ولم يبد لها من اثر فيما بعد ، في كل ما ظهر من قوانين وتشريع في بولونيا .

والقول المأثور : « الناس على دين ملوكهم » لم يعمل به قط في الدولة البولونية ، كيف لا ومعظم الاديار الارثوذكسية والكنائس الخاصة بالروم الكاثوليك ، القائمة شرقي البلاد عبر الدفينا والدنيبر ، شادها نبلاء بولونيون تأميناً للخدمة الروحية ولمناسك العبادة لرعاياهم المقيمين في القرى والمدن الموجودة على اراضيهم . وكذلك قل عن الكنائس اليهودية التي قامت في البلاد قبل القرن التاسع عشر . كان سكان البلاد ، عام ١٩٣٩ ، من الوجهة الدينية كما يلي : اتباع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية يمثلون ٦٤،٨ بالمائة من مجموع السكان . والروم الكاثوليك ١٠،٤ بالمائة اي ٣٣٣٦ الفاً وبهذا يبلغ مجموع الكاثوليك ٧٥ بالمائة ، والارثوذكس ١١،٨ بالمائة اي ٣٣٦٢ الفاً والبروتستانت بين اتباع لوثير وكالفن ٢،٦ بالمائة اي ٨٣٥ الفاً ، واليهود ٩،٨ بالمائة اي ٣١١٣ الفاً . وما تبقى وهو عدد ضئيل للغاية ، يمثل المسلمين وسواهم. فلم يكن الدولة اي دين رسمي .

حركة السكان — لم تكن نسبة المواليد في الالف من السكان لتشير الى اي هبوط محسوس ، على عكس ما كانت تعانيه الدول الاخرى . فازدياد الرفاه بين الاهلين واخذهم باسباب الحضارة وامتثالهم لاحكام الصحة العامة ومقتضياتها، كل ذلك كان من شأنه ان يزيد في معدل طول الحياة البشرية ، اي ان معدل الوفيات في الالف من السكان ، اخذ يتناقص سنة فسنة ، اذ قلت نسبة الوفيات بين الاطفال .

وقد بلغ معدل المواليد في البلاد ، قبل عام ١٩٣٩ ، ما نسبته ٢٦ بالالف من السكان ، بينما معدل الوفيات ١٤ في الالف ، الامر الذي يجعل زيادة مطردة بنسبة ١١ في الالف . وهذا المعدل يفوق اي معدل سواه في اكثر البلدان تناسلاً في اوروبة : كايطاليا مثلاً (٩،٧ في الالف) وبلغاريا (٩ في الالف) .

وقد خسرت بولونيا ، من جراء حركة المهاجرة فيها بين ١٩٢٦ — ١٩٣٨ ، ما يبلغ٦٨٨ الف نسمة ، وهي حركة تدعو اليها الحاجة الاقتصادية وضرورات العيش . وقد اخذت البلاد ترجو

خيراً من هذه الناحية وذلك بفضل الحركة الصناعية الناشطة التي قامت فيها بسرعة، في السنوات الاخيرة ، مما يبشر باطيب الآمال،اذ يجعل في مقدور البلاد ان تحتفظ لنفسها، بهذا النمو الملحوظ في ازدياد السكان .

واليك جدولا نهائيا لعدد السكان في بولونيا : ففي عام ١٨٠٠ كانت نفوس بولونيا ، في حدودها الحاضرة (١٩٣٩) ٨ ملايين نسمة ، فبلغوا ٢٧،٤ مليوناً سنة ١٩٢١ وارتفع عددهم ، عام ١٩٣٩ ، الى ٣٥ مليوناً . ولدينا ما يحملنا على الظن ان عددهم اليوم (١٩٤٧)،بعد سبع سنوات عجاف : من تقتيل وتشريد وتفظيع وترويع ، في ظل النظام الهتلري ، وارهاق مُضن من قبل السلطات السوفياتية ، قد يتراوح بين ٢٧ — ٢٨ مليوناً .

المدن البولونية — تعد بولونية ٣١٩٥ مديرية مختلفة موزعة الى ٤٠٥٨٣ ناحيــة ، ويقوم في البلاد ٦١١ مدينــة . وكان يقطن هــذه المدن ، عــام ١٩٣٩ نحو من ٢٧،٧ بالمائة من مجموع السكان . يبلغ معدل ما يسكن منهم الولايات الغربيــة ٣٢،٨ بالمائــة بينما يبلغ معدل ما يسكن منهم في المدن الشرقية ١٩،٢ بالمائة لا غير . وبين هذه المدن ١٤ مدينة يربو سكان الواحدة منها على ١٠٠٠٠٠ نسمة ، بينها فارصوفيا، عاصمة البلاد ، وفيها ١٢٨٩٠٠٠ ولودز وهي مركز صناعي عظيم ٦٧٢٠٠٠ نسمة . وبلغ عدد سكان مرفأ جدينيا الجديد ، عام ١٩٣٩ ، نحواً من ١٢٠ الفاً ، بعد ان كان عام ١٩٢١ قرية زرية للصيادين ، كان سكانها اذ ذاك ١٣٠٠ نسمة لا غير

لمحة تاريخية عامة

بولونيا منذ عهدها الاول حتى سنة ١٧٩٥



نشأة الدولة — سلالة البياست ١٣٨٦ Piasts تغلف مجاهيل التاريخ في الامة البولونية كما تغلف تاريخ معظم الدول ولا سيما الشعوب الاوربية منها ، كثير من الاساطير والخرافات الشعبية . فتاريخ بولونيا الحقيقي لا يبتدىء بالفعل الا في النصف الاول من القرن العاشر للميلاد (الرابع للهجرة). فهي احدث عهداً، في نشؤ الامم وتكوينها ، من سورية ولبنان او من فينيقية وبلاد ارام ، في التاريخ القديم ، بنحو ثلاثين قرناً، ايام كان يخضع هذا القسم من الهلال الخصيب لسيطرة مصر في القديم ولتفوقها العسكري الساحق .

ففي ذلك العهد ، اي منذ عشرة قرون او يكاد ، قامت بعض القبائل السلافية في الغرب ، الضاربة في منحدرات « الفارتا » احد روافد نهر الاوديرِ ، وفي منقلبات الفستول ، ووحدت بين بطونها وافخاذها وضمت شتيتاً من عشائرها المتباينة ،بين بولونيين وفسلانيين وسيليزيين واحلافهم ، تنشىء منها نواة الدولة البولونية ، تلك الدولة التي استطاعت بعد تكوين وحدتها من الصمود بنجاح ، في وجه الغزاة من الجرمان الطغاة .

واول سلالة ملكية تربعت على اريكة العرش في بولونيا هي اسرة البياست واليها يعود الفضل في تنشئة الدولة البولونية الفتية وتكوينها وتوطيد دعائمها . وقد لبثت في الحكم اكثر من اربعمائة سنة ، اي الى سنة ١٣٨٦ . واليك اهم المآتي المطبمة التي قام بها ملوك هذه الاسرة .

ميشكو الاول — ٩٦٠ – ٩٩٢— من اهم الاحداث التاريخية التي لابست ظهور هذا الملك ، اعتناقه الديانة الكاثوليكية ، حوالي سنة ٩٦٦ مع عدد كبير من رعاياه . وهذا ما حدا بالدولة البولونية الى السير في مساق الحضارة الغربية وبها ربطت مسيرها واناطت مصيرها .

ومن الامور الجديرة بالذكر والخليقة بالملاحظة هو ان بولونيا ، في عهد مليكها ميشكو

الاول ، كانت على علاقات وطيدة بالشرق . والشاهد على ذلك هو ان الملك ميشخو قدّم في ماقدمه للامبراطور اوثون الاول،من هدايا جملاً،الامر الذي يشير الى علاقاته التجارية النامية بالعالم الشرقي . والذي اتى على ذكر هذه الهبة هو الكاتب العربي البكري ، من ادباء القرن الحادي عشر ، فادلى الينا بمعلومات هامة عن مملكة ميشخو المذكور . وقد اصطحب البكري في رحلته الى بلاد بولونيا في عهد ميشخو ، ابراهيم بن يعقوب التاجر وطاف في البلاد متعرفاً عن كثب الى متاجرها المختلفة . وقد وصف ملكها ميشخو بقوله : « اقوى امراء السلافيين قاطبة » كما نعت بولونيا بكونها« اكبر بلاد الصقالبة ، ارضا تفيض قمحاً ولحماً وتدر لبنـاً وعسلاً، كثيرة الكلاء والمرعى »

خلفاء ميشخو الاول البارزون : بولسلاس الاول المعروف بـ «الكبير» (٩٩٢ — ١٠٢٥) وبولسلاس الثالث (١١٠٢ — ١١٣٨) — قام بين سلالة «البياست» في بولونيا من جهة والدولتين الاموية والعباسية عند العرب،من جهة ثانية، كثير من الشبه والصفات المشتركة : فكلاهما يمثل العصر الذهبي في الدولة . فقد كان بولسلاس الاول في بولونيا شبيهاً بما كان كل من الوليد الاول في الدولة الاموية وهرون الرشيد في الدولة العباسية ، اذ درأ عنها هجمات الغزاه من الجرمان الطغاة ، وقام بتنظيم امور الدولة ، التي امتدت رقعتها في عهده ، من البحر البلطيق في الشمال الى عبر جبال الكربات في الجنوب ، ومن نهر الالب غرباً ، حتى شواطىء نهر البوخ شرقاً . واكثر من انشاء المطرانيات والكنائس والديارات ، مشيداً على مقربة منها المدارس والكتاتيب وتعهد المعارف بعنايته ، ووطد معالم الحضارة وقوم سلطة الدولة في الداخل ، واقامها على اسس ركينة وطيدة الدعائم . وقد لبس التاج في اواخر حياته (١٠٢٥) فكان اول ملك بولوني لبس تاج الملوك ، وذلك في مدينة غنيزنو الواقعة في قلب بولونيا الكبرى .

وصار الملك ، بعد موت بولسلاس الاول بمـائة سنة ، الى بولسلاس الثـالث الذي ، عملاً بعادة سلافية قديمة ، قسم مملكته بين اولاده ، وفاقاً لناموس الاقدمية ، اي انه حصر السلطة العليا بيد اكبر اعضاء العائلة المالكية سناً ،فيصبح سيداً مطاعاً في اكبر الولايات البولونية التي قاعدتها كراكوفيا .

بولونيا وعهد الامارات — وكان من جراء تقسيم بولونيا الى امارات ، ان قامت في طول البلاد وعرضها مشاحنات وفتن دامية بين مختلف الامراء ، ادت الى تفكيك عرى الدولة والفت من عضدها ، طيلة قرن ونصف ، واضعاف شأنها . وقد شجعت هذه الحالة في الدولة وما كانت تعانيه من عوامل الفوضى والانحلال،بعض ذوي الاطماع في البلاد المجاورة على اقتطاع ما يرغبون فيه من اراضي الوطن البولوني . وقد تم بالبلاد في هذه الحقبة ، بعض الاحداث الهامة التي كان

لها كبير الاثر في مصير الامة البولونية . من ذلك ان فرسان النظام التيوتوني انشأوا لهم ، حوالي سنة ١٢٢٨ ، بين مجرى نهري الفستول الاسفل والنيمن ، مملكة تمكنت من التبسط والتوسع باستيلائها على مقاطعة بوميرانيا البولونية الاصل وعلى مرفئها الهامدانتزيغ، سادة بذلك سبل البحر في وجه الدولة البولونية . والمعروف ان نظام هؤلاء الفرسان نشأ في فلسطين سنة ١١٢٨ ابان الحرب الصليبية الاولى

وقد بُليت البلاد على اثر ذلك ، بهجمات التتار الذين انشأوا لهم في اواسط آسيا سلطنة مترامية الاطراف اتسعت حتى اوروبا الشرقية . فغزوا بولونيا ثلاث مرات متوالية ، سنة ١٢٤١ ، و ١٢٥٩ ، و ١٢٨٧ والحقوا بقسم منها الدمار والخراب . وتمكنت بولونيا من الصمود في وجه التتار المغيرين وردهم على اعقابهم بعد ان كسرتهم شر كسرة في موقعة لينيتزا (١٢٤١) في سيليزيا . وهكذا استحقت ان تلقب بحق « حصن اوروبا الغربية » . وقد عرف العالم العربي هول هذه الغزوات اذ وقعت احداها على بغداد في عهد هولاكو المغولي فقوضت اركان الخلافة (١٢٥٨) وبلغت ويلاتها سنة ١٢٦٠ سورية فذاقت منها الأمرين . وقد اعاد المغول والتتار الكرة على الشرق ،سنة ١٢٩٩ ،في عهد قازان خان،ومرة اخرى سنة ١٤٠١ ،في عهد تيمورلنك . الا ان المماليك قضوا على هذه الغزوات فوقفت دمشق وحلب في وجه هؤلاء الطغاة حصناً منيعاً حفظ مصر وبلاد افريقية الشمالية من السقوط تحت نير المغول .

وقد كان لهذه الغزوات التي استطاعت الامة البولونية الصمود في وجهها وحفظ استقلالها ، اكبر الاثر على تاريخ بولونيا الشرقية وعلى اوكرانيا وغيرها من المقاطعات السلافية الشرقية . فسقطت جميعهــا تحت النير المغولي الذي ســام الامــارات الروسية عـدة قـرون ، صنوف الذل والهوان ، ولا سيما مــا وقــع منهــا في الشمال والجنوب . وكان من جراء هـــذا الاستعباد المرهق ان اقتبس الشعب الروسي ، على ممر الاجيال عناصر حضارة التتار وعقليتهم البعيدة في جوهرها ومقوماتها عن عقلية الحضارة الاوروبية .

ومن نتائج هذا الاستعباد الطويل الامد ، القضاء التام على كل سلطة في المقاطعات الروتانية في الجنوب ، والعمل على افقارهــا وتهجير السكان منها ، مما ادى الى الخراب والدمار في تلك المقاطعة . ولم تعد الحياة الى هذه المناطق ، الا بفضل مجهود تمديني اقتصادي ساهمت في القيام بــه الامة البولونية برمتها ، اخذت على نفسها ايضاً الدفاع عن هذه المناطق ، بعد ان هزّها النشاط والحياة ، ضد الهجمات التي كان يقوم بها على مدى الاجيال ، كل من التتار والاتراك .

توحيد البلاد في عهد آخر ملوك دولة البياست — بقيت بولونيا تضم بالرغم مــن انقساماتها السياسية المختلفة بعض العناصر العرقيــة والثقافية التي كانت تجعل وحدة البلاد امراً

مرتقباً من الجميع . هنـالك امة واحدة ، لها لغتها الواحدة وثقافتها الواحدة وعاداتها الواحدة ، يجمع بينها في مختلف الولايات المتباينة والمتشابكة سلطة العائلة المالكة التي قام من بينها ملوك كهنري الاول الملقب بالملتحي وهنري الرابع المعروف بالمستقيم يسعون لشد اواصر هذه الوحدة ، يحدوهم الى تحقيقها وحدة البلاد الدينية ، تحت سلطة رئيس الاساقفة المقيم في مدينة غنيزنو ، كما ان الاخطار الخارجية المحدقة بالبلاد من كل فج وصوب ساعدت على تكوين وحدتها السياسية وصهرها في بوتقة واحدة . وقد تم ذلك نهـائياً في عهد العاهلين الاخيرين من اسرة البياست : فلادسلو لوكياتيك الملقب بالعنيد (١٣٠٦ — ١٣٣٣) ، الذي ربطته بملوك المجر اشد الاواصر ، وابنه كازيمير الكبير .

كازيمير الثالث المعروف بالكبير ١٣٣٣ — ١٣٧٩ — تمكن هـذا الملك العظيم من اعادة بعض الولايات المقتطعة قديماً ، الى جسم الوطن الام فاسترجع على التوالي مقاطعة روتينيا الحمراء . وما فيها من القواعد الكبرى كمدينة لفوف مثلاً (١٣٤٠) تاركاً امر ضم الولايات الاخرى الى المناسبات والظروف الملائمة . وكان همه الوحيد تأمين نهضة البلاد والاخذ بيدها اجتماعيـاً واقتصادياً وثقافياً . تسلم بولونيا من خشب فاذا به يسلم خليفته بولونيا جديدة من حجر ورخام ، كما يقولون عنه . وقد كانت نفسه تتوق ابداً الى رؤية بلاده موحدة الملك موحدة الشرع وموحدة النقد . ولذا رأيناه يوجه نشاطه الجم الى تحسين النظام الاشتراعي فوضع دستور فيلتشكا Wieliczka المشهور (١٣٤٧) وجهز البلاد بادارة رشيدة وامن المدن الكبرى الازدهار وشجع اصحاب المهن والحرف وناصر مرافق البلاد التجارية . فعم الرخاء في عهده اطراف البلاد وسادها الامن . وكان الفلاح بنوع خاص ، موضوع عنايته ورعايته الخاصة ، كيف لا والفلاحون هم سواد الامة الاعظم وعنصرها الاكبر فلقب بحق : « ملك الفلاحين » وتمتع اليهود في عهده بالحرية الدينية التامة بينما كانوا في غير بولونيا فريسة للاضطهاد المضني . وقد خص التعليم والمعارف بعناية مرموقة ظاهرة اتسع معها نطاق المدارس واخذت تنتشر في طول البلاد وعرضها على مقربة من الكنائس والاديار موزعة النور والعلم على جميع الطبقات . وقد ادت جهوده التثقيفية هذه الى انشاء جامعة كراكوفيا (١٣٦٤) التي تعد مع جامعة براغ وفيينا من اقدم الجامعات في اوروبة الوسطى .

كانت حالة البلاد الداخلية ، من الوجهة الاجتماعية والثقافية ، زاهية مزدهرة . فالرفاه عم جميع طبقات الشعب التي انصرفت كل منها ، كالاكليروس والاشراف والطبقة البورجوازيـة والفلاحين ، الى تنمية مناحي نشاطها ، تحت رعاية الملك الفائقة فكانت عنايته السامية قسطاس عـدل بين الجميع على السواء يوزعها على الرعية بالسوية . وقد تطور الفن المعماري في هـذا العصر ورقت مظاهره ، فحل الطرازي الروماني محل الطرازي البنائي القديم الذي ساد البلاد

طيلة القرنين الثاني عشر والثالث عشر، واخذت البنايات الوطنية الاسلوب تكسو المدن وقواعد البلاد الكبرى. وبرزت الكنائس تختال بقدها النحيف الرشيق كما برزت القصور والصروح بهجة للنواظر اينما جاءت في مأتى العين .

وقد راجت سوق العلوم والاداب البولونية ايما رواج في القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر. ونبغ في القرن الثالث عشر العالم الطبيعي فيتليون (Vitelion) ومن الاثار الادبية البولونية المشهورة التي تعود الى هذا البعث الذي تفرد به حكم كازيمير الكبير التاريخ البولوني المعروف « بتاريخ غاله الغفل » الذي يعود اوائل القرن الثالث عشر في عهد العلم البولوني الشهير « المعلم منصور كدلوبيك » V.Kadlobek وهو اول اديب بولوني بحث تاريخ الشرق القديم، كما ينص على ذلك تاريخ الاداب البولونية .

ونبغ في العصر التالي، اي في القرن الرابع عشر، الاديب البولوني المشهور يوحنا تشارنكوف الذي وصف لنا امجاد الملك كازيمير الكبير . وامتاز الادب البولوني اذ ذاك بسير القديسين وترجماتهم الموضوعة باللغة اللاتينية . وكانت تطفو على العلم صبغة القصة والرواية . والى هذا العهد تعود بواكير الادب البولوني باللغة البولونية . من ذلك ادب المواعظ الدينية والاناشيد الوطنية التي كثيراً ما تغنى بها البولونيون في حروبهم الدامية .

بولونيا في عداد الدول الاوروبية الكبرى — عائلة جاجلون الملكية ١٣٨٦ — ١٥٧٢

مات الملك كازيمير الكبير ولم يعقب ذكراً . وبعد خمسة عشر سنة مرت على وفاته تزوجت ابنته الملكة هدفيك من امير ليتوانيا لادسلاس جاجلون (١٣٨٦) ، الذي اعتنق الديانة الكاثوليكية الرومانية مع جميع رعيته ، واضعاً بلاده في اطار المدنية الغربية ومدارها مدوناً صفحة جديدة في تاريخ امته .

واصبح لادسلاس جاجلون باعتلائه عرش ملوك بولونيا ، مؤسساً للاسرة الملكية الثانية التي حكمت هذه البلاد ما يزيد على القرنين . وقد كان لملوك هذه الاسرة اكبر الاثر في مصير بولونيا وازدهارها . ويمكننا ان نشبه الدور الذي قاموا به في بلادهم بالدور الذي قام به الامويون في سورية ولبنان قديماً . فحكمهم هو العصر الذهبي للبلاد ، اذ فيه بلغت الامة البولونية اوج عزها وازدهارها .

كان الاتحاد البولوني الليتواني الذي شد هذين الشعبين بعضاً الى بعض وربط معاً مصائرها ، من الاحداث التاريخية الهامة في اوروبا الوسطى ، اذ اتاح لحكومتها الموحدة ، الصمود في وجه الاخطار الاجنبية التي تهددهما معاً . ولم يكد اول ملوك الجاجلون يعتلي اريكة العرش حتى تولى قيادة الجيوش فوجه ضربة قاضية الى دولة الفرسان التيوتونيين في معركة غرونوالد (١٤١٠) .

وتمكن ابنه كازيمير الرابع من استرجاع ولاية بوميرانيا ، وهي اراضي مصب نهر الفستول مع مدينة دانتزيغ (١٤٦١) . واستطاعت ليتوانيا من جهة ثانية ، بفضل هذا الاتحاد ، الوقوف بنجاح بوجه مملكة موسكو ، الآخذ سلطانها بالازدياد . ولذا رأينا عقد هذا الاتحاد بين البلدين يتجدد مراراً فزاد التعاون بينهما إحكاماً ووثق الروابط العديدة التي تشد الواحدة بالاخرى . كذلك اتاح للامة الليتوانية ان تستمرىء بتُؤدَةٍ نظام الحكم الديمقراطي المعمول بـه في القرن الخامس عشر ، نهائياً سنة ١٥٠٥ ، وبرزت بولونيا الى جنب انكلترة والمجر احدى الدول القليلة التي تتمتع في اوروبة بنعمة النظام النيابي الصحيح . ومن مميزات عهد ملوك جاجلون في بولونيا ، انتشار الحريات المدنية ، واتساعهـا حتى عمت كثيراً من الطبقات ، ولا سيا طبقة الاشراف ،اذكانت تنص صراحة على الحرية الشخصية وحرمة المنزل ، فلا يمكن توقيف احد الا بقرار صادر من المحكمة (١٤٣٣) .

وكانت المدن اذ ذاك تتمتع بكثير من الاستقلال الداخلي الذي اتاح لها الازدهار والنمو ، كما نشهد ذلك في كثيرمن حواضر البلاد البولونية : امثال كراكوفيا ودانتزيغ او غدانسك ، ولفوف وبوزنان وفيلنو . ومن دواعي هذا الازدهار تلك الحركة التجارية الناشطة مع الاقطار الشرقية : كسورية وغيرها من الاقطار العربية الاخرى في عهد دولة المماليك ، يوم كانت بضائع الشرق وسلعه تتراكم في موانئة الساحلية لتوزع على اسواق اوروبة . وكانت بيروت من اغنى تلك الثغور واترعها بالخيرات . وقد ترامت تخوم الدولة البولونية اذ ذاك حتى بدت في مصاف الدول الكبرى واخذت حضارتها في النماء والازدياد يوماً فيوماً .

العصر الذهبي — كان العاهلان الآخران من ملوك جاجلون ، سيجسمون الاول المشهور بالقديم (١٥٠٦ — ١٥٤٨) وسيجسمون الثـاني المعروف « بالعظيم » (١٥٤٨ — ١٥٧٢) معاصرين للسلطان العثماني سليمان القانوني (١٥٢ — ١٥٦٠) ، ابعدسلاطين آل عثمان شهرة . ويُعَدُّ عهدهما ومن اليهما من الخلفاء المباشرين ، العصر الذهبي لبولونيا قديماً . وفيـه بلغت الدولة اوج مجدها وذروة ازدهارها في مختلف نواحي الحياة : المادية والسياسية والعلمية والثقافية في الامة البولونية .

فقد كانت بولونيا اذ ذاك ، تتصل بالبحر على رحب . فهي تسيطر على بوميرانيا ومصب الفستول ، كمـا اطلت عليه فيا بعد ، من مصب النيمن الى مصب الدفينا ، مـن خلال بروسيا الشرقية ، على اثر تأميم حكومة الفرسان التوتونيين ، اذ ان المقاطعات الواقعة على سواحل البحر الى خليج فنلندا كانت تابعة لها او ملتحقة بها .

وقد وُضع في عهد آخر ملوك هذه الاسرة : سيجسمون الثاني اوغسطس في مدينة لوبلين ، عقد اتحاد لا تنفصم عراه بين بولونيا وليتوانيا ، جاعلاً رعايا كلا البلدين متساوين في الحرية والحقوق . وقام على انقاض النظم الدولية في كل منهما نظام عام مشترك هو النظام الجمهوري في البلدين البولوني والليتواني المتحدين بغير انفصام ، يرأسها ملك منتخب باشتراك الامتين ، يعاونه مجلس امة مشترك ذو هيئتين . ويقوم في كلا البلدين اللذين يؤلفان هذا الاتحاد حكومة خاصة بما اليها من وزراء وبيت مال وجيش خاص بكل منهما . ولكل منهما شرائعه وقوانينه الخاصة .

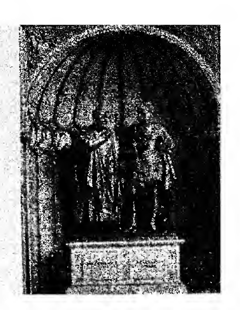
وينظر الكثيرون الى هذا الاتحاد الذي ابرم في لوبلين ، نظرهم الى اهمّ حادث في تاريخ كل من بولونيا وليتوانيا . وهو وان نمّ عن شيء فعن الكفاءات الاتحادية في الامة البولونية . وهذا العمل من ابرز الافكار التي تمخض بها ذكاء ملوك جاجلون .

ومن الامور الجديرة بالملاحظة ان فكرة الاتحـاد هذه لم تكن لتقف ، في نظر الساسة البولونيين في القرنين السادس والسابع عشر ، عند اتحاد الدولتين البولونية والليتوانية فحسب ، بل كان هذا الاتحاد خطوة اولى سيتنـاول فيما بعد ، بحسب مشروع جاجلون ، (Jagiello) المجر وبوهيميـا معاً . وأخذت هذه الثنائية البولونية الليتوانية تتطور في النصف الاول من القرن السابع عشر نحو اتحاد ثلاثي يضم بولونيا — ليتوانيا — روتينيا او اوكرانيا . ومـا الاتفاق المعقود في مدينة خادزيتش (Hadziacz) (١٦٥٨) الا عمل سياسي حكيم ، اقامت به بولونيا من المنطقة الواقعة حول حوض الدنيبر الوسيط والسفلي ، حصناً شرقياً منيعاً قوامه امارة روتانيا الكبرى اذ استطاعت ان تقف معه الى حين ، في وجه التوسع الروسي نحو الغرب .

واذا ما استثنينا العلاقات النامية بين بولونيا وليتوانيا ، هنـالك حادث آخر خطير الشأن ، تطفو اهميته على تاريخ الامة في هذه الحقبة : الا وهو الترويج والدعاوة للنظم الديمقراطية والحياة العلمانية في الامة البولونية ، ولا سيما بين طبقة الاشراف . وقد تبلورت هذه النظم وارتدت طابع مجالس وطنية واقليمية ، رأت الملكية ان تتنازل لها عن بعض حقوقها الاشتراعية (مقررات « نيشخافا » ، ١٤٥٣ ، (Nieszawa) .

حق لبولونيا ان تفتخر بنخبة مختارة من رجال العلم والادب اشتهروا خلال القرن الخـامس عشر ، وانصرفوا للعمل المثمر في جامعة كراكوفيا بعد ان اعيد تنظيمها سنة ١٤٠٠ ، بفضل ما نالها من عوارف الملكة ادفيك وزوجهـا الملك لادسلاس جـاجلون ، فاستحقت ان تدعى : « جامعة جاجلون » ومن هؤلاء العلماء النابهين المؤرخ الكبير : دلوغش + ١٤٨٠ (Dlugosz) الذي يعود اليه الفضل في وضع مبادىء علم التاريخ . ومنهم الفنان البارع جان استرورغ المتوفي

مناظر تاريخية



قبر الملكين ميشكو الاول وبولسلاس الشجاع



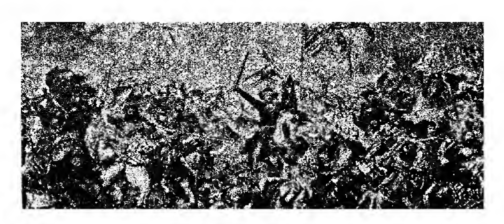
الملك كزيمير الكبير



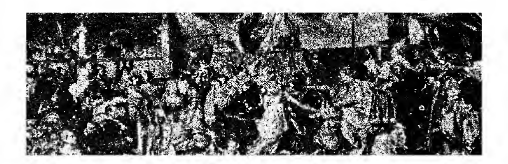
نيقولا كوبرنيكوش احد علماء الفلك الاعلام



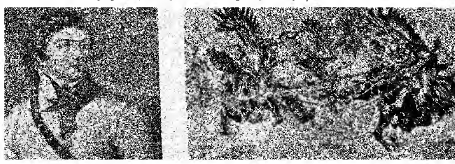
الملك اسطفان باتوري يتقبل خضوع بسكوف



معركة غرونفالا : انتصار ملوك جاجلون على البروسانيين – تصوير ماتيخو



استسلام امير بروسيا القرن السادس عشر – تصوير ماتيخو



احد هجوم الخيالة البولونية في موقعة فيينا وانتصارهم على الاتراك
قسم من صورة لباتوفسكي

جان سوبيسكي
كما صوره ناده كوشتيخو

سنة ١٥٠٥ . ومن الادباء اللامعين غريغوري سانوك Sanok وفيليب كاليا وغيرهم كثيرون .

وقد ازدهرت الآداب خصوصاً في القرن السادس عشر ، فبلغت ذروة المجد والكمال . والطريف في الامر ان معظم النتاج الادبي اذ ذاك ، لم يعز باللاتينية بل باللغة البولونية ، بعد ان اخذت كل طبقات الامة : من الاعيان والبورجوازية والشعب تتنافس اختها في هذا الميدان . ولمع في هذا العصر الكاتب البليغ نيقولا راي (١٥٠٦ — ١٥٦٩) Rey الذي كان ريحانة المجالس الادبية اذ ذاك فخلّف لنا وصفاً شيقاً لاخلاق ذلك العهد وعاداته . وفيه نبغ ايضا اشهر شعراء بولونيا قديماً ، الا وهو جان كوخانوفسكي (Kochanowski) (١٥٣٠ — ١٥٤٨) الذي يتسم شعره الغنائي والوجداني بفيض العاطفة وانسجام الافكار وسلاسة التعبير وجمال الاسلوب .

ولم يكن النثر باقل تألقاً من صنوه الشعر اذ ذاك . فاشرقت معالمه في كثير من المناحي الفكرية ولا سيا في الادب السياسي . ولعل اكبر كتّاب هذا العهد من الادباء الناشرين اندريه فريتشمو دجفسكي الذي كان يرمي ابـدأ الى توطيد عظمة الدولة وتركينها على سمو الخلق في الفرد . فلم يكن ليرضى او ليسكت عن الجور والظلم او يتجاوز عن الاخذ بالوجوه في القانون .

وكان الكاهن بطرس سكرغا (١٥٣٦ — ١٦١٢) (Skarga) اذ ذاك اشهر خطباء عصره ، يهز المنابر ببلاغته المتدفقة . فقد تولى رئاسة جامعة فيلنو التي نشأت بعد وفاة الملك سيجسمون العظيم ، فقد كان يتلاعب بالمستمعين كيفما شاء حتى لقب بـ « طاغوت النفوس البشرية » .

وبرز في العلوم عالم ارتفع صوته عاليا هو الفلكي الشهير نيقولا كوبرنيكوس (١٤٧٣ — ١٥٤٣) الذي تلقى دروسه في جامعة جاجلون وترك لنا اثراً ادبيا خالداً في كتابه الموسوم « حركة الاجرام السماوية » الذي ظهر عند وفاة صاحبه .

اما الروابط العقلية والفكرية ، بين بولونيا اذ ذاك والاقطار الاوربية الغربية فكانت على اشد ما تكون وثوقاً وإحكاماً ، كيف لا والشبيبة البولونية اخذت تتطلع الى الجامعات الكبرى في ايطاليا وفرنسا ترضع منها افاويق العلم والمعرفة ، يذكي أوارها ويقدح زناد نارها النهضة الفكرية والادبية والفنية ، هذه النهضة المعروفة بعصر الانبعاث . وقد تلقحت الفنون الجميلة في بولونيا بلقاح التجدد الفني في الغرب ، ولا سيا الهندسة المعارية فيها . والى الطراز البنائي المتسم به عصر النهضة يعود ما نراه من الاسلوب الفني البادي في كل من بهو القصر الملكي الكبير في كراكوفيا وكنيسة سيجسمون التي ينظر اليها العارفون نظرهم الى خير مثال لطراز عصر النهضة في البلدان الاوربية الواقعة عبر جبال الالب الى الشمال .

الملكية الانتخابية في بولونيا (١٥٧٣ — ١٧٩٥) — على اثر وفاة الملك سيجسمون الثاني الملقب بالعظيم اصبح الوصول الى العرش شورى اي انتخابياً ، وامسى انتخاب الملك قاعدة عامة واساساً في صلب الدستور البولوني . وبقي الانتخاب القاعدة المعمول بها حتى آخر ملوك بولونيا . لا شك انه قام بين الملوك الذين تبوأوا العرش عن طريق انتخاب من تحلى باخلاق حسنى فكان من البارزين . الا ان النظام الانتخابي هذا كان بلا مراء ، مصدراً لضعف الدولة ومبعثاً للتدخل الاجنبي العدو . ولهذه الاسباب وبالاستناد الى اختبارات التاريخ المريرة ، اجريت محاولات عدة للتخلص من النظام الانتخابي والرجوع الى نظام الارث . ولم تثمر المساعي نهائياً الا في عهد المؤتمر الوطني الكبير ، الذي عقد في اخريات القرن الثامن عشر وقضى بالرجوع الى النظام الوراثي .

كانت صيغة الشروط التي عرضت على اول ملك انتخابي في شخص هنري ده فالوا ، اخي شارل التاسع ملك فرنسا ، بمثابة المبادىء الاساسية العامة لدستور الجمهورية البولونية الذي كان من الواجب على الملك العتيد ان يحلف القسم بالمحافظة عليه . وهنالك موجبات اخرى كانت تحدد في كل انتخاب توضع على حدة تعرف بـ « العهد المعقود »

ومنذ ذلك الحين اصبح الانتخاب الحر الذي يقوم به المجلس العام المؤلف من ممثلي الاعيان ومندوبي المدن ، والحرية الدينية وحق دعوة مجلس الامة الى الاجتماع ، وغير ذلك من الحريات الراسخة في القدم ، القاعدة الاولى للحياة السياسية والاجتماعية في الجمهورية البولونية . فاذا ما خالف الملك احدى هذه الحريات المعترف بها كانت الامة في حل من طاعته وحق لها الاعتراض والاحتجاج وعقد الاجتماعات العامة .

وامست تلك الحريات اساساً وطيداً للتطور الطبقي نحو الديمقراطية ، وامتيازات يغار عليها الشعب ويتمتع بموجبها بحقوق سياسية واسعة تفوق ما كان يتمتع به كثير من الشعوب الاوربية الاخرى .

فبينما كان الشعب في انكلترة مثلاً ، وهي بلاد النظام البرلماني الامثل في اوروبة الى عهد الاصلاح النيابي الذي جرى فيها سنة ١٨٣٢ يتمتع ١٦٠ الف منه ، اي ما يعادل ١ بالمائة من مجموع السكان بحق الانتخاب ، كان الشعب البولوني في اواخر القرن السادس عشر ، يتمتع ٣ بالمائة من مجموعه بمثل هذه الحقوق . وقد ارتفع هذا المعدل حتى بلغ في اواخر القرن الثامن عشر ١٠ و ١٢ بالمائة من مجموع الامة .

وهكذا تبدو لنا الدولة البولونية، منذ القرن السادس عشر، جمهورية ديمقراطية يتولى الحكم فيها ملوك منتخبون بملء الحرية . فالعنصر الفاصل في ماجريات تاريخها لم يكن رغبة استبدادية في

صاحب السلطان ، بل فكرة الشعب ورغبة الجماعة رغبة صادرة عن شورى الرأي . لا مراء بان هذا كثيراً ما كان باعثاً على الضعف والوهن ، الا انه كان يضفي على الحياة البولونية بهجة خاصة تثير الحماس في مكمن النفس .

حافظت بولونيا في العهد الاول من ملوكها المنتخبين على ما احرزته من قوة السلطان . فقد كانت السنوات العشر من ملك اسطفان باتوري ، امير ترانسلفانيا المجري (١٥٦٧ — ١٥٨٦) من ألمع عهود تلك الدولة على الاطلاق . فالانتصارات العظيمة التي احرزها على ايفان الهائل قيصر روسية والتي ادت الى تحرير المقاطعات التي تكون اليوم ليتوانيا ، وانشاء المحاكم العليا من مدنية وعسكرية ، والاصلاحات القضائية الهامة ، وتنظيم جيش المشاة وعنايته بنشر التعليم وانشاؤه جامعة فيلنو (١٥٧٨) التي لعبت وجامعة جاجلون دوراً هاماً في بعث الحضارة البولونية ، كل ذلك جعل عهده من امجد العهود في تلك البلاد . وفي عهد خلفائه الاقربين : امثال سيجسمون الثالث (١٥٨٧ — ١٦٣٢) وابنه فلادسلاس الرابع (١٦٣٢ — ١٦٤٥) لبثت بولونيا محافظة على دورها كدولة عظمى في اوروبة ، بالرغم من الحروب التي جرّت اليها جراً ضد اسوج وتركية وروسية . فقد بلغت حدودهـا ، في مستهل القرن السابع عشر ، اقصى مدى بلغته من قبل ومن بعد . فتاخمت لتونيا واستونيـا ، واشرفت على خليج فنلندا في الشمال ، وبلغت في الجنوب جبـال الكربات وسهول رومانيا . وامتدت من نهر الفارتا غرباً ، الى ما وراء نهر الدنيبر شرقاً ، حتى بطاح مولنسك وبولتافا . فبلغت مساحتها اذ ذاك ١٬٠١٧٬٠٠٠ كلم مربع .

وبالرغم من العداء الذي قام بين بولونيا وتركية وما يكمن تحت هـذا العداء من خطر يهدد سلامتها من الجنوب ، كانت العلاقات بينها وبين الاقطار الشرقية على غاية ما يرام ، ولا سيما مع ايران . وقد ساعدت هذه العلاقات الطيبة على نماء العلاقات التجارية بينها وبين تلك الاصقاع النائية . فكثرا زي التجار البولونيين ومعظمهم من الارمن المستوطنين مدينة لفوف يستوردون البضائع والسلع الشرقية ، فيجلبون من العجم السجاد على اشكاله المختلفة ، ومن دمشق الانسجة الدمشقية الناعمة والسروج والمدى والخناجر البديعة الصنع والاسلحة المنسوبة .

والى هذا العهد ، اي الى اواخر القرن السادس عشر ، تعود تلك الرحلة التي قام بها الرحالة البولوني الامير نقولا خريستوف رادزفيل ، الذي جاب الشرق الاوسط وطاف سورية وفلسطين ومصر وحج الى بيت المقدس سنة ١٥٨٣ وترك لنا عن هذا الطواف وصفاً شائقاً .

الوهن والضعف يدبان في بولونيا — بعد انقضاء عهد الازدهار الذي عرفته البلاد في النصف الثاني من القرن السادس عشر ، اخذت بولونيا تواجه اياما صعاباً وسنين عجافاً ، تسرب

الضعف فيها الى جسم الامة وبدت علامات الانحطاط عليها . واول ما بدا هذا الوهن ، في عهد الملك جان الثاني كازيمير (١٦٤٨ — ١٦٦٨) . فقد طغت على البلاد موجة من الحروب الدامية والغزوات الطاحنة اعملت فيها السيف والنار ، كما يخبرنا بذلك المؤرخ البولوني الشهير هنري سينكيفيكش احد نوابغ الادب في القرن التاسع عشر ، في كتابه المعروف « الكلمات الثلاث او « تريلوجيا » . واول حرب دامية خاضت البلاد غمارها تلك الحرب الهائلة التي شنها من الجنوب القوزاق بقيادة زعيمهم خميالنتشكي (Chmielnicki) يشدّ ازرهم التتار المقيمون في بلاد القرم بعد ان دخلوا في طاعة موسكو ، وقد عضدهم القيصر الكسي ميخائيلوفتش ، فاضطرت جيوش الجمهورية البولونية للحرب على جبهتين عريضتين ، واصبح ثلث مساحة البلاد مسرحاً لحركات الجيوش العدوة ، تعيث فيها فساداً وتبعث الرعب . وقد شاءت الاقدار الهازئة ان يهاجم بولونيا من الشمال بجحافله الجرارة شارل العاشر غستاف ملك اسوج . فانقض على البلاد وارهقها بقضه وقضيضه ، ولم تلبث ان وقعت الارض البولونية في قبضة الاعداء ، ما عدا مدينة لفوف ومنطقتها فصمدت في وجه الغزاة الفاتحين . فطُرد الملك جان كازيمير من البلاد وأُرغم على اللجوء الى ارض اجنبية وامست البلاد وكأنها على قيد خطوة من حتفها .

ومع ذلك فقد تغلبت بولونيا على محنتها الكبرى هذه ، بفضل الدفاع المجيد الذي قام به المجاهد الباسل تشستوخوفا(Czestochowa) احد ابطال بولونيا الميامين ، فاصبحت الكنيسة التي في داره ولا تزال ، قبلة انظار المؤمنين حتى يومنا هذا ، يؤمونها للتبرك والعبادة ، كما يؤمون « لورد » في فرنسا وكربلاء مزار الشيعة في العراق . وبفضل بطولة الامة وتضحياتها الثمينة نجت البلا من خطر الزوال الذي كان يهددها .

وقد دفعت بولونيا ثمن خلاصها غالياً ، فاضطرت للتخلي مرغمة عن قسم جسيم من اراضيها فانتهزت بروسيا هذه الفرصة المؤاتية ونادت باستقلالها واعلنت وحدتها مع براند بورغ . وهكذا اصبحت خطراً دائماً يهدد بولونيا من البلطيق . وقد تنازلت لاسوج عن جزء كبير من اراضي لتونيا واستونيا وعن مدينة ريغا نفسها ، كما اقتطعت منها روسيا البطاح الشاسعة الواقعة عبر الدنيبر حتى سمولنسك ، وسهول اوكرانيا المنبسطة على ضفة النهر اليسرى ومدينة كياف على ضفته اليمنى . وهكذا تقلصت مساحة بولونيا واصبحت ٥٠٠ ٧٣٦ كيلو متراً مربعاً لاغير ، وبقيت كذلك الى محنتها الكبرى ، اذ رمتها الاقدار بالتقسيم واقتطاع الاوصال في اواخر القرن الثامن عشر ، اذ زالت من الوجود كدولة مستقلة .

جان الثالث سوبياسكي ١٦٧٤—١٦٩٦ — ان الحملة التي قام بها الملك جان الثالث

سوبياسكي ، نجدة لفينا ضد الاتراك العثمانيين المحاصرين لها (١٦٨٣) ، لدليل ساطع على امجاد بولونيا العسكرية حتى في اشأم ايام انحطاطها . ومن مميزات هذا العهد ، ايام حكم الملك جان الثالث ، ان نشر العالم اللغوي البولوني الشهير فرنسوا ميناسكي ، اوسع معاجم ذلك العصر واعظمها على الاطلاق ، الا وهو المعجم المعروف : « كنز اللغات الشرقية » بالتركية والعربية والفارسية اذ يعطي معها ترجمة المفردات باللاتينية والالمانية والفرنسية والبولونية . وهو لايزال الى اليوم ، معينا ثميناً يرجع اليها ثقاة المستشرقين .

ومن الامور الجديرة بالذكر هو انه كما كانت فرنسا تقوم بحماية المسيحيين في تركية ولا سيما نصارى سورية ولبنان ، كذلك كانت الحكومة الايرانية تعترف اذ ذاك بحماية بولونيا للارساليات المسيحية العاملة في اصقاعها مما جعل هذه الدولة على اتصال وثيق ببلدان الشرق الاوسط .

كذلك نرى ان مدنية الشرق وفنونه كانت بعيدة الاثر في نشاط بولونيا الفني متمثلة على الاخص في منسوجاتها المزركشة : كالطنافس والسجاد والزنانير وغير ذلك من منتوجات الصناعة البولونية ، التي تحمل رسوماً واشكالاً شرقية الطابع ، بين تركي وعربي وفارسي ، كثيرة الرواج في البلاد .

وما الثياب البولونية الطويلة الفضفاضة التي تعود الى ذلك العهد الا كثيرة الشبه بما نراه من اشكال الثياب واللباس عند العرب في وقتنا هذا ولا سيما في لبنان وسورية .

كان للنكبات التي حلت ببولونيا في محنتها الكبرى ، اكبر الاثر في مصيرها المحتوم . لامراء ان النظام في الداخل ايام حكم الملك يوحنا الثالث ، اخذ في التحسن شيئاً فشيئاً ، وكذلك نهض الاقتصاد الوطني في عهده بعض النهوض . غير ان الحالة العامة كانت ولا شك بعيدة الشبه بما رأيناها عليه في عهدها الذهبي . وادهى تلك الضربات وافتكها اثراً في جسم الامة ، تلك التي نزلت بالادب والعلوم والفنون البولونية . لا يدور في خلدنا قط ان نتكلم هنا عن بعض الشعراء القصصيين : امثال صموئيل تواردوفسكي ، او الاخلاقيين امثال بوتوتسكي في ديوانه : « حديقة التوافه » فهم لا يحتملون المعارضة بمن سبقهم من شعراء عهد ملوك سيجسمون فالبون بين الفريقين شاسع .

اما الكنائس والمعابد وغير ذلك من المباني العامة التي تعود الى هذا العهد ، كقصور الامراء وصروح الاعيان والاشراف ومنازل السكن في المدن بعد كرتبها فقد فقدت ما كان لامثالها من خطوط وشروط هندسية اقتضتها قواعد الفن في عهد الانبعاث وبدت رسومها وخططها تشع ببوادر القلق والارتباك والبلبلة الفنية .

العهد السكسوني ١٦٩٦–١٧٦٣ اعتلى العرش البولوني على اثر وفاة الملك سوبياسكي ملكان من السلالة السكسونية : همـا اوغسطس الثاني (١٦٩٧ — ١٧٣٣) واغسطس الثالث (١٧٥٣ — ١٧٦٣) ولذا ان هذا العهد من تاريخ بولونيا بالعهد السكسوني .

هذا العهد هو من افجع عهود البلاد واسوئها على الاطلاق ، سيقت فيه بولونيا المساهمة بالحرب التي نشبت بين اسوج وروسيا (١٧٠٠ — ١٧١٧) فاضطرت للرضوخ سنة ١٧١٧ لتحديد قواها العسكرية ، واصبحت بالتالي ، فيما بعد كريشة في مهب ارياح السياسة الدولية ، العوبة بين يدي الدول الثلاث الكبرى المجاورة : النمسا، وبروسيا وروسيا التي ابرمت فيما بينها ، في برلين الاتفاق المعروف ب « حلف النسور السود الثلاث » الذي يخول كلا من هذ الدول مجتمعة متضامنة حق التدخل في شؤون بولونيا ومنعها أخذ كل ما من شأنه ان يؤدي الى النهوض بالبلاد من عثرتها .

اما الجماعات البولونية ، وكأنها قد ذهلت عما يهددها من الاخطار المحدقة بها بعد ان اعياها ما توالى عليها من ويلات الحروب والفتن ، فدخلت جموداً قتالاً ، زاد من سمومه طواعيتهـا وقابلياتها للتأثر بألاعيب الدول الاجنبية المجاورة التي لم تكن لتتورع من ادخال جيوشها ، بمناسبة او بغير مناسبة ، في الاراضي البولونية تعيث فيها فساداً . وكان مبدأ الرفض او الفيتو المعترف به لممثلي هذه الدول ، يقضي قضاء مبرمـاً على كل تشريع بولوني في عهد الملوك السكسونيين . وقد زاد الطين بلة والطنبور نغمة خبوت الفكر في بولونيا والانحلال في الداخل وما رافق ذلك من تفكك في جسم الامة وما نجم عن هذا الانحلال من تشعب الاحزاب وتعددها .

ومن حسن حظ الهيئة الاجتماعية في بولونيا ، عدم بقاء هذا الجمود المضني كثيراً . فقد لمع في اواخر هذا العهد فريق كبير من الكتاب وحملة الاقلام ، طالبوا عالياً بوجوب القيام بعمل اصلاحي عام يتناول نشاط الحياة العامة كافة . ومن بين هؤلاء الملك ستانسلاس لكزنسكي الذي كان عهد ملكه قصيراً (١٧٠٤ — ١٧٠٩) . فأنشأ في طول البلاد وعرضها مدارس كبرى مثل معهد الاشراف في فارصوفيا بعد ان قام بتأسيسه ستانسلاس كونارسكي ، واخذت دور النشر تخرج طبعات علمية ممتازة ، كما نشأ فيها مؤسسات ثقافية هـامة : امثال مكتبة الاخوة زالوفسكي المشهورة بفارصوفيا . وهكذا اخذت الحياة العقلية تدب من جديد في جسم الامة البولونية .

نهوض بولونيا منى بدء افناسها — تعالت الاصوات من كل فج وصوب تدعو الامة للنهوض وضميرها للاستيقاظ ، وذلك في عهد العاهل البولوني للجمهورية القديمة ستانسلاس اوغسطس بونياتوفسكي ، آخر ملوك هذه الدولة ، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر .

فبعد ان خنقت الدول الاجنبية المجاورة المحاولات الاصلاحية التي قامت بها في الداخل امراء آل تشارتوريسكي (Zartoryski) وبعد ان اخفق الجهاد المسلح الذي دعـا اليه انصار « حلف بار » ضم هذا الحلف كبار الوطنيين المجاهدين وتم وضعه في مدينة بار من اعمال بودوليا وكان يرمي الى اجلاء الجيوش الاجنبية واستخلاص البلاد من نير الاجنبي واعادة الاستقلال الى الوطن الام (١٧٦٨ — ١٧٧٢) اذ كانت بولونيا تسير مع ذلك، في طريق التجدد والانبعاث .

اغتنمت الدول المجاورة : بروسيا والنمسا وروسيا بمناسبة انحلال حلف بار المذكور ، سنة ١٧٧٣ ، والضعف البادي على بولونيا . واتفقت فيما بينها ، عملاً باتفاق « النسور السود الثلاث » على اقتسام بعض المقاطعات البولونية . فتقلص جسم الدولة ومساحتها الى ٧٣٣،٠٠٠ كيلو متر مربع تضم احد عشر مليوناً ونصف من السكان ، وفقدت بعد التقسيم الاول مـا معدله ٢٠٠،٠٠٠ كيلو متراً من الاراضي وزهاء اربعة ملايين نسمة من السكان . وقامت الدول المنقسمة تعلن على الملاء انها لم تقم بهذا التقسيم الا قضاء على الفوضى المستحكمة في بولونيـا ، وتعويضاً لها (اي للدول) عما لحق بها من خسارة واذى . واخذت تصرح بان هذا التقسيم هو آخر ما تقوم به من الاجراءات . وقد صمّت اوروبة اذنها عن المأساة البولونية بالرغم من احتجاج الملك وارتفاع عقيرة الامة بالنجدة عالياً .

هزت النكبة النازلة بالبلاد الامة البولونية هزة داوية عنيفة، فتعالت الاصوات بالاستغاثة وبالعمل على الخلاص والنجاة . ان تاريخ بولونيا بعد هذا الاقتسام، فمثال رائع من امتع مـا يقدمه التاريخ العام لنهضة قومية والخلاص من الفوضى وتجدد شامل لنواحي نشاط الحياة ، في الامة البولونية من الوجهة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية . وقد سرت في جميع طبقات الامة رغبة صادقة في الاصلاح حدت باوليا الشأن على انتهاج كل ما من شأنه النهوض وتحسين موقف البلاد، بالرغم من العداء الذي كانت تناصبها به الدول المجاورة المشهورة بعدوانها . وخلافاً لما كان يحدث في العهود الماضية ، لم ينقض مجلس الامة في عهد الملـك ستانسلاس اوغسطس اي قرار اتخذه ، بالرغم من حق الفيتو الذي كانت تتمتع به كل من الدول الكبرى المجاورة ، وتأخذ روسيا على الاخص ، مبدأ العمل بموجبه قاعدة لسياستها .

واخذ النشاط يعاود كلاً من الزراعة والصناعة ويعمل على تحسين وسائلها . ونهضت التجارة ، والمدن الكبرى زادت مرافقها : فنمت وتطورت . فأنشأوا في طول البلاد وعرضها الطرقات والاقنية ، مما زاد كثيراً في راحة الاهلين ورفاه السكان .

واخذت كذلـك حالة الفلاحين بالتحسن فتحرروا من اعمال السخرة المرهقة . وزادت مرافق الدولة ومداخيلها واصبح في مقدورها مواجهة جميع النفقات .

ثم في الناحية الفكرية من حياة الامة البولونية في عهد هذا الملك تتطور صادق ، كان من دعائمه الوطيدة إنشاء لجنة التربية الوطنية المؤسسة سنة ١٧٧٣ ، فادت للبلاد اكبر الخدمات ، اذ كانت تقوم بالفعل مقام وزارة المعارف العامة في الدولة . وهي اول مؤسسة نشأت من نوعها في العالم المتمدن ، فاقت مشاريعها التربوية ومناهجها التقدمية ماماثلها من المشاريع والمناهج في الامم الاخرى . فاستقام الامر امام التعليم العام في البلاد واثر تأثيراً بيناً في رفع مستوى الثقافة واذكاء الشعور الوطني والمدني في البلاد قاطبة .

ونهضت الآداب البولونية في عهد هذا الملك نهضة قوية مباركة ، كيف لا وقد تأثرت الى حد كبير بالمذهب العقلي الفرنسي،بينما كان الشعر تتعثر من قبل في قوالب زائفة من المذهب الكلاسيكي .وكان هذا الادب من جهة تعبيراً صادقاً او بالاحرى صدى تلك النهضة الملموسة في مرافق التعليم ، ورجع الانكباب على العالم واستبحار مجاهله ، كما كان من جهة اخرى انعاكسا للصرخات الداولية في الهيئة الاجتماعية الداعية الامة الى الخلاص من سباتها الروحي العميق

ويبدو لنا اول ما يبدو ،النهضة الجديدة في الحياة الوطنية الى درجة سامية في مختلف مرافق الحضارة ، في عهد الملك ستانسلاس اغسطس تجلت ، بأثرها الرائع في الادب السياسي ومن ابرز الكتبة اذ ذاك المصلح البولوني المشهور الكاهن ستانسلاس كونارسكي(Konarski)صاحب الكتاب الذي يناهض حق الفيتو ، هذا الحق الذي كانت تتمسك به الدول المجاورة المعادية فظهر عام ١٧٧٣ ، بعنوان« الطريقة المثلى للاستشارة ».وقد سار على غراره ونهج نهجه السوي فيما بعد ، الاديبان ستانسلاس ستاشير وهوغوكولنتاي ، فبرزا في درس القضايا السياسية والاجتماعية والوطنية . ومن اخص مميزات الآداب البولونية في هذا العصر وفرة المؤلفات الحماسية والحكمية ورسائل الهجو والنقد اللاذع .

اغناطيوس كرازنسكي ــ ويلقب أيضاً بـ « امير الشعراء البولونيين » هو اشهر الشعراء العقليين في هذا العهد . فالشعر الرواني في المأساة او في الألهية ، المتمثل في شخصية فرنسوا زبلوتسكي وغيره من ارباب هذه الصنعة يتطور ويرتقي . كذلك المسرح البولوني ، فـانه يرتدي طابعاً فيه الكثير من القوة والمتانة . وهنالك ، عدا هؤلاء الادباء اللامعين ، نخبة من الشعراء العاطفيين امثال فرنسوا كاربنسكي الذين يذوبون رقة ويلتهبون احساساً ولطافة . فآثارهم الادبية هي خير الطريق التي نقلت الينا الادب الرومنطيقي الوجداني فيما بعد .

وقد اصبح البلاط الملكي في فارصوفيا ، اثناء ملك ستانسلاس اوغسطس ، ملتقى رجال الفن والادب والكتاب والشعراء النابهين يحظون فيه بعطف الملك ورعايته وبالكثير من عنايته بالرغم من الظروف القاسية التي تمر على البلاد فتهددها باسوأ المصير وادهى النكبات. اما الفنون

الجميلة : كالحفر والنقش والتلوين والرسم ، فكانت في الطليعة من هذه النهضة العامة المباركة فاعادت الى الاذهان امجاد العهد الماضي السحيق . وكان في مقدمة هؤلاء الفنانين المصور الطائر الصيت فرنسوا سموغلفيتش الذي حظي برعايته الملك الخاصة . ولمع في هذا العهد ايضا ، كل من بكسياريلي وكنليتو ، اللذان عاشا في البلاط ، كما نبه ايضاً ذكر الفنان جان بيير نوربلين احد مشاهير الفن اذ ذاك .

وقد خص الملك ستانسلاس اوغسطس الهندسة المعمارية بالشيء الوافر من عطفه . فان خير ما انتجه الفن البنائي في هذه الحقبة من روائع البناء ، هو القصر المشهور بقصر لازنسكي في فارصوفيا ، كما اخذوا يطلقون على العاصمة البولونية ، ابتداء من هذا العهد لقب: «باريس الشمال»

وقد كان لتشجيع الملك الادباء والفنانين اكبر الاثر في البلاد . فاخذ الاغنياء والعظماء من رجالات الدولة في نصرة الفن والادب في طول البلاد وعرضها، واصبحت صروح الكثيرين من العظماء مباءة الادباء ومثوى الفنانين وملتقى الكتاب والشعراء .

فرضت الامبراطورة كاترين الثانية بالقوة الجبرية « عهد الضمانة » على بولونيا ، هذا العهد لدي كان يرمي الى ابقاء الفوض في جسم الامة البولونية . فحال مدة طويلة دون كل محاولة اصلاحية في البلاد وقضى على كل نهضة تجديدية فيها . فما كادت تنشب الحرب بحالها بين روسيا وتركيا (١٧٨٧ — ١٧٩٢) ، وتتحسن قليلًا الحالة العامة في اوروبة ، حتى هب المجلس الوطني المعروف بالمجلس الكبير ، لاصلاح البلاد اصلاحاً اساسياً شاملاً جميع مرافق الحياة، وهو يرمي قبل كل شيء الى توطيد سلطة الحكومة ويعود بالنفع العميم على البور جوازية وطبقة الفلاحين وقد ادت هذه الحركة الاصلاحية الى ايلاء الامة البولونية اعز ما يمكن ان تحلم به من عزة ومجد ، هو « القانون الاساسي الذي يُعَدُّ الحجر الاساسي في بناء الامة ، ذلك القانون المعروف ب « دستور ٣ ايار » فاقره المجلس في عاطفة من الحماس الملهبة ووافق عليه الملك . ويعترف الدستور الجديد بان الامة مصدر كل سلطة . وهذا من المبادىء التي تقوم عليها الديمقراطية الحقة . فالتقت على صعيده كل من التقاليد البولونية القديمة واهداف الثورة الفرنسية الكبرى .

وقد كان هذا الدستور في بولونيا اول قانون اساسي من نوعه اعلن في اوربة ، صدر عفواً عن ارادة الامة ونادى به ممثلوها بالاجماع . فهو لا يزال منقوشاً في ضمير التاريخ محفوراً على صفحات قلب الامة البولونية .

لم تكد الامبراطورة كاترين الثانية تهزم تركيا حتى وجهت القيصرة حراب جيوشها المظفرة ضد بولونيا ، وذلك بقصد القضاء على الدستور البولوني الذي تم وضعه بتاريخ ٣ ايار ١٧٩٢ ،

وعلى ما رافقه من الاصلاحات الكبرى التي قامت بها « مؤامرة فارصوفيا » ، كما اعتادت الامبراطورة ان تدعو هذا الاصلاح ، بسخرية وتهكم .

دخلت الجحافل الروسية بولونيا تحت ستار نجدة « الوطنيين البولونيين » المنضمين في « حلف تارغوفيتزا . فهبت البلاد تقف في وجههم صفاً واحداً كالبناء المرصوص، وتولى قيادة الدفاع فيها القائد المشهور كوشتزيوشكو(Koscinszko)الذي سبق له ان اشترك جنباً الى جنب ، مع جورج واشنطون ، في حروب استقلال الولايات الاميركية المتحدة ، يساعده الامير جوزيف بونياتوفسكي ابن اخي الملك . غير ان الجيوش البولونية غلبت على امرها ، فاتفقت روسيا وبروسيا اذ ذاك على اقتسام بولونيا من جديد،تحت ستار القضاء على سموم الروح الديمقراطية الفرنسية التي تهب على بولونيامهددة السلام في اوروبة .

وقد طالب المغتصبون من هذه الامة المغلوبة على امرها الموافقة على هذا الاقتسام والاعتراف بالامر الواقع ، بقرار يتخذه مجلس الامة بالمصادقة العلنية ، في جلسة رسمية تعقد لهذه الغاية . وقد رافق ذلك اعمال العنف والجور وتوقيف الاعضاء المعارضين وزجهم في غياهب السجون . ونصب الروس المدافع وسددوها الى المجلس واحاطوه بالحراب والخناجر اثناء عقده جلسة خاصة عرفت بالتاريخ « بالجلسة الصامتة » التي دام انعقادها اثنتي عشرة ساعة بلا انقطاع ، لانتزاع موافقة المجلس ، التي اعتبرها الغاصب اعتراف الامة بالامر الراهن . وبهذا الاقتسام الجديد تقلصت مساحة الجمهورية البولونية واصبحت ٢٠٤٠٠٠ كيلومتر مربع .

ثورة كوشتزيوشكو — فهاجت الامة لهذه النكبة النكباء ، تحل بالوطن بعد اقتطاع اوصاله على هذه الصورة المخزية ، واعلن الجهاد العام بقيادة تاده كوشتزيوشكو ، الملقب ببطل القارتين : تنويهاً بجهاده في اميركا الى جنب واشنطون وحروبه لاستخلاص الوطن الام سنة ١٧٩٢ . وقامت حروب الجهاد على جبهتين : غربية ضد بروسيا ، وشرقية ضد روسيا . وامتازت باشتراك الفلاحين فيها ومساهمتهم على قدر واسع في النهوض بها . واعترافاً بهذا المجهود تبذله الطبقات الشعبية اعلن قائد الثورة في المنشور العام الذي اذاعه بتاريخ ٧ ايار ١٩٤٧ تحرر طبقة الفلاحين وانعتاقها من كل قيد يرهقها ، بينما لم تكن طبقات الشعب في بروسيا وروسيا تتمتع بشيء من هذا بل تخضع في روسيا للعبودية الفردية . لم تفد كل هذه التضحيات الغالية فتيلاً وقضى الامر المحتوم ، وغلب كوشتزيوشكو على امره لتفوق العدو عليه في العدد والعدد وخر جريحاً مضرجاً بدمائه في موقعة متزيوفتز . ولم يعتم ان دخل القائد الروسي سوفوروف فارصوفيا بعد ان اعمل السيف والنهب في حي براغا احدى ضواحي العاصمة حيث كان الملك لا يزال باقياً ، فاخمدت الثورة في الدم والنار .

— ولم يمض القليل حتى تم الاتفاق من جديد بين الدول الثلاث : بروسيا والنمسا وروسيا على اقتسام ما تبقى من الجمهورية البولونية فيما بينها (١٧٩٥) . فهاجمت البلاد على حين غرة ، ولم ترَ ان تبهر عملها الشنيع باي بيان تذيعه كما في السابق او تطلب اي اعتراف من ممثلي الامة ومجلسها الوطني . ففي ٢٥ نوفمبر ١٧٩٥ اضطر الملك ستانسلاس اوغسطس لتوقيع عهد تنازله عن التاج . وبهذا التنازل قضي على الجمهورية البولونية المؤلفة من اتحاد ليتوانيا وبولونيا ، وبذلك زالت الدولة البولونية من خريطة العالم .

نظرة عامة في زوال بولونيا ونتائجه الخطرة — ان اقتسام بولونيا المتتابع افضى الى اضمحلال الدولة البولونية وزوالها بعد ان بلغت مصاف الدول الكبرى وقامت بدور رئيسي في السياسة الاوروبية ، وذلك على اثر تحالفها مع ليتوانيا وجمع مصيرهما في وحدة مشتركة فعرفت هذه المملكة حقبة تمتد نحواً من مائة سنة ، وهي لعمر الحق، مدة قصيرة في تاريخ الامم والشعوب عانت فيها من عوامل الفوضى ما ادى الى اضعاف قواها السياسية والثقافية ورميها بالعمى والجمود واضطراب حبل الامن في الداخل ، منذ اواسط القرن السابع عشر الى مستهل العصر الثامن عشر . وقد كانت هذه الفترة على قصر مداها ، ضربة قاضية طوحت بمصير البلاد ، مكن لها موقعها الجغرافي المشؤوم واشتداد الاطماع في الدول المجاورة بعد ان استكملت قوتها واشتد منها الساعد .

برهنت الامة البولونية ، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، عن ارادة جبارة وقوة مدهشة حملاها الى النهوض والتجدد وقد اعربت عنهما في تلك الرغبة المخلصة التي حفزت بها الى تقوية الحريات الديمقراطية التي كانت تميز بها نظم البلاد في الداخل وجعلها على مستوى العصر الحديث . الا ان ما انهال عليها من الطغيان الروسي والبروسي وما بليت به من الانقسام المتتابع وتقطع الاوصال ، كل ذلك حال دون بعثها من جديد واقعدها عن النهوض ثانية .

والمحز للنفس ان هذه الجناية وما رافقها من طغيان فساد الاخلاق ، تمت على مسمع ومرأى من الدول الاوروبية ، التي شهدت في غير مبالاة دون ان تهتز هذه المآثم ، راضية قانعة ، لا تبدي ولا تعيد فادت الى سلب امة استقلالها بينما كانت تنزع من كل جوارحها الى النهوض ، وتنشئة الحياة فيها على اسس جديدة . .

والمهم في هذا كله ان ما كان يعتبر ظلماً من الوجهة الخلقية يكون في ذاته غلطة سياسية . وقد خبرت اوروبة بنفسها هذه الحقيقة . في زوال الدولة البولونية من عالم الوجود لبثت الامة البولونية قائمة تشرئب الى الحياة ، ويهزها الفكر ويقيمها مطلب الحق والفن والجمال ، ماضية ابداً في المطالبة بحقوقها السليبة كاملة غير منقوصة ، وتنزع دوماً الى الحرية والاستقلال والعزة القومية .

تاريخ بولونيا بعد اقتسامها (١٧٩٥ ــ ١٩١٨)

المميزات العامة لهذا العهد : لهذه الحقبة من تاريخ بولونيا ثلاث مميزات فارقة :

الاولى — من جهة الدول الغالبة — نرى هذه الدول تميل دائماً لابتلاع الوحدات الجغرافية البولونية وامتصاصها ، مانعة الامة البولونية من احياء تقاليدها الوطنية دائبةبالاشتراك للقضاء على لغتها وميراثها الروحي . وهي ترمي من وراء ذلــك الى تقويض الحضارة البولونية ومحقها من الوجود . وهنالك نزعة اخرى كثيراً ما رأينا المغتصب يعمد اليها ، ترمي الى التعريض بامجاد الامة البولونية والانتقاص منها وامتهانها لتبرير العدوان الاجنبي الذي ادى الى انقسام البلاد وقطع اوصالها .

الثانية — من جهة الامة البولونية — كانت هذه الامة تسعى دوماً لبعث استقلال البلاد والنهوض بها .

الثالثة — حيوية فائقة الحد كثيراً — برهنت عنها الامة جمعاء في منــاحي نشاطها المختلفة بالرغم من عداء الحكومة الروسية والبروسيانية والنمساوية ، وبالرغم من الاضطهادات الدامية التي انزلتها هذه الدولة بالبلاد بصورة فظيعة تتضاءل عندها اقصى عهود الظلم والاستبداد الذي مر على البشرية جمعاء . والامة البولونية فيجهادها الدامي، هي اقرب ما تكون شبهاً بجهاد الامة العربية التي قاست الامرين من الاحتلال الاجنبي الذى سامها العسف والظلم والعدوان صنوفا والوانا ، والتي بقيت تجاهد في سبيل حريتها الى ان قيض لها الله ما كانت تهدف اليه من حرية وسيادة واستقلال .

جهاد الامة البولونية في سبيل الاستقلال : لم يكد يتم الاقتسام الثالث لبولونيــا فيؤدي الى زوالها،حتى قامت البلاد تنظم الجهاد في سبيل بعث سيادتها وسؤددها . ومن اجرأ المحاولات التي بذلت في هذا السبيل المجهود الجبار الذي قام به الجنرال هنري دومبروفسكي المتوفي سنة ١٨١٨ . فقد ربط القضية البولونية اذ ذاك بمصير الثورة الفرنسية الكبرى،وقام البطل كوشتريوشكو ينفخ فيصورها الى ان سقط في جهاده الصادق بعد ان الفت اليه انظار بروسيا وروسيا والنمسا .

ومن الاعمال المجيدة التي تستحق الذكر الآتي العظيمة التي قامت بها الكتائب البولونيــة التي شكلها الجنرال دمبروفسكي في ايطالية سنة ١٧٩٧ ، في عهد الحروب النابوليونية ،فالهبت

القلوب بالحماس واذكت فيهم الآمال برؤية البلاد تتمتع باستقلالها من جديد وتبلورت تلك الامجاد في النشيـد الوطني البولوني الذي تم وضعـه آنذاك ، مردداً : « ان بولونيـ تمت بعد . »

وقد ساهمت الكتائب البولونية في الحروب النابوليونية ولا سيما في مصر فملأت اردان الامة مجداً وفخاراً ، ادت على اثر استرجاع بعض المقاطعات البولونية من بروسيا ، الى انشاء دوقية فرصوفيا التي لم تعمر طويلا (١٨٠٧ — ١٨١٣) ،فربط مصيرها بمصير نابوليون الذي اوجدها فزالت من الوجود على اثر انكساره في معركة ليبزيغ المعروفة في التاريخ : بمعركة الامم : وفيها ناضلت الكتائب البولونية جنباً الى جنب مع الجيوش الفرنسية ، بقيادة الامير جوزيف بونياتوفسكي، احد ابطال الامبراطورية ، الذي سقط في ساحة الشرف وهو يصرخ : « عهدت الي العناية الالهية بشرف البولونيين فلن احنث بهذا الشرف قط . . . (١٨١٣)

بعد مؤتمر فينا — سقط نابليون فقسام مؤتمر فينـا (١٨١٤ — ١٨١٥) ينظم اوروبة جاعلا من القضية البولونية مفتاح العقد البولوني ،فاثارت قضية اقتسام الاراضي البولونية جدلاً حاداً ادى الى اختلاف النظر بين المؤتمرين . فبعد ان اتفقوا على تصفية دوقية فارصوفيا اخذ المقتصبون يحاولون القضاء على جرثومة الحياة في الامة مقتطعين ما لا يزال قائماً من اوصالها .

١ — لم يستبق من هذه الدوقية سوى خمسها فقط اي ما يوازي ١٢٥٠٠٠ كيلو متر مربع لا غير ، عاشت باسم « المملكة البولونية » وقاعدتها فارصوفيا . ويتولى الملك فيهـا الامبراطور اسكندر الاول باسم « ملك بولونيا » ،وقد عهد اليه بمهمة اعطاء البلاد دستوراً اساسياً . وهكذا قضي على البلاد بالانضمام الى روسيا وتأليف وحدة معها يتولى امرها سلالة وراثيه .

٢ اما الاراضي البولونية الاخرى التي ضمت الى روسيا مع ما فيها من الحواضر الكبرى : مثل كوفنو وفيلنو وغرودنو وبيـالستوك ومنسك ولودزك وبودولسك فكانت خارجة عن نطاق حدود المملكة البولونية ، جزء غير متجزىء من املاك الامبراطورية الروسية ، لا تتمتع بشيء من الحرية وحقوق الادارة الذاتية .

٣ — اما ما اصاب بروسيا فهو ما تبقى من اوصال دوقية فارصوفيا القديمة ، اي ما يوازي خمس مساحتها سابقاً ، قاعدتها بوزنان وهي اكبر حاضرة في مقاطعة بوزنانيا ، ومقـاطعة اخرى تدعى بوميرانيا مع مدينتي طورن ودانتزيغ .

٤ — اما ما اقتطعته النمسـا من الاراضي فمقـاطعة غاليسيا وحاضرتها لفوف وقسم من سيليزيـا .

٥ — وقد اختلف المقتصبون على مقاطعة كراكوفيا وما تحويه من مناجم الملح الغنية الواقعة

قرب فيالتشكاربوخينا،فاتفقوا على وضعها تحت حمايتهم المشتركة باعتبارها مدينة حرة اوجمهورية كراكوفيا ، التي صار ضمها نهائياً الى النمسا بعد ١٨٤٨

لم تتمثل بولونيا في مؤتمر فينا باي وفد كان . فاتيح المغتصبين اقتسامها للمرة الرابعة. وقد شذت تركيا لوحدها بين دول اوروبة وابت اقرار هذه القسمة ورفضت الاعتراف بالامر الواقع ومنذ ذلك الحين كثيراً ما نرى بولونيا تضم جهودها الى الجهود التركية طلباً الاستقلال التي كانت تسعى اليه بملء جوارحها .

أمَّن الدستور الذي سنه اسكندر الاول لهذه المملكة عيشاً هادئاً حراً لمدة خمس عشرة سنة ، استطاعت معها البلاد ، بالرغم من تقلص رقعتها البالغة ١٢٥٠٠٠ كيلو متر مربع والتي كانت تضم زهاء ٣ ملايين من السكان،من ان تنصرف الى ترقية مرافقها الحيوية والعناية بامورها الاقتصادية والاجتماعية: وهمها في ذلك ان تثبت لمل، مقدرتها على الحياة والبعث الوطني وجدارتها للاستقلال .

غير ان وجود هذه المملكة الجديدة ، كان بحد ذاته ، من سخرية القدر . كيف لا وهي مملكة حيل قسراً بينها وبين اجزائها الاساسية ، تنبسط بين نهري البوخ والنيمن وقد شدّ مصيرها الى مصير البلاط الروس ، فهل من عجب ان يشك القوم في بقائها ، بعد ان توفرت بين الامتين عوامل الاحتكاك واسباب النفور ؟ . ولم يكد الامبراطور نيقولا الاول يعتلي العرش حتى اخذت تعدياته تتوالى على الدستور البولوني مما ادى الى الانفجار السريع لاسيا وهو مشهور بنزعته الاستبدادية .

ثورة تشرين الثاني ١٨٣٠ — ١٨٣١ — انطلقت الثورة في ٢٩ نوفمبر ١٨٣٠ كالمرجل في طول البلاد وعرضها مرتكزة على فارصوفيا . وقد اعتنقتها الامة جمعا ودعا اليها المؤتمر الوطني الذي اقرّ في اجتماعه المنعقد بتاريخ ٢٥ يناير ١٨٣١ خلع نيقولا الاول واسقاط ملكية آل رومانوف وطردهم من البلاد . كانت الثورة مثاراً لاعمال بطولة رائعة ، عمت نيرانها جميع ارجاء البلاد حتى شملت ليتوانيا ، واخذت اوروبة تنظر اليها باعجاب دون ان تحرك ساكناً او ان تقف الى جنب هذا البلد الصغير في مصطرعه ضد روسيا الجبارة .

انخذلت قوى الثورة ضد جحافل روسيا الجرارة وبعد ان احتل الروس مدينة اريفان في ايران اخذت جيوشهم تشدد الحصار على مدينة فارصوفيا التي سقطت في اكتوبر ١٨٣١ . كان من نتائج هذه الثورة التي كلفت كلاً من الجانبين كثيراً من الدماء والدمار ان منعت القيصر من توجيه جيوشه المظفرة بعد غلبتها للعجم في موقعة تركمنشاه (١٨٢٨) وانتصارها على تركيا (١٨٢٩) الى اوروبة الثائرة في وجه النظام الذي اوجده مؤتمر فينا وقد اعتقد الجميع هنا وهنالك في اوروبة،

ان ثورة ١٨٣٠ لم تكن الاجهاداً في سبيل حريتنا وحرية جميع الشعوب فانقذت فيا انقذتـه الملكية في فرنسا بعد ثورة تموز ، واستقلال بلجكا سنة ١٨٣٠ . الا انها انزلت في بولونيـا كثيراً من البلايا .

حركة المهاجرة بعد ١٨٣١ — ومن المصائب الكبرى التي بليت بها البلاد عقب هـذه الثورة تلك الدعوة الحارة الى المهاجرة التي اشتدت حركتها جداً بين الجيش ، والنخبة الممتازة من الرجال السياسين في البلاد ، وقد أيدتها بقوة الطبقات المفكرة في الامة والطبقات الاجتماعية العليا الاخرى . وقد انتشر المهاجرون البولونيون في كل اقطار العالم ولاسيا في باريس .

ومن بين هؤلاء المفكرين كبار حملة الاقـلام من البولونيين نرى آد متزكيفتش (Mieckiewicz) (١٧٩٨ — ١٨٥٥)، وجول سلوفتسكي (١٨٠٩ — ١٨٤٩)وسيجسموند كرازنكي (١٨١٢ — ١٨٥٩) وكلهم من مشاهير المدرسة الرومنطيقية وغيرهم كثيرين امثال المؤرخ الشهير لوليفل والموسيقى الخالد شوبين . وقـد ارتفع على الاخص في باريس صوت الأمير تشارتورسكي (Kzartoryski) .

يدعو الرأي العام في العالم الى الاهتمام بالقضية البولونية وبما تتكشف عنه من المآسي المفجعة .

اما القادة البولونيون الذين اشتركو في هذه الثورة فقد رأوا ان ينخرطوا في خدمة الجيوش العاملة في بعض البلدان المجاورة ، وهم انما يرمون من وراء ذلك الى كسب عطف هذه الشعوب اذا مادعاهم داعي الجهادثانية في سبيل امتهم . وهكذا اخذالقائدانسكينتسكي و كروشفسكي على عهدتهما امر تنظيم الجيش في بلجكا ، كما قام الجنرال دمبنسكي بمهمة عسكرية في وادي النيل ، بين ١٨٣٣ — ١٨٣٤ ، اي في عهد محمد علي باشا الكبير آخذ على نفسه تدريب جيوش الخديوي في مصر وسورية . وقد احبطت مهمته بفضل تدخل السياسة الروسية . وقد عرض بعض كبار الضباط خدماتهم على الحكومة المصرية وتولى فريق منهم ١٨٣٣ — ١٨٣٤ القيـام بابحاث جيولوجيه مائية وهندسية في سورية ولبنان كان الفرض منها انماء موارد البلاد والنهوض بمرافقها الحيوية . وقد امب القائدان البولونيان بيم (Bem)ودمبنسكي في هنجاريا ، فيا بعد دوراً هاماً فيتنظيم الحركة الوطنية هنالك واشتركا فعلاً في كثير من اعمالها . و ساهم القائد البولوني خشانوفسكي في تكوين الوحدةالايطالية وتدعيم المطالب القومية الايطالية ضد النمسا . وانخرط القـادة بيم وبشيخونوفسكي وإيلنسكي في الجيش العثماني وقضى القـائد بيم نحبه في حلب ، سنة ١٨٥٠ . ودخل القائد بوروفسكي في خدمة الجيش الايراني وقتل في حصار هراة سنة١٨٣٨[1]

١ بين المهاجرين البولونيين اذ ذاك المرسل اليسوعي الاب مكسيمليان رلّلو (١٨٠٢ — ١٨٤٨) الذي كان بين ١٨٣٨ — ١٨٤٣ الداعية الاكبر الى تأسيس كلية بيروت (الكلية الاسيوية) التي انبثقت منها فيا بعد الكلية اليسوعية او كلية القديس يوسف .

الجهاد في سبيل الاستقلال (نصف القرن التاسع عشر) — لم تكن ثورة نوفمبر ١٨٣٠–١٨٣١، آخر دعوة للامة البولونية لامتشاق الحسام في سبيل الاستقلال ونفض غبار الذل عنها بعد ان ساءت حالة البلاد وسلط عليها الطغاة اضطهاداً منظماً سالت معه الدماء سيولاً . وكانت نفوس البولونيين تشرئب الى الحرية وتنزع دوماً الى رؤية البلاد ناعمة بالاستقلال والسيادة ، كما كان المهاجرون في الخارج ينفخون في رماد الثورة ويدعون اليها بملء جوارحهم ، فقامت في البلاد فتن عديدة تمكن المستعمرون من القضاء عليها . واليك الآن اهم تلك الفتن التي نشبت في البلاد بعد ثورة ١٨٣٠ — ١٨٣١

١ — ثورة ١٨٤٦ — المعروفة في التاريخ بثورة كراكوفيا ، انتهت بمذابح غاليسيا على يد النمساويين .

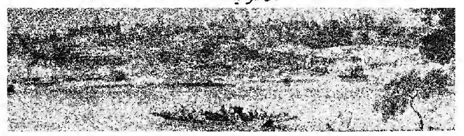
٢ — ثورة ١٨٤٨ اعلنت في كل من المقاطعات الثلاث واشتدت وطأتها على الاخص في بوزنانيا على اثر اعلان الثورة الفرنسية في باريس سنة ١٨٤٨ ، وتغلغل روحها في الوطنيين اللبنانيين .

٣ — ثورة ١٨٥٠ — ١٨٥٥ ، اثناء حرب القرم ، اذ مدت كل من فرنسة وانكلترة يد المساعدة الى تركيا وآلتا الوقوف في وجه التبسط الروسي في الشرق . فقام البولونيون يعدون العدة لمحاربة روسيا ويحشرون جيشاً لهم في تركيا . وكان الشاعر البولوني الملهم آدم ميتز كفيتش يلهب صدور بني قومه بقصائده الحماسية الى ان مات في الاستانة حيث كان معروفاً باسم صادق باشا .

ثورة يناير ١٨٦٣ — اعلنت الثورة العامة وبلغت ذروة الشدة في القسم الروسي ، اي في الجزء القديم الذي تألفت منه المملكة الدستورية ، وامتدت الى باقي المقاطعات واستمرت حتى سنة ١٨٦٥ . وقد كانت ثورة لا هوادة فيها وحرباً لا تبقي ولا ترحم . وقد ساعد على شبوب الفتنة الامل بمعاضدة فرنسا بعد ان قام العاهل الفرنسي الامبراطور نابليون الثالث بمساهمة فعالة في تكوين الوحدة الايطالية . فهل يتقاعس عن نجدة بولونيا ويترك تذهب جزافاً التضحيات الغالية وذلك الحماس الذي الهب الشعراء به نفوس الثائرين فهبوا الى امتشاق الحسام ، غير هيابين ولا حاسبين للصعاب اي حساب ؟ وسارعت حكومة الثورة الى التصريح عن استعدادها بتوزيع الارض على الفلاحين وبانعتاقهم من نير الاستعباد ، معلنة بان جميع السكان هم مواطنون احرار ومتساوون امام القانون .

اخمدت الثورة بالدم دون ما شفقة او رحمة وكان ذلك ايذاناً بعهد جديد من الظلم والاضطهاد لم تعرف البلاد اسوأ منه قط ، قبض فيه المسيطر الروسي على مقدارات البلاد بيد من حديد .

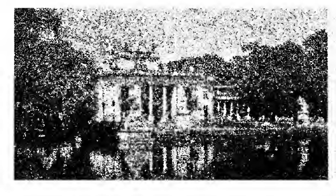
فارصوفيا



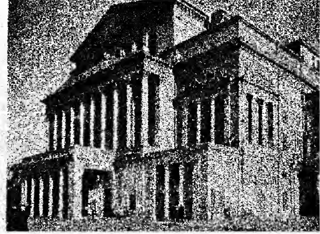
منظر عام لفارصوفيا في القرن السابع عشر – من رسم الفنان بلاربيرغه



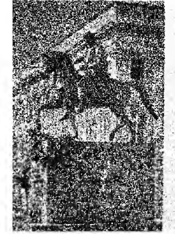
القصر الملكي وعمود الملك سيجسموند الثالث



قصر لازنكي الملكي



الاوبرا الملكية

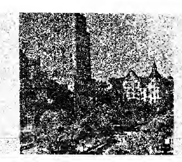


نصب الامير بونياتوفسكي
القائد الاعلى للجيش البولوني القرن ١٨-١٩

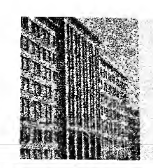
فارصوفيا



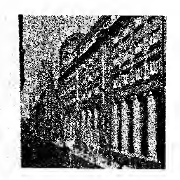
مصرف الاقتصاد الوطني



احدى ناطحات السما، في الوسط التجاري



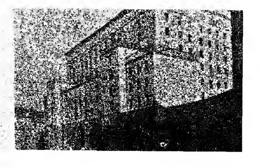
وزارة المواصلات



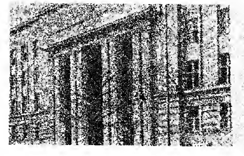
شارع الوسط التجاري



جادة اويزووفسكي محلة سكن



نزل الطلبة (٢٠٠٠ غرفة)



وزارة التربية الوطنية

حالة البلاد العامة من ١٨٦٣ — ١٩١٤ — تثاقلت وطأة الاباطرة الروس على المقاطعات البولونية المضمومة الى ممتلكاتهم واخذوا الاهلين فيها بالشدة والعنف . وقد سبق لهم ان عطلوا الدستور بعد حوادث١٨٣١وضربوا باحكامه عرض الحائط وادمجت المقاطعات البولونية في صلب الامبراطورية الروسية وعرفت بمقاطعة الفستول . فزالت منها كل معالم الحكم الاستقلالي الاداري ، وحل محلها نظام سداه الارهاق ولحمته الارهاب والعسف . واخذ الروس في « صقلبة » البلاد . فالتعليم العام اصبح فيها روسياً وحظر على الاهلين الاهتمام بصورة منظمة بالامور الثقافية والعلمية . وقد تم توزيع الاراضي على الفلاحين بصورة تبعث دوماً على الخصومات والخلاف المستمر بين كبار الملاكين والفلاحين .

تلك كانت حالة الاهلين في بولونيا الام . اما في المقاطعات الاخرى التي ادمجت في جسم الامبراطورية الروسية فلا تسل عما كان يعانيهُ الاهلون فيها من صنوف العذاب والاضطهاد . فقد سيموا من العذاب الوانا بصفتهم بولونيين وجردوا من الحقوق المدنية واصبحت حالتهم اسوأ من حالة العبيد الارقاء ، وحرموا حتى من حق شراء الارض والاطيان ومن التكلم بلغتهم في الخارج ومن حق ممارسة الوظائف العامة . وقد سدد الطغاة سهام نقمتهم بنوع خاص الى الكنيسة الكاثوليكية اذ اعتبروا ما فيها من نظم نواة صالحة يلتف البولونيون حولها ويتكتلون حفاظا على تقاليدهم الوطنية .

وبقيت بولونيا والبولونيون يتسكعون في هذه الحالة وترسف البلاد في سلاسل الذل والاضطهاد الى الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤ اذ خرجت منها الامبراطورية الروسية مهشمة الاوصال تجر اذيال الخيبة والانكسار . فأعلنت الثورة الروسية مما ادى الى تلطيف حالة البولونيين بعض الشيء . واضطر الامبراطور الى اعلان بعض الحريات العامة وانشاء مجلس النواب المعروف « بالدوما » . ومع ذلك بقيت حالة البولونيين حالة مريرة عصيبة بالرغم مما نالوه من التوسيع في بعض الحريات على اثر الحرب اليابانية الروسية والثورة الروسية التي عقبتها .

الملحقات البولونية في بروسيا اثناء النصف الثاني من القرن التاسع عشر الى ١٩١٤ — لم يلحق بالجاليات البولونية في الاراضي البروسيانية اي اضطهاد او طغيان من قبل السلطات الالمانية طالما كانت الحكومة المركزية في المانيا ضعيفة الجانب . ولم يكد يتولى بسمارك الحكم حتى نهج في البلاد سياسة شديدة الشكيمة ترمي الى « جرمنة » البولونيين اي الى طبعهم بالطابع الجرماني الخاص . وقد تشدد في هذه السياسة الى درجة الغلو ، وذلك على اثر الانتصارات الحربية التي ظفر بها الالمان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر واعلان الامبراطورية الجرمانية اذ كانت ترمي سياسة اولياء الشأن فيها الى استئصال شأفة العناصر البولونية من المقاطعات الجرمانية .

ولم تؤد السياسة الالمانية المستهدفة تجريد البولونيين من ممتلكاتهم وارهاقهم بصنوف الظلم والهوان واضطهادهم في لغتهم وثقافتهم وفرض اللغة المانية على الناشئة البولونية في المدارس وارغامهم على استعمالها حتى في صلواتهم ، الى اي شيء مما رمى اليه الطغاة . بل على عكس ذلك ، ادى هذا الارهاق الى بعث روح الاخوة والتضامن بين الشبيبة البولونية وحملهم على مقاومة الطغيان الجرماني والاجراءات الاستبدادية البغيضة . وقد عرفت مقاطعاتهم البولونية الخاصة ازدهاراً اقتصادياً باهراً ونهضة فياضة للروح القومية بينهم .

الملحقات النمساوية غاليسيا — اما في الملحقات التابعة للنمسا فقد تمتع البولونيون في عهد السيطرة النمساوية على غاليسيا بحريات لم ير مثلها ابناء جلدتهم القاطنون روسيا او بروسيا . وقد زادت حالتهم تحسنا على اثر تنظيم الدولة النمساوية واعلان الملكية الدستورية على اساس الاتحاد النمساوي المجري (١٨٦٧) والاعتراف للقوميات الاخرى بحريات واسعة ضمن الاستقلال الاداري . وكانت ولاية غاليسيا تتمتع كغيرها من الولايات الامبراطورية بادارتها المركزية يشترك فيها البولونيون والنمساويون على السواء . وكانت اللغة البولونية لغة رسمية الى جانب اللغة النمساوية تتعلمها الناشئة البولونية بعيدة عن كل ضغط . وقد اتيح للكليات والمعاهد الثقافية العليا ، لا سيما لجامعتي كراكوفيا ولفوف العناية بحرية بالاداب والفنون ، واستطاعت اكاديمية العلوم وغيرها من المؤسسات الثقافية العليا الانصراف الى كل ما يمت بصلة او سبب الى العلوم والفنون والحضارة دون ما حرج او لوم او تثريب .

الهجرة البولونية في اواخر القرن التاسع عشر وبدء القرن العشرين — هنالك ملايين من البولونيين لم يكونوا ليرتاحوا الى ما يعانونه من استثناء القانون او الى تجريدهم من حقوقهم المدنية ومنعهم من ممارسة الوظائف العامة واغتصاب ممتلكاتهم . فقد آثروا الهجرة الى حيث يستطيعون العيش بحرية بعيدين عن كل ضغط او ارهاق . فهنالك زهاء مليون من البولونيين هجروا الى المقاطعات الروسية في اوروبة الشرقية او في آسية منصرفين الى الاعمال الزراعية بينما اتخذ بضع مئات من الالوف عملاً لهم في الصناعة الكبرى الناشطة على مقربة من المناطق التعدينية (رينانيا ووستفاليا) وعشرات الالوف غيرهم طلبوا الارتزاق في مناطق الفحم في فرنسة .

وهنالك كثير من الجوالي البولونية قصدت العالم الجديد فاستوطنت جالية هامة منهم سهول البرازيل (ولاية بارنا) واخرى سهول كندا . وقد جاء فريق عظيم منهم واستوطن الولايات المتحدة الاميركية حيث كان عددهم ١٩١٣ يربي على ثلاثة ملايين ، وكانت شيكاغو على الاخص ثاني مدينة بولونية في العلم بعد فارصوفيا . بجاليتها الكبرى التي زاد عددها على ٣٠٠,٠٠٠ نسمة .

حالة الامة الروحية والمجاري السياسية في هذه الحقبة ـــ بعد ان فشلت ثورة ١٨٦٣، انصرفت عناية الامة الى العمل المجدي الى القيام بالاشغال التي تؤول الى نهوضها المادي والادبي . وقد نحا البعض من افرادها البارزين باللائمة على الاعمـــال الثورية ونعتها بكونها اعمالا جنونية، داعين الى الاقلال من نظم القريض والتخفيف من وطأة الادب على حياة الامة كما تناول غيرهم بالانتقاص والتجريح ماضي البلاد المجيد .

كانت القضية البولونية قبيل الحرب العالميـة الاولى نسياً منسياً في الاذهان لا تخطر على بال احد حتى في اشد الاوساط تمسكاً بالحرية . وقد زالت من الوجود تلك الاوساط التي كانت في اوروبة تعطف على بولونية وترغب في بعثهـا . فاصبحت اوروبـة قليلة الاكتراث، ضعيفة الاهتمام بكل ما يحدث في فارصوفيـا وفيلنو، في كراكوفيا او في بوزنان . واشاحت الدول الاوروبية بوجهها عن بولونيا كما زهدت فيها امم الارض . اما بولونيا فكانت تتربص السوانح المؤاتية والفرص المناسبة للمطالبة بحقوقها السليبة . واتفقت كلمة الاحزاب السياسية القائمة اذ ذاك على النهوض بالبلاد وبعثها القومي ولم تكن لتتباين شكلًا الا من حيث الوسائل المؤديـة الى تحقيق هذا الهدف .

ليس من ينكر ان العهد اذ ذاك هو عهد الفلسفة الوضعية فلم يكن من المستهجن قط ان نرى في مختلف الملحقات البولونية بعض مجـــار فكرية ترمي الى المصالحة والمهادنة مع المغتصبين، وذلك لاعتبارات عملية ولاختبارات دامية مريرة كلفت الامة البولونية فيضاً من الدماء والدموع . الا انها نزعات فردية تضاءلت امام اجماع الامة واحزابها السياسية التي كانت ترفض الخضوع والخنوع .

الحرب العالمية الكبرى ١٩١٤ ـــ ١٩١٨ وبعث الاستقلال من جديد ـــ

نرى في فجر سنة ١٩١٤ الدول المقتسمة لبولونيا تناصب بعضهـا بعضاً العداء الشديد وتسعى للانقضاض على بعضها . فكانت الارض البولونية مسرحاً للجيوش العدوة دارت فيها رحى الحرب سجالاً اشتد عليها الكر والفر . فبدا للجميع قرب زوال النمسا من الوجود وسقوط سلطة القيصر نيقولا الثاني وقيام الثورة الشيوعية البلشفيكية وبـدء عهد جديد في روسيا، وتحطيم الجيوش الالمانية بعد انكسارها الشنيع . واذ ذاك نشطت المنظمات البولونية الى العمل في خطة مزدوجة . فاخذت اللجنة الوطنية ومركزها باريس، تطلب بالحاح بزعامة رومان دموفسكي واغناطيوس باديوفسكي انشاء دولة مستقلة تضم جميع الاراضي البولونية القديمة، وعمدت منذ ذلك الحين الى انشاء جيش بولوني وطني يساهم في الاعمال الحربية على الاراضي الفرنسية واخذ الجنرال بلصدسكي منذ انفجار الحرب، ينظم هـو ايضاً مـن جهته، في قلب البلاد وحدات

نظامية عسكرية تعمل في سبيل استقلال الوطن، فكانت اعمالها صورة مثالية لما رايناه من حركة المقاومة السرية فى الحرب العالمية الثانية . وقد حاربت هذه الوحدات الجيوش الالمانية في عام ١٩١٧ و ١٩١٨ .

وارغمت المانيا بالتالي على الرضوخ والتسليم بالمبادىء العالية التي ضمنها الرئيس ولسن تصريحه المشهور والاعتراف بالنقاط الاربعة عشر التي تصح ان تكون ركناً وطيداً لسلام دائم في عالم ما بعد الحرب يرمز الى العدالة والحق والحرية . وقد نصت المادة ١٣ على ان احد اهداف الحرب الرئيسية هو اعادة بناء بولونيا كوحدة مستقلة تتصل بالبحر .

وفي نوفمبر ١٩١٧ رجع بلصدسكي من مجدبورغ حيث كان معتقلا هو والجنرال سوخفسكي وتم تجريد القوى الالمانية المحتلة في بولونيا من السلاح وذلك على يد المنظمات العسكرية البولونية . فاتيح للبلاد اذ ذاك ان تنعم من جديد بحياة حرة مستقلة كما اتيح من جهة اخرى للبلاد العربية ولشعوبها المختلفة ان تتمتع بنعمة الاستقلال بعد الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨) وتسترجع حرياتها السليبة بعد انكسار الدولة العثمانية وانسحاب جيوشها من تلك الاقطار .

البعث البولوني

نشأة الدولة البولونية

بعثت بولونيا بعد١٢٥سنة من فقدانها للاستقلال ، في ظروف صعبة جداً . كيف لا وقد استنزفت الحرب وويلاتها منها الدم وزرعت في طول البلاد وعرضها الخراب والدمار، وبرز كيان الدولة السياسي والبلاد تتحسس لحاجة الملحة الى تنظيم الادارة والمالية والجيش . وهي بعد مبهمة الحدود، غامضة التخوم .

ما كاد ينهار النظام القيصري حتى أعلن الغاء تلك المعاهدات التي قضت بتقسيم هذه الدولة ونودي باستقلال البلاد معترفا بوحدتها وسيادتها وذلك من قبل الحكومة الروسية عام ١٩١٧ ومن قبل الحكومة البولشفية التي ترأسها لنين عــام ١٩١٨ ، وقد وُصف اقتسام بولونيا في التـاريخ كجريمة نكراء تقع مسؤوليتها على العهد القيصري البغيض كما اعربت الآمال عن رؤية بولونيا سيدة نفسها مستقلة تجمع في احضانها تلك الاجناس التي عاشت معاً اجيالا طويلة موفرة للجميع الضمان المنشود والاستقرار الوطني والقومي معاً .

وقد قالت الحكومات الحليفة نفسها بالمبادىء التي اعلنها ولسن والتي تستدعي حتماً اعادة الاستقلال الى بولونيا . غير ان تباين الرأي بين الدول المنتصرة والمؤامرات المدبرة وخطر الثورة الروسية وتخاذل الغير من ابناء البلاد في توطيد دعائم الدولة ، كانت عوامل جدية حالت دون تركيز اسس الدولة الناشئة . واذا اضفنـا الى ذلك امتنـاع حل المشاكل الدولية المعقدة التي نتجت عن الحرب العـالمية الاولى ، بدت لنا باوضح معـانيها الصعوبات الجمة التي حالت بدءاً ، دون تنظيم هذه الدولة الناشئة وبعثها في جو مشبع بالعدل والحق والوئام .

ومما ساعد على تشكيل هذه الدولة المساعي العظيمة التي قام بها المواطن البولوني بادارفسكي (Padarewski) وقد ناصره في جهاده الوطني الرائع اللجنة الوطنية البولونية في باريس بعد ان تولت الدفاع عن القضية البولونية الحقة امام مجلس الدول العظمى خلال الحرب واثناء مفاوضات الصلح .

وقد جاء الحل النهائي المنتظر محققاً آمال البلاد بفضل جهاد الامة التي قيض لها بعناية آلهية ان يتولى زعامتها ، في هذه المطفة الخطرة من حياتها ، قائد حديدي الارادة ، حديد النظر ، ثاقب الرأي ، وحكيم مجرب وسياسي خبير هو جوزيف بلصدسكي (Pilsudski) فاضطر ، وهو يقوم

بتنظيم البلاد في جميع مرافقها ، ان يقف في وجه الغزاة وان يصمد للمصاعب التي هبت عليه من جميع الجهات : كرفض الالمان اخلاء بولونيا الغربية وهجوم التشيك على مقاطعة تشيتين (Cieszyn) ، وثورة الاوكرانيين بمساعدة النمسا في غاليسيا ، وادهى من ذلك كله ، الخطر المداهم البادي من روسيا السوفياتية .

بالرغم من تصريحاتهم الرسمية التي يشجبون فيها اقتسام بولونيا ، قام المسيطرون الروس بغزو بولونيا الشرقية . واستمرت الحرب بين الدولتين طيلة ١٩١٩ — ١٩٢٠ ، وكان الغرض الحقيقي الذي هدف اليه السوفيات بعد ان سفروا عن حقيقة اطماعهم ، حمل مشعل الثورة الاجتماعية في اوروبة باجمعها ، بعد أن تسير على جثمان بولونيا ، كما جاء في نداء رسمي .

وقد كان للنصر الرائع والحاسم معاً الذي احرزته في آب ١٩٢٠ الجيوش البولونية بقيادة بلصدسكي ، اكبر النتائج ، اذ جعل كلاً من بولونيا واوروبة حتى وتركيا في منجاة من هذا الخطر . فانهزمت خمسة جيوش سوفياتية جرارة تحميها الوف من المدافع وتمزقت صفوفها وتشتتت وحداتها في بروسيا الشرقية ، وجد الجيش البولوني المنتصر في اثر القوى الروسية المتراجعة مئات الكيلومترات الى الشرق . فتنفست البلاد الصعداء .

وهكذا بفضل العون الالهي ، اخذت المقاطعات والمدن التي تم تحريرها من النير الاجنبي تنضم تدريجياً ، الواحدة تلو الاخرى ، الى الوطن الامم . فاندمجت في هيكل هذا الوطن كل من بوزنانيا وغاليسيا الشرقية بما فيها لفوف ، وبوميرانيا على سواحل البحر البلطيق ، ومقاطعة فيلنو العزيزة على قلب البولونيين ، وسيليزيا بعد ان ثارت بزعامة كورفنتي (Korfanty) ناشدة الالتحاق بالوطن . وقد اعطت الامة جمعاء في هذه الظروف العصيبة من تاريخها مثالاً رائعا من البطولة والتضحية المتفانية والتضامن الوطني والثبات في العزم ومقدرة فائقة على التنظيم .

وبعد ان وضعت الحرب اوزارها في البلاد ، بذلت الحكومة في الحقل الديبلوماسي جهوداً شاقة في توطيد دعائم الاستقلال واستكمال عدته الدستورية والحقوق الدولية بعقد الاتفاقات المواثيق التي من شأنها تعضيد هذا الاستقلال وتركيزه . ففي معاهدة فرسايل ، مثلاً ناضلت في سبيل تحديد تخومها الغربية والشمالية ، وعقدت مع روسيا معاهدة ريغا (١٨ —٣— ١٩٢١) واشرفت على استفتاء عام في كل من بروسيا الشرقية وسيليزيا العليا ، وقامت بتحديد الخطوط الفاصلة ، في الشرق ، بينها وبين الاتحاد السوفياتي ، وحملت الدول العظمى على الاعتراف بالتحاق مقاطعة فيلنو بالوطن الام (اذار ١٩٢٣) كما اعترفت بذلك الولايات المتحدة الاميركية فيما بعد .

تطور النظام الدستوري واستقرار الحالة الداخلية في البلاد ١٩١٨ — ١٩٣٩

الدور الاول ١٩١٨ — ١٩٢٦ — تولى قيادة الامة منذ البدء المارشال بلصدسكي

(تشرين الثاني ١٩١٨) واخذ على نفسه ، والبلاد لاتزال تعاني ويلات الحرب . ان يوجه بولونيا توجيها سياسياً واجتماعياً يضمن لها الازدهار . ولكي يوطد في البلاد النظام الديمقراطي دعا الى الانعقاد المجلس التأسيسي الذي تم انتخابه في انتخابات عامة حرّة .

ولقد جرى الاتفاق ، بادىء ذي بدء على الاخذ بمبادىء سياسة اجتماعيـة تتفق والتطور الاجتماعي في البلاد وتؤمن العدل للرعية بالسوية وعلى هـذا المبدأ تولى رئاسة الحكومة الاولى المجاهد الوطني الاشتراكي موراتشفسكي (**Moraczewski**) . وجاءت بعده وزارة بادارفسكي لتؤمن مساهمة عناصر احزاب اليمين التي كانت تعمل بوحي من لجنة باريس الوطنية . ولم يكن ليخفى قط على حصافة بلصدسكي بان موقف بولونيا الدقيق كان يقتضي المحـافظة على التوازن السياسي والاجتماعي بين احزاب البلاد . وعندما اجتمع المجلس التأسيسي في شباط ١٩١٩ ، أقر بالاجماع ، سياسة بلصدسكي بوصفه زعيما وطنياً .

واول عمل خطير اقره المجلس كان له اثر ظاهر على مصير الدولة الناشئة هو مشروع الاصلاح الزراعي الذي جرت المصادقة عليه في تموز ١٩١٩ . وقد اقر المجلس ايضاً في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٧ اذار ١٩١٩ مشروع التنظيم الداخلي في الدولة . وقد بني على اساس النظام النيابي الفرنسي الموضوع عام ١٨٧٥ ، ومن مميزات هذا النظام البرلماني جعل التفوق في السيطرة للسلطة التشريعية ، معترفاً للبرلمان بصلاحيات واسعة ، تحد جداً من اختصاص رئيس الجمهورية وصلاحياته اذ تجعل له صفة تمثيلية على الاكثر ، كما تجعل للسلطة التنفيذية في الدولة الدور الثاني . وقد دل الاختبار الطويل في مزاولة الحكم بفرنسا على نتائج هذا التشريع الخطيرة ، الكامنة عـلى الاخص في عدم الاستقرار وتوالي الحكومات وتعاقبها السريع ، مما يجعل من العسير جـداً توطيد الامور في دولة ناشئة .

لم يكن بلصدسكي ليوافق على الدستور المعين في اذار فرفض ان يرشح نفسه لرئاسة الدولة مؤثراً ان يبقى بعيداً عن الحكم والانظار . وكان من نتائج التمثيل النسبي وتأزم الحالة السياسية والاجتماعية في البلاد ان دخل مجالس النواب البولونيـة عدد كبير من الاحزاب السياسية جعل من المتعذر جداً قيام اكثرية ثابتة واضحة اللون والاتجاه تسير النظام الموضوع عام ١٩٢١ ، وزاد الاضطراب المالي الموروث عن العهد الماضي كما زاد الخراب المتراكم في البلاد من صعوبة ايجاد التوازن الاقتصادي . وبعد جهد صادق تمكنت الحكومة عام ١٩٢٤ من ايقاف التدهور المالي اذ اوجدت نقداً جديداً وحدته الذهبية « الزلوطي » الذي يعادل فرنكاً ذهباً . وما لبث النقد الجديد ان تدهور ثانية في السنة التالية ، وبدا العجز في موازنة الدولة خطراً جسيما يهدد بكارثة وطنية . وقد زاد الحالة حرجاً تدخل بعض العسكريين السياسيين ومناهضتهم لكل تعاون بين الاحزاب او بين المجلس والحكومة .

عهد بلصدسكي — اخذ الوهن يدب الى جسم بولونيـا بين ١٩٢١ — ١٩٢٦ من جراء الازمات الوزارية بينما الحالة الديبلوماسية بـدا خطرها واضحاً عـلى البلاد من جراء الاتفاق السوفياتي الالماني ونزعات الديموقراطيات الغربية وميثاق لوكارنو. كل ذلك حمل المرشال بلصدسكي على الخروج من عزلته والتدخل في مقدرات البلاد . واذ بالحالة تنفجر على اثر رفض المقترحات والملاحظات التي اعرب عنها المارشال رغبةً منه في اصلاح الدولة واعـادة تنظيمها من جديد . واذ بالشارع يتظاهر فتنقلب المظاهرات الى ثورة ادت الى قلب النظام على اثر تدخل الجيش ، وبعض الاوساط السياسية من احزاب الشمال والوسط الاشتراكي وبعض منظمات العمال ومنظمات الشباب والهيآت الثقافية . تطورت هذه الحركة فاصبحت تغييراً سياسيـاً قومياً ادى الى اعتزال رئيس الجمهورية الحكم مع بقاء المجلس قائما . فقـام رئيس المجلس النيابي باعباء الرئاسة بالوكالة ، هوالمسيو راتاي (Rataï) ، وبالاتفاق مع الماريشال بلصدسكي عهد بتأليف الوزارة الى الاستاذ بارتل (Bartel) احد اساتذة جامعة لفوف ورضي المـاريشال بتولي وزارة الحربية . وعلى اثر تأليف الوزارة عهد الى المجلس بانتخاب رئيس جديد للبلاد . فانتخب بلصدسكي فلم يقبل ، فانتخب بعده مسيو موسترتسكي (Moscicki) احد العلماء الاعلام في الكيميا . ومن كبار الاشتراكيين المجاهدين . وبقي رئيساً للبلاد بعد ان جدد انتخابه حتى سنة ١٩٣٥ ، وكان الماريشال بلصدسكي اثر كبير في تسيير دفة الاعمال في الوزارة كلها كيف لا وهو يتمتع في البلاد بشعبية كبيرة ، الا في بعض اوساط سياسية عرفت بمناهضتها له .

فقد طرح بعيداً عنه كل فكرة تقول بفرض النظام الدكتـاتوري في البلاد ، مفضلا ان تحل الدولة قضاياها الهامة عن طريق الديموقراطية الصحيحة ، محبذاً ان يرى التوازن السياسي والاجتماعي قائمـاً على يد حكومة قوية وطيدة . وفي ٢٣ نيسان ، عام ١٩٣٥ ، وضع المجلس الوطني دستوراً جديداً للبلاد مؤيداً الحريات الديموقراطية ومعترفاً لرئيس الجمهورية بصلاحيات واسعة تشابه الى حد كبير ما يتمتع به الرئيس في الولايات المتحدة الاميركية . وجعل النظام الجديد الحكومة مسؤولة مباشرة امام الرئيس كما هي مسؤولة امام المجلس ، وترك للرئيس حرية حل المجلس على شرط تعيين انتخابات جديدة . واعترف الرئيس ايضاً بحق تعيين خلفاً له في حالة الحرب ، وعملا بهذا المبدأ يمارس الرئيس فلادسلاس رتشكيافتش (Raczkiewicz) اعباء الرئاسة في لندن منذ ١٩٤٠ ، وهكذا استمرت قانونية الدولة البولونية وشرعيتها قائمة بالرغم من محنة ١٩٣٩

حدود البعث المادي وصداه القومي — تمكنت بولونيا بعد عام ١٩٢٦ من تثبيت ماليتها فاوقفت تدهور نقدها واقامت موازنتها العامة على اسس وطيدة واخذت تشق طريقها في مضمار الانشاءات القومية تقوم بالاصلاح الشامل في كل مرافق الدولة ، كما جاء تفصيل ذلك في غير محل

من هذا الكتـاب . ونحن نعطي فيما يلي بعض خصائص مميزة لهذه النهضة . ومن الثـابت ان ازدهار الاعمال يتوقف الى حد كبير على تعاقب الاطوار الاقتصادية وانتظامها وهكذا تعاقب على البلاد الادوار التالية :

من ١٩٢٥ الى اواسط ١٩٢٦ تدهور اقتصادي عقبه تدهور مالي .

من ١٩٢٦ — ١٩٢٩ ازدهـار عظيم — ومن ١٩٣٠ — ١٩٣٣ ضـائقة مـالية في العـالم كله .

من ١٩٣٣ — الى ١٩٣٦ : ركود الاعمال مع تحسن طفيف في آخر هذه الحقبة .

من ١٩٣٦ — ١٩٣٩ : ازدهار رائع في كل المرافق القومية ولا سيما في الاقتصاد الوطني .

يجب الا يغرب عن البال قط ان البلاد انطلقت من الصفر، عقب حرب دامية استمرت ستة اعوام (١٩١٤ — ١٩٢٠) دارت رحاها فوق الاراضي البولونية، فجرّت الخراب في اقتصاديات البلاد، وقوضت النظام الاجتماعي فيها والحقت بالحياة العقلية والروحية الوهن . ومما يجب ذكره واخذه بعين الملاحظة ان بولونيا كانت خاضعة حتى سنة ١٩١٤، الى دول ثلاث كبرى اغتصبتها واقتسمتها، نهجت كل واحدة منها في القسم التابع لها نهجاً اقتصادياً لم يأت في مساق واحد مع ما يجاوره في القسم الاخر، مغايراً في مجموعه مصالح البلاد الحيوية .

لم يكن للبلاد ان تعتمد الا على نفسها . فلم يصبها اي شيء من تعويضات الحرب . والذهب الذي فرض على الروس إرجاعه اليهـا، لم يرجع قط . ورؤوس الاموال الاجنبية لم يبد لها اثر يذكر في هذا البعث الاقتصادي القومي، وقد شغل معظمها لاعتبارات سياسية هددت السلام العالمي فيما بعد، في بلاد اخرى كالمانيـا مثلاً . ان سقوط النقد خلال الحرب والتدهور المالي الذي عقبها احدث هزة عنيفة في ما تملكه البلاد من ثروة ووفر . ويقدر الماليون ان ما خسرته من الثروة الوطنية المكتنزة قبل ١٩٣٤ يزيد على ثلاثـة مليارات فرنكا ذهباً . وقد بذلت الحكومة البولونية جهداً كبيراً لاعادة الثقة وتنظيم الاقتصاد بعـد ان تمكنت من ايقاف تدهور النقد واتسمت سياستها المالية بالحكمة والرشد رامية قبل كل شيء، الى تحقيق الاستقرار الوطيد لنقدها الوطني . ففي الازمة المالية التي قامت بين ١٩٣٠ — ١٩٣٤ انصرفت جهود الحكومة الى تنقية نقدها من الشوائب التي تعتريه وتصفيته، فسحبت من التداول ما يرهقه ويبهظه فيشل كل حركة اقتصادية في البلاد .

وقد بدا منذ سنة ١٩٣٣، ظاهراً واضحاً، خطر الحرب يهدد البلاد من الخارج. ولهذا وجهت الحكومة، منذ ذلك الحين، جهوداً جبارة لتأمين الدفاع عن الوطن . ولكي نكوّن في ذهن القارىء فكرة صادقة عن فداحة هذه الاعباء نذكر ان موازنة ١٩٣٧ — ١٩٣٩ بلغ

باب النفقات فيها ٢٤٥٨ مليون زلوطي ، يصيب الدفاع الوطني وحده منها ٨٢٥ مليون زلوطي وتأتي بعده وزارة التربية فبلغت ميزانيتها ٣٦١ مليون زلوطي. فالدفاع الوطني كان يستغرق ، والحالة هذه، ٣٢٪ بالمئة من مجموع الموازنة ، بينما بلغت نسبته في انكلترة ١٦ بالمئة وفي الولايات المتحدة الاميركية ١٠ بالمئة . اما روسيا السوفياتية والمانيا فكانتـا تنفقان على الدفاع مبالغ باهظة تزيد اضعافاً مضعفة عما تنفقه بولونيا استعداداً للحرب ، اذ بلغت ٩٠ مليار مارك . وكانت ميزانية الدولة في بولونيا ترصد ايضاً اعتمادات غير عاديـة معدة هي ايضاً للدفاع فيجعل مجموع المبالغ المخصصة لامور الدفاع الوطني ، في صلب موازنة الدولة ٤٣ بالمئة من مجموع الموازنة .

وبالرغم من هذا المجهود لتأمين الدفاع عن سلامة الوطن لم تهمل الحكومة قط امر العناية بمرافق الامة الاخرى ، منها امداد البلاد بجهاز صناعي عصري اتاح لها تحقيق عهد من الازدهار الصناعي لم تعرفه البلاد من قبل ، وتجديد الانظمة الاجتماعية ، ونظام التربية والتعليم وتنشيط العلوم والفنون . ومن الصفات البارزة التي اتسم بها الاقتصاد الوطني في بولونيا هي تدخل الدولة ومساهمتها في تشجيع النشاط الصناعي وانشاء المصارف الوطنية . فاننا نرى اكبر المصارف الوطنية تنشأ بمساهمة مال الدولة وهي تملك ايضاً ٩٣ بالمئة من الخطوط الحديدية و ١٠٠ بالمئة من الطيران ، و ٩٥ بالمئة من الاسطول التجاري والبرق والبريد ، و ٧٠ بالمئة من التلفون و ٧٠ بالمئة من انتاج الحديد و ٣٠ بالمئة من الفحم و ٥٠ من الصناعة الثقيلة والمعامل الكيماوية .

وقد اصبح الاقتصاد الوطني في بولونيا ، ولا سيما بعد ١٩٣٦ ، اقتصاداً مسيراً ، يسير على مناهج محددة من قبل . وكان للضرورات الحربية في البلاد اثر ظاهر على الازدهار الصناعي فيها ، تأميناً لحاجة الدفاع .

الحياة السياسية بعد ١٩٢٦ — ما كان الانقلاب السياسي الذي جرى ١٩٢٦ في بولونيا ليزيل كل اثر للمعارضة في الخطط التي اشرف بلصدسكي على وضعها . حتى ان قسماً من احزاب الشمال رفض ان يؤيد العهد الجديد ، مدفوعاً الى ذلك بعدم تفهم السياسة التي ترمي الى التوازن . وقد عرفت الامة في حياتها السياسة اذ ذاك ازمة حادة ، اذ قامت ، بعض احزاب الوسط والشمال ، عام ١٩٣٠، تدعو ظاهراً الى مؤتمر عقدته في مدينة كراكوفيا ، الى قلب النظام ومقاطعته ، فاضطرت الحكومة الى حل المجلس وامرت باعتقال بعض النواب السابقين وامرت بملاحقتهم امام القضاء . فاضطر فريق منهم الى مغادرة البلاد . وقد نالت الحكومة في الانتخابات التي جرت في كانون الاول ١٩٣٠ اكثرية ساحقة نالت معها فيما بعد الموافقة على الدستور المعلن ١٩٣٥ وتأييد النظام في البلاد حتى نشوب الحرب الاخيرة

البلاد بعد وفاة بلصدسكي — في ١٢ ايار ١٩٣٥ مات بلصدسكي فكان

هزة قوية بين طبقات الامة جمعاء. وقد تأثرت الجماهير الشعبية بهذا الخطب الجلل حتى ان خصومه السياسيين كانوا اول من اعترف بفداحة المصيبة التي المت بالامة البولونيةباسرها. وقد برهنت الدول الاجنبية نفسها عن مدى تقديرها للراحل الكريم وما كان يتمتع بينها من احترام وثقة. كيف لا وقد كان للسياسة التي اتبعها اكبر الاثر ليس فقط على مصير البلاد بل ايضاً على الامور الاوروبية. وقد بقي النظام الذي سنّه معمولا به في البلاد حتى بعد وفاته فعرفت الامة بفضل ما يغمرها من روح المحافظة ان تتنكب عن كل تغيير او تعديل في نظامها الداخلي قد يشجع عليه ذهاب الراحل الكريم.

وقد برزت الازمة بصدد قانون الانتخاب الذي سنته الاكثرية النيابية على اثر انتخابات ١٩٣٥ . وهي تدور على الرغبة في تركيز التمثيل الوطني على نخبة من رجال الامة اشتهروا بآتيهم المشرفة، فتزول بذلك القاعدة الحزبية التي سيرت سياسة البلاد في الماضي كما تحل في الوقت نفسه قضية المرشحين للانتخابات. ولذا قامت الاحزاب السياسية تحتج على هذا التمييز الذي ليس ما يبرره مطالبة بمقاطعة الانتخابات.

وقد جرت هذه الانتخابات، خلال آب ١٩٣٥، وتأثرت الى حد ما بالنداء الذي وجهته المعارضة لمقاطعتها. وبالفعل فان عدد الذين امتنعوا عن التصويت ارتفع اذ ذاك من ٢٥ الى ٣٠ بالمئة ثم لم يلبث هذا المعدل ان هبط في انتخابات ١٩٣٨ الى ما كان عليه من قبل.

وبقي قانون الانتخاب سنة ١٩٣٥ موضوع مهاجمة النقاد، كيف لا وقسم كبير من الرأي العام البولوني يؤخذ عليه عدم اعرابه عن مبادىء الدستور المعلن عام ١٩٣٥ وعن النزعات التي يجيش بها.

نلاحظ على احزاب الحكومة، بعد ١٩٣٥، حدوث بعض تغييرات وتعديلات في صفوفها فان رئيس الحكومة الكولونيل سلافك (Slawek) كان يمثل احسن تمثيل النظرية القائلة بوجوب اسناد المراكز الوطنية والاجتماعية في الدولة الى الرجال المشهود لهم بالفضل في خدمة الوطن والامة. وكان يجاهد بان لا يتحول التمثيل الوطني الى فريق من محترفي السياسة يدفعهم الى الظهور والتقدم اليه الاحزاب القائمة في البلاد، فلم يلبث ان يعتزل الحكم وينسحب من الحياة السياسية. وقد اخذ بعد قليل يتعاظم شأن المارشال سمغلي ريدز (Smigly Rydz) في الامور السياسية بعد ان حل محل المرشال بلصدسكي في تولي قيادة الجيش.

ونشأ في هذا العهد منظمة جديدة تدعى «جبهة الاتحاد الوطني». فبعد ان رأت ما آلت اليه الحالة الدولية من التأزم والخطر الشديد على السلام اعلنت عن عزمها بضرورة تدعيم الدولة والاتحاد الوطني لتستطيع الامة من القيام باكبر مجهود للدفاع عن حريتها المهددة واستقلالها.

وللاعتبارات نفسها نرى سياسة الامة المالية تتوطد اكثر فاكثر فقد زال من الجو تماماً كل الاثر للمطالبة بتخفيض النقد ، كما شاهدنا ذلك في المدة التي تراوحت بين ١٩٣٠ — ١٩٣٤ المعروفة بكثرة مضارباتها وبتدهور النقد ·

وبدافع من المشروع الموضوع للتسلح ، نرى قيام مشاريع مالية كبرى تقترح الاخذ بها اللجنة الاقتصادية الحكومية ضمن الوزارة . وقد كان لرئيس الجمهورية الاستاذ موسترتسكي (**Mostzitzki**) اكبر الاثر في اعداد المشاريع الاقتصادية التي آلت الى الازدهار الاقتصادي في البلاد . وقد امتاز بوصفه عالماً ومنظماً فنياً حاذقاً ، بانشاء صناعات جديدة وبمد القديم منها بجهاز عصري حديث . وقد كان للاتصالات التي جرت بعد ١٩٣٦ بين السياسيين الذين يقولون بالنظام الذي وضعه بلصدسكي وبين خصومه السياسيين اثر بين لتوسيع اسس المساهمة بين الاحزاب السياسية في البلاد ، الامر الذي ساعد جداً على توطيد مركز الحكومة وازدياد انصارها بانضمام المعارضين من قبل الى وجهة نظرها . ومع ذلك لا نزال نرى من الوجهة النظرية ، سواء بين الاحزاب الحكومية ام الاحزاب المعارضة ، من يمثلون المحافظين والتقدميين والمسيحيين والاشتراكيين وكذلك نرى بعض منظمات حركة العمال وبعض النقابات ، تميل بقوة ، بالرغم مما عرفت به من ميول اشتراكية الى تأييد النظام الذي وضعه بلصدسكي ·

وكان تبرم المعارضة وعداؤها يظهر من وقت لآخر بتلك المظاهرات التي ترمي على الغالب ، الى التأثير على الجماهير كاعتصابات الفلاحين واعتصابات العمال في بعض المصانع التي لم يتعد مداها المحلة او المنطقة ، او الى عقد الاجتماعات الحزبية والجدل على صفحات بعض الجرائد او بعض نشرات سياسية .

اما في احزاب اليمين فكانت المعارضة تتمثل بالحزب الوطني الديمقراطي ومن لف لفه ، حيث يبدو من حين الى حين : تأييد للنظام الاجتماعي او الدكتاتوري ودعوة صريحة الى مناهضة السامية . والجدير بالذكر ان الدعوة الى النظام الدكتاتوري لم تؤثر يوماً بصورة جدية على الرأي العام في بولونيا المعروف عنه تشبعه بالروح الديمقراطية ، كما ان حركة مناهضة السامية لم ترتد يوماً طابع النظرية العرقية العنيفة او الحث على حرب دينية . فمناهضة السامية التي دعا اليها الوطنيون البولونيون اتسمت بطابع اقتصادي ليس الا .

مشكلة الاقليات — ان النظام الاشوه الذي ظهرت به الاقلية اليهودية في بولونيا ، من خلال التاريخ ، كان الباعث الاكبر لهذه الحركة . لم يكن بين يهود البلاد من يحترف الزراعة بينما كان عدد من يمتهن التجارة منهم جسيماً جداً . ففي عام ١٩٣١ كان عدد الاسرائيليين في بولونيا ٣،١٠٠،٠٠٠ ، انتسب منهم ٢،٧٠٠،٠٠٠ للقومية اليهودية . وكان ٥٩ بالمائة منهم

يتعاطون التجارة و ٢١ بالمائة يعملون في الصناعة ولم يكن ١ بالمائة بينهم من يعنى بالفلاحة . وكانت الحكومة البولونية نفسها تحرص على الحد من هذه الحركة وايقافها ضمن الحدود كلما كانت مظاهراتها تهدد باضطراب الامن في البلاد . اما الدستور البولوني، سواء أفي ذلك المعلن عام ١٩٣٥ ام الذي تقدمه فقد ضمن للاقليات القومية او الدينية الموجودة في البلاد كل الحقوق الديمقراطية والمدنية التي يتمتع بها جميع المواطنين في الجمهورية البولونية .

وهذه الاقليات القائمة في البلاد تختلف ليس فقط من حيث العدد بل تتباين ايضاً باعتبار درجة رقيها الثقافي والروحي وبنسبة تطورها السياسي والاقتصادي وغير ذلك من المميزات الخلقية . لم تفكر اية حكومة بولونية يوماً ان تدخل في منهاجها طرق العنف والقسر للتأثير على اقلية ما لتحملها على الاقلاع عما هي عليه . فاذا ما بدا لنا من خلال التاريخ اية محاولة قامت به الحكومة البولونية للتأثير من هذه الناحية على الاقليةو الروتانية والالمانيةو الليتوانية او غيرها فذلك بداعي تأثير اللغة والحضارة البولونية على هذه الاجناس وعلى شريطة ان يأتي التغيير او الاعتناق عفوياً اختيارياً وبعد اعداد الراغب في القومية البولونية اعدادا نفسياً . ولعل اقوى دليل على هذه الحرية التي يتمتع بها الجميع هو حالة الاقلية الاسلامية في بولونيا . فهم من ذراري التتار، يقطنون شرقي البلاد من عدة قرون خلت، و يحافظون هنالك بكل حرية على معتقداتهم الدينية وعاداتهم التقليدية، مع انهم اعتنقوا اللغة والحضارة البولونية فعرفوا بصدق وطنيتهم ووفائهم واخلاصهم لبلادهم .

وهنالك تحول من هذا النوع آخذ مجراه على قدر كبير في ولاية بوليزيا . وهي مقاطعة كبيرة ، قليلة السكان تقع شرقي بولونيا تزيد مساحتها على مساحة بلجيكا مرة ونصف ، كما تزيد على مساحة لبنان اربعة اضعاف ونصف ، مغطاة بالاحراج التي يتخللها الغياض والغدران والمستنقعات . وستمثل هذه المقاطعة في الجمهورية البولونية المكتظة بالسكان ثروة زراعية وافرة عندما تنجز الاعمال القائمة لتجفيفها والتي بوشر بها من قبل . وسكان هذه المقاطعة هم خليط غريب من الوجهة الجنسية، جعلتهم البيئة الخاصة القاسية التي يعيشون فيها متأخرين جداً من الوجهة الاقتصادية والثقافية عن المستوى الذي بلغته المقاطعات البولونية الاخرى . وترى بين الاجناس العرقيـــة التي تقطن هذه المقاطعة من بولونيين ويهود وروتانيين بيض واوكرانيين وروس والمان ، عدداً منهم يختار في احصاء النفوس الاخير القومية البولونيـــة يفوق عدد غيرهم ممن اختاروا قومية اخرى . وفي هذه المقاطعة جنس من اصل سلافي انضمت اليـــه، مع مرور الزمن عناصر بولونية الاصل قديماً ، فقدت جنسيتها القومية فيما بعد . وهذا المجموع من الاجناس المختلفة لا لون له بيّن في القومية، مع انه كثير الشبه بالبولونيين ولا سيما بالروتانيين البيض . فقد آثر الا ينتسب قومياً الى اي من هذه الاقوام ، حتى ولا الى الاوكرانيـــين او

الى الروس او الروتانيين البيض . ولما كان سكان بولنيا قد عاشوا والبولونيين دهوراً طويلة وتأثروا بمدنيتهم الراقية واعتنقوا حضارتهم ولغتهم ، فقد اثروا ، بوصفهم اقلية قومية ، ان لا يتمتعوا بما تتمتع به دستورياً ، تلك القوميات ، متنازلين بطيبة خاطرهما يكفل لهم الدستور من حريات وحقوق يعترف بمثلها الاقليات القومية ، مثل حرية المحافظة على مدارسم ولغتهم .

وعلى نقيض آخر نرى مثلاً الاوكرانيين . فقد بلغوا من الوعي القومي والشعور الوطني حداً واضحاً حدا بهم الى المطالبة والحصول على مركز متميز ينصرفون معه الى تقوية حياتهم القومية ضمن الوطن البولوني المشترك . ولهذه الاقلية ، في البلاد ، اليوم اكثر من ٣٥٠٠ مدرسة ابتدائية وما يزيد على ٣٠ مدرسة ثانوية من انواع مختلفة ، ولها عشر مدارس لتعليم اللغة الاوكرانية في جامعة لفوف وكراكوفيا وفارصوفيا ، كما لها ممثلوها في الاكاديميات والنوادي العلمية والكليات اللاهوتية في لفوف وفارصوفيا ايضاً .

وقد برهنت الاقلية الاوكرانية في بولونيا عن نشاط وافر في مضمار الانشاءات الاقتصادية اذ وجدت في الدولة وماليتها اكبر عضد لها . وتمتعت بحرية قومية وديمقراطية كبيرة ، فاقت كثيراً ما تمتعت به الجماعات الاوكرانية خارج بولونيا .

ومع ذلك لم تكن العلاقات البولونية الاوكرانية لتخلو من احتكاك يثير المشاكل امام الدولة البولونية . وتعود هذه المنازعات الى سببين سياسيين : احدهما الموقف المتطرف الذي وقفه بعض المغالين من الزعماء الاوكرانيين في غاليسيا . فانهم رفضوا ، لاعذار شتى ، كل اتفاق او تدبير من شأنه ان يحد من التدخل الاجنبي المتصف بعدائه لبولونيا ، منصرفين الى خلق حوادث واعمال ارهابية ، يشد ازرهم من الوراء ايد المانية واخرى تشيكية او روسية .

ومن الجدير بالملاحظة ان الحالة التي اتينا على وصفها لم تكن لتنطبق على مقاطعة غاليسيا برمتها . فان هذه الاعمال وان تمركزت حول قضاء فولينيا ، فان المناطق الاخيرة كانت على ما يرام من حسن التعاون بين البولونيين والاوكرانيين الى اواسط ١٩٣٩ ، حتى بين تلك النوادي والمنظمات السياسية والعلمية الاوكرانية التي تعضد الحركة القومية تحت اسم «الجامعة الاوكرانية» .

ومختصر القول كان السكان في كل من غاليسيا وفولينيا خليطاً من اجناس مختلفي العرق والاصل . فالى جنب الاوكرانيين والبولونيين المتكافئين عدداً نرى اقليات اخرى يهودية ، وجماعات ضئيلة الشأن من الالمان والتشيك والروس . ولم تكن نسبة الروس في هذه المقاطعة من بولونيا الشرقية لتزيد عن ١ ٪ من مجموع السكان .

وكانت الاقلية الالمانية المقيمة في بولونيا منذ اجيال تمتزج شيئاً فشيئاً بالقومية البولونية . فان كثيراً من الاسر الالمانية الاصلية انجبت رجالا بولونيين عظاماً ادوا لبولونيا خدمات جلى . وما

هو الا في السنوات الاخيرة قبل ١٩٣٩ ، ان قامت الدعاوة الالمانية في عهد امر هتلر تبث سمومها في بعض الاوساط التي لم تستمريء بعد الحضارة البولونية .

تمثل الاقلية الالمانية من الوجهة الجنسية جماعة لم يكتمل فيها بعد الوعي القومي ولم تتبلور عندها الفكرة الوطنية . فهي قريبة جداً ، من حيث لسانها ، من اللغة البولونيــة ، ولا سيما الحالية التي تقيم في منسك والى الغرب منها . اما في جهات سمولنسك وما اليها من الشرق فاللهجة الروتانية البيضاء ترتدي طابعاً روسيا . ففي اطار الدولة البولونية الحديثــة التي كانت تتألف عناصرها من قبــل من البولونيين والليتوانيين ، نرى البولونيين والروتان البيض يعيشون معاً بهدوء وسلام خلال القرون التي تعاقبت على البلاد . ففي المقاطعة الواقعــة بين فيلنو ومنسك وبولزيا وغرودنو التي تزيد مساحتها عن مساحة بلجكة وهولندا واللكسمبورج مجتمعة ، نرى البولونيين يفوقون بعددهم الروتان البيض ، فيؤلفون الاكثرية الساحقة ، كما ان الروس يكاد عددهم فيها لا يذكر . والقضايا التي تنشأ عن القومية البولونية هي في الولايات الشرقية من البلاد من النوع الاجتماعي كما ان قضاياها في المقاطعات الوسطى تتعلق بالفلاحة والزراعة . فالاوكرانيون والروتان البيض وسكان مقاطعة بولزيا هم على الغالب مزارعون لا تختلف مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية عن مشاكل اخوانهم المزارعين من البولونيين . فهؤلاء واولئك ينتظرون جميعاً الاصلاح الزراعي الذي بوشر به قبل عام ١٩٣٩ ، وكانت كل المقاطعات تنتظر نتائجه الباهــرة على احر من الجمر . وقد بدت نتائج هذا الاصلاح تظهر بوضوح في بعض المقاطعات البولونيــة كمقاطعة فولينيا مثلاً ، حيث لم يعد كبار الملاكين يملكون سوى ١٠ ٪ من مجموع الاراضي الزراعية ، بينما معدل ما يملكون منها في المقاطعات الاخرى لا يزال ١٥ ٪ وكان توزيــع الاراضي يتم بين المزارعين على السواء دون ما تمييز بين الاقليات القومية او الدينية .

ان قضية الاقليات ليست وقفاً على بولونيا . فهي قضية مشتركة بين دول اوروبة الوسطى واوروبة الشرقية . فلا تكون ، والحالة هذه ، اي خطر على الدولة البولونية ولا تهدد بشيء سلامتها ، اذا ما اقتصر بقاؤها على الامة البولونية وسلمت من مداخلات الدول المجــاورة ومطامعها العدائية . عرفت بولونيا ، اثناء تاريخها الطويل ، كيف تنهج طريقاً سوياً من التساهل والتفهم لوضعها السياسي ، اجيالاً طوالاً ، ضمن اشعبها ولما فيه من الاقليات المختلفــة ان تعيش جميع عناصرها متكاتفة متضامنة ، بعيدة عن كل ضغط او عنف ، بخلاف جارتيها المانيــا وروسيا .

النتيجة — درسنا في غير موضع من هذا الكتاب ، السياسة الاجتماعية التي اختطتها بولونيا لنفسها بين ١٩١٩ — ١٩٣٩ ، فبرهنت على انها خليقة بان تكون في مصاف الدول العصرية

التقدمية ، تشق لهن الطريق في كثير من مناحي التشريع الاجتماعي .

وقد رأينا من خلال هذه النظرة الشاملة كم كانت شاقة عسيرة مهمة الامة البولونية تنشىء دولة ملؤها الحياة ، حديثة التنظيم وطيدة الاركان ، بينا كان تطورها ، خلال القرن التاسع عشر ، بيد القدر تسيّره الدول المقتدرة . وبالرغم من مظاهر حياة سياسية متفسخة ، شقت الدولة البولونية طريقها صعداً نحو الرقي المطرد مستكملة بين ١٩١٩ — ١٩٣٩ شرائط الحياة القوية ومنصرفة الى تشييد مقوماتها الدولية . ولم يسع المراقبون المنصفون الا ان يثنوا الثناء العاطر على النتائج المرضية التي حققتها الامة البولونيـة في هذه الحقبة القصيرة وعلى روح النشاط والحماس الزاخر البادي على دنيا العمال والمهندسين والعلماء الذين انصرفوا لاعداد مستقبل هذه الامة الباسم . فكنت ترى المراكز الصناعية الجديدة والاحياء العصرية والمدن برمتها تنشأ كالفطر ، بين عشية وضحاها تكتنفها الاحراج الغضة والارياف الضاحكة .

فالمشكلة الزراعية وما اليها من ازدياد السكان ، والمستوى الوطني لمعيشة هذا القسم من الفلاحين المنكبين على زراعة حقولهم الضيقة او اليد العاملة القويـة الفائضة عن حاجة الارياف والتي لم تستعمل بعد بصورة تتفق ومقتضيات العقل والواقع ، والبطالة في الصناعة والمدن مع انها اقل حدة مما نراها عليه في بعض البلدان في غربي اوروبة اذ يتراوح معدلها بين ٩ — ١٢ المئة من مجموع العـمال ، هذه هي بعض الظلال التي تغشي الصورة التي رسمناها للامة البولونية في عصرها الحاضر .

ان اصلاح النظام الزراعي كان سائراً سيراً يبشر باطيب الثمار معان المدخر من ثروة الارض الصالحة للاستعمال كاد ينفد ، ولم يبق فيها غير بطاح مقاطعة بوليزيا (Polesie) التي يتطلب تجفيفها واصلاحها مجهوداً شاقاً يقتضي له السنوات الطوال ورؤوس الاموال الوافرة . فكانت موارد البلاد الزراعية تنمو رويداً . اما الرقي الصناعي واطراد التقدم في هذا المضمار فقد اتاحا تخفيف الضغط عن الارياف اذ مكّنا من استعمال الزيادة في عدد السكان كما ظهر ذلك واضحاً بين ١٩٣٦—١٩٣٩ في بعض المناطق ولا سيما في المنطقة الصناعية الوسطى .

ومحاربةً لاثر البطالة الوخيم في البلاد ، انشأت الدولة منظمة بعنوان « منظمة العمل » ، القصد منها القضاء على البطالة في البلاد ، كانت الحكومة تفرض في هذا السبيل ضريبة ضئيلة قيمتها ١٠٠ مليم من الزلوطي على كل شخص ، للقيـام بالاشغال العامة واشغال اخرى تعود منفعتها على الجمهور .

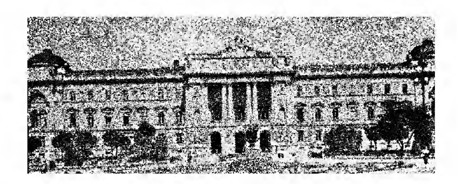
يتضح مما تقدم ، ان بولونيا لم تستطيع في الفترة التي انقضت بين الحربين العالميتين الاخيرتين ان تستفيد على نسبة ما تريد ، من مدى العشرين سنة التي تفصلها ، لتنصرف بكليتها ، الى تنظيم شؤونها

فيلنو – لفوف




فيلنو – لفوف : كاتدرائية فيلنو

كنيسة القديسة حنة في فيلنو



جامعة لفوف (تأسست في القرن السابع عشر)



مسكن احد كبار المزارعين في الارياف

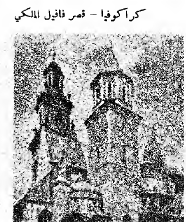


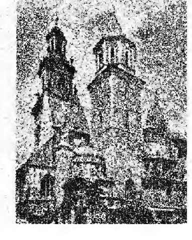
دير الاباء اليسوعيين في بنسك



كراكوفيا – قصر فافيل الملكي

حصون المدينة القديمة (القرن الثالث عشر)





كاتدرائية وقصر فافيل

الساحة العمومية وخان الاجواخ (القرن ١٤ – ١٦)



البهو الكبير في قصر وافيل



قصر نياحيتزا

واستكمال مقوماتها . فقد اعترض سيرها في معارج الرقي والتكامل القومي اعباء اقتصادها الحربي وازمتان ماليتان: تدهور نقدها الوطني وضائقة ماليـــة خانقة حالت الى حد كبير دون نهوضها الاقتصادي ، فشلّت مجهودهـــا الانشائي في هذه الحقبة . ان ما حصلت عليه البلاد من النتائج الحسنة يعود الى المجهود الجبار الذي بذلته الحكومات التي تعاقبت على مقاليد الحكم وتعاون جميع الاوساط والطبقات الاجتماعية في البلاد . فاذا ما انعمنا النظر في النتائج الباهرة التي اسفر عنها هذا المجهود رأيناها تحقق الامور التالية التي يعترف بهـــا خصوم النظام البولوني انفسهم وهي :

١ — تحقيق الانشاء القومي الباهر دون ما تعويض حربي او مساعدة مالية تذكر من الخارج بل تمّ ذلك تحت ضغط ديون الحرب العالمية الاولى .

٢ — الوحدة الاقتصادية بين الاقسام الثلاثة التي تجزأت اليها البلاد في القرن الثامن عشر ، على يد الدول المقتسمة .

٣ — وضع اسس النظام الاجتماعي على قاعدة وطيدة الدعائم .

٤ — تحسين نظام الارض على اساس اصلاح زراعي عام .

٥ — امداد البلاد بجهاز صناعي عصري ولا سيما المنطقة الصناعية الوسطى .

٦ — انشاء مدينة ومرفأ جدينيا ، هذه الاعجوبة البولونية التي قامت على رمال البحر على حد قول احد المراقبين الاسوجيين .

٧ — رؤوس الاموال المستثمرة في تحسين حالة المدن والارياف .

٨ — المجهود الرائع لتأمين وسائل الدفاع الوطني على نسبة تفوق كثيراً مـــا نراه في معظم الدول الديمقراطية الاخرى .

٩ — تطور التربية الوطنية .

هذه هي الاعمال البارزة التي تجلت عنها ارادة الامة البولونية وحيويتهـــا الزاخرة في عملها الانشائي الجبار بالرغم من ضيق مواردهـــا وضآلة امكانيـــاتها القومية . ولعل اهم هذه النتائج المباركة التي يبنى عليها مستقبل بولونيا هي الوحدة الروحية التي حققتها هذه الامة المتقطعة الاوصال من قبل . ولا ريب عندنا ان الحوادث التاريخية التي تعاقبت على البلاد في محنتها الكبرى عام ١٩٣٩ ستشهد عالياً بما بلغه الشعور الوطني والوعي القومي في البلاد . فحب الوطن البولوني الذي يجعل من مناطق البلاد على اختلافها بناء مرصوف الدعائم ، والتضحيات الغالية التي قامت بها الامة جمعاء للذود عن حياض هذا الوطن العزيز كل ذلك حجة ناطقة وبرهـــان ساطع على حيوية هذه الامة ونشاطها الزاخر والروح القومية المتجلية باوضح معانيها .

سياسة بولونيا الخارجية بين حربين عالميتين

نقطة الانطلاق ــ قوّضت الحرب العالمية الاولى ثلاث امبراطوريات: هي الامبراطورية الالمانية والامبراطورية النمساوية والامبراطورية الروسية وحررت عشراً من الدول في اوروبة الوسطى واوروبة الشرقية ذاقت من قبل الامرين الارهاق والجور . وقد كان بمقدور هذه الامم الناشئة ان تصون السلم في اوروبة ، فيما لوجاء تنظيمها السياسي حسبما تفرضه سنة التطور والحقيقة التاريخية . غير ان هذه القضايا ، فاق حلها ، على ما يبدو لنا ، مقدرة اولئك السياسيين الذين اخذوا على نفسهم مسؤولية اقرار السلامة الاجتماعية ، وقد فاتهم ان ينظروا الى العوامل الهدامة والنزعات الكامنة في تلك القوى المكبوتة التي لم يعرفوا ان ينصتوا الى لهثاتها المتصاعدة . فاذا بالاصوات تتعالى اليوم من كل حدب وصوب متنادية الى انقاذ اوروبة .

تُركت بولونيا وشأنها عام ١٩١٨ ، تسوّي امورها بنفسها . فاذا ما ستطاعت ان تحافظ على حريتها وحرية بعض الشعوب المجاورة لهــا ، فبثمن غال من الجهود العزيزة والتضحيات لذكية تعجز عنها امة ناشئة ليس لهاما لهذه الدولة من حزم وعزم . فعلينا ان نتبين الآن الخيط الذي سارت عليه سياستها الخارجية العامة .

اذا ما قارنا بين مساحة بولونيا قبل ان بليت بالتقطيع والاقتسام على يــد الدول المجاورة المغتصبة رأينا ان بولونيا الجديدة الناشئة سنة١٩١٩—١٩٢٠رضيت مكرهة بخسارة بعض اقاليمها الشرقية لتقوم علاقاتها بروسيا السوفياتية على تفاهم متبادل . ففي معاهدة ريغا المعقودة سنة ١٩٢٠ بعد انتصارها الساحق على جارتها الشرقية مرّخطحدودها من هذه الناحية ابعد الى الغرب كثيراً من الخط الذي كانت عليه تخومها قبل الاقتسام ، لابل جاء هذا الخط من ٥٠ الى ١٠٠ كلم غرباً للحدود التي اقترحتها ، عام ١٩٢٠ ، حكومة لنين نفسها . وقد آثرت ان تقنع من هذه الناحية بالمناطق التي يتغلب فيها العنصر البولوني ولاشعاع الثقافي البولوني ، متنازلة للاتحــاد السوفياتي عن مناطق وعن اقلية بولونية عزيزة عليها ، قد تبلغ بحسب التقديرات التي لدينا ثلاثة ملايين من البشر موزعة بين الاوكرانيين والروتانيين البيض .

اما من الغرب فالحدود التي وضعتها معاهدة فرسايل مشاركة بين بولونيا والمانيا ، تتبع خطاً ملتوياً كثير التعاريج ترك وراءه ، الى الغرب ، مقاطعات معظم سكانهــا بولونيو الجنس (١٫٠٠٠٫٠٠٠) في سيليزيا وبروسيا الشرقية ، رجح فيها من الوجهة الستراتيجية جانب المانيا على بولونيا ، كما ظهر هذا عام ١٩٣٩ .

ومع هذا الغبن الذي اصاب بولونيا في اقدس مصالحها ، كانت السياسة التي نهجتها الدولة

خلال العشرين سنة التي فصلت بين الحربين العالميتين الاخيرتين ، مشبعة بروح السلام والوئام . وقد برهنت عن طيب نياتها وحسن استعدادها للتساهل الى اقصى حدود التساهل في مناسبات عدة ، ورضيت ان تتعاون مع الجميع معتصمة بامثل الطرق الدولية ، محافظةً منها على السلم وعلى العقود والمواثيق التي وقعتها ، حباً بتأييد السلام وتوطيده .

لم تكن الدولة لتغرر بسياستها الخارجية . وعلى العكس فقد كانت واقعية تحسب حساباً دقيقاً لعناصر الاضطراب والاخلال بالامن الدولي التي تتعمد افساد العلاقات وتسممها ، منها المطامع الاشعبية الالمانية وعطشها للثأر والانتقام ، والخطر الروسي البادي في اثارة الثورة الاجتماعية العالمية وفي سياسة التوسع والتبسط ، والمشاكل الاقتصادية والعرقية الحادة .

ولذا نرى جهود بولونيا تنصرف ، من جهة الى توطيد نظامها في الداخل واخذ العدة لكل ما يقتضيه الدفاع الوطني ، ومن جهة اخرى الى تدعيم الوسائل وتقوية الطرق التي تجنبها كل اعتداء خارجي وتمكنها من صده في حال وقوعه . وعلى هذه النهج سارت السياسة بولونيا الخارجية ، رامية الى الحفاظ على السلام العام ، مستهدفة في خطوطها الكبرى الاهداف التالية :

١ — تنظيم الامن والسلام بين شعوب اوروبة الوسطى .

٢ — تأمين علاقات حسن الجوار مع كل من المانيا والاتحاد السوفياتي .

٣ — الاخذ بالمواثيق والاتفاقات ولاسيما مع الدول العظمى التي يتأرجح بين ايديها قدر السلام .

٤ — السعي المشترك لتحقيق السلامة الاجماعية عن طريق عصبة الامم ونزع السلاح والنجدة المتبادلة .

النظرية البولونية في توطيد السلامة الاقليمية — اتجهت سياسة بولونيا الخارجية ، منذ البدء ، بتأثير من الماريشال بلصدسكي الذي كان روح هذه السياسة وراعيها الى توطيد دعائم السلام ، في البلدان الواقعة بين شواطىء البلطيق وحدود كل من روسيا والمانيا . وقد أُعترف ، فعلاً ، لكل من هذه الدول الواقعة ضمن تلك الرقعة من الارض بحق التمتع بحريتها والتعاون بينها على استقلالها . وقد وضعت بولونيا نفسها اسس هذا الاستقلال في النداءات التي وجهتها الى كل من الليتوانيين والروتان البيض والاوكرانيين ، عام ١٩١٩ و ١٩٢٠ ، على لسان الناطق باسم رئيس الحكومة او في اجراءات ديبلوماسية اخرى . والاخذ بهذه السياسة كان من شأنه ان يقطع الطريق ويقف حاجزا في وجه مطامع الدول الاستعمارية المجاورة ورغبتها في

التوسع على حساب هذه القوميات . وقد ناهض السياسة التي رمت اليها بولونيا كل من روسيا والمانيا كما فهمها على غير وجهها الصحيح بعض هذه الدول فلم تتحقق باوسع مفهومها . وهكذا فشلت كل المساعي التي بذلت قبل كل شيء للتفاهم مع ليتوانيا (ربيع ١٩١٩)بفضل مداخلات الالمان ودسائسهم . وقد كانت ليتونيا اسعد حظاً واكثر قابلية للتعاون مع بولونيا التي ساهمت جداً في تحرير هذه الدولة وفي سبيل المحافظة عليها (شتاء ١٩١٩ — ١٩٢٠) . وقد سمم الحلفاء انفسهم بمداخلاتهم غير المؤاتية المحاولات التي بذلها البولونيون للتفاهم مع التشيك (خريف ١٩١٨) . ولم تأت هذه المحاولات اكلها اليانع إلاّ مع رومانيا ودول البحر البلطيق فجاءت النتائج وفقاً للاتجاه المرغوب فيه .

وقد عقد بين رومانيا وبولونيا معاهدة صداقة تضمنت شروطاً حربية تنص على تبادل المساعدة العسكرية في حال إعتداء من قبل روسيا . ومثلت بولونيا في هذه الحقبة دور الوسيط بين كل من روسيا والدول المجاورة، اذ كثيراً ما ساعدت على تهدئة الخواطر وازالة الحذر بينهما جميعاً ، وذلك بعقد اتفاقات مشتركة : منها الاتفاق المعقود في موسكو عام ١٩٢٩ الذي ينص على عدم اللجوء الى الحرب فوقعه كل من استونيا وليتونيا وبولونيا ورومانيا والاتحاد السوفياتي ، كما نذكر الاتفاق الآخر على تحديد الاعتداء المبرم عام ١٩٣٣ والذي اشترك في توقيعه كل من رومانيا واستونيا وليتونيا وبولونيا وتركيا والاتحاد السوفياتي وايران وافغانستان .

بولونيا وليتوانيا — ولكي يتبين القارئ الكريم الجو المثقل الذي اضطرت الديبلوماسية البولونية ان تعمل فيه نريد ان نتبسط قليلاً في سرد العلاقات البولونية الليتوانية .

كان اتحاد الشعبين خلال عصور متطاولة، عنصراً قوياً استند اليه تأليفهما دولة واحدة موحدة كما كان ركناً وطيداً من اركان الاستقرار في هذه البقعة الاوروبية . وقد اثبتت الحرب العالمية الاولى، بصورة لا تدع مجالاً للشك، ضرورة الند الواحد منهما للآخر من الوجهة الجغرافية السياسية فلا ليتوانيا مستقلة حيث لا بولونيا سيدة حرة مستقلة . فالمشكلة البولونية الليتوانية قامت حول فيلنو هذه المدينة التي ربطت حينا مصاير هذين الشعبين . قد كانت فيلنو ، فيما مضى ، عاصمة ليتوانيا التاريخية ، اي عاصمة الدوقية المعروفة بهذا الاسم التي لم تضم مقاطعة ليتوانيا فحسب بل مناطق بولونية الجنس ايضاً . فالمدينة تقع ، من الوجهة العرقية او العنصرية في ارض بولونية وقد كانت قديماً منارة من منائر الحضارة البولونية يهفو اليها البولونيون هفو الام على الرضيع . فاعطاؤها احد المتداعين لا يحل القضية البتة . ووصولاً الى حل يرضي الفريقين على اساس تعاون وثيق بينهما قامت الحكومة البولونية في ربيع ١٩١٩ بعد استخلاص المدينة من ربقة البولشفيك تفاوض ليتوانيا بهذا الشأن . فلم تثمر هذه المحاولة وما عقبها من محاولات اخرى .

وعلى الاثر صير الى استفتاء عام فقرر سكان فيلنو بلسان مؤتمر ليتوانيا الوسطى عام ١٩٢٢ الالتحاق ببولونيا في معزل عن كل ضغط منها .

ولو ترك الامر للبولونيين ولليتوانيين انفسهم لكانوا وصلوا بهذه القضية الى حل يرضون به جميعاً يكون قائماً على الحقيقة التاريخية والعدل . غير ان مؤثرات خارجية استطاعت الحؤول دون هـذه الامكانية تسميم العلاقات بين الشعبين . فاقتضى ذلك خلال العشرين سنة المنصرمة كثيراً من الصبر وطول الاناة والعزم للمحافظة على رباطة الجأش والاعتصام بالهدوء .

وفي ربيع ١٩٣٨ عادت العلاقات الديبلوماسية الى مجراها الطبيعي بين الشعبين الشقيقين على اثر ازمة نشبت مدة بينهما لمقتل جندي بولوني على الحدود الليتوانية ، فاضطرت بولونيا بدافع من سلامتها القومية ان تضغط على ليتوانيا فتضع حداً لهذا الغموض المسيطر على الحالة في تلك المنطقة الحساسة التي قد تصبح خطراً يخشى شأنه ، لا سيا وقد برهنت عصبة الامم عن عجزها التام في تأمين هذه السلامة . وقد تحسنت الاحوال ، فيما بعد بين الشعبين اذ نرى الليتوانيين عام ١٩٣٩ ، يوم تبدو الكارثة ، يعربون عن حسن استعداداتهم نحو البولونيين .

بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ــ يجهل الرأي العام العالمي الكثير من قضية شائكة حادة تمرست بها سياسة بولونيا الخارجية ، الا وهي الخلاف البولوني التشيكي . وسنعرض له هنا بعض الاسباب لجلاء حقيقته .

من الثابت ان العلاقات الديبلوماسية بين بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ، كانت ، ما خلا بعض فترات قصيرة ، متوترة للغاية . فلو امكن لهاتين الدولتين ان تتعاونا وثيقاً لكان ادى تعاونهما المنشود ، من الوجهة السياسية والحربية الى نتائج جداً مرضية . فاذا ما ضربنا صفحاً عن الهيئات ووضعنا جانباً الخطيئات التي بدرت من كل الطرفين لايسعنا الا ان نشير هنا الى ان المداخلات الاجنبية قد ساعدت كثيراً على تسميم هذه العلاقات وجعلت من العسير الوصول الى حــل منطقي وطيد يرغب الكثيرون في ان يروا العلاقات البولونية التشيكية قائمة على اسسه الوطيدة .

والسبب الاساسي لهذه الحالة المؤسفة يقوم ، بدءاً ، حول الميول الصريحة التي اعرب عنها التشيك دونما روية او امعان فكر ، في ان يعتمدوا السياسة الروسية متكـأً لسياستهم الخاصة ، متجاهلين مصالح جيرانهم الحيوية ولا سيا قضية سلامة بولونيا ، ضاربين بذلك عرض الحائط . فاذا ما انصتنا الى البولونيين نسمعهم يتذمرون بمرارة من سلوك تشيكوسلوفاكيا نحوهم ، هذا السلوك ، الذي اقل ما يقال فيه ، انه غير ودي على الاطلاق . من ذلك ان جارتهم جعلت من مقاطعة روتانيا الكرباتية شبه مستودع موقت للروس لايمكن لهم الوصول اليه الا بعد اجتيازهم فوق غاليسيا الشرقيـــة وهي مقاطعة بولونيـــة ، ومنها العراقيل التي اثارتها

تشيكوسلوفاكيا في وجـه تكوين بولونيـا وهي في حروب دامية مع روسيـا السوفياتية عام ١٩١٩ — ١٩٢٠ . ومنها ايضاً غدر التشك ومهاجمتهم البولونيين من ظهورهم وهم يستميتون دفاعاً عن وطنهم الذي تهدد روسيا بابتلاعه اذ ذاك . ومنها ايضاً عطف تشيكوسلوفاكيا الظاهر على الاعمال الارهابية في بولونيا وتشجيعها كل ما يؤول الى اضعاف جانب بولونيا والحفض من شأنها بين عام ١٩١٩ — ١٩٣٩ — هذه بعض الشواهد لوجوه الخلاف بين الامتين ممـا جعل البولونيين ينظرون الى جيرانهم بكثير من الحذر والحيطة، بينما انصرفت تشيكوسلوفاكيا الى سلسلة من التصرفات غذت في الجانب البولوني سوء الظنة . وهذا هو الوجه الصحيح للمشكلة البولونية التشيكوسلوفاكية التي يجهلها الرأي العـام العالمي ولا ينظر اليهـا الامس خلال قضية تشيتين (Cieszyn) التي يبدو انه لم يفهمها ايضاً .

تشيتين هذه ، مدينة اومنطقة تقع في سيليزيا النمساوية قبل ١٩١٨ ، يقوم فيها اكثرية بولونية تتألف من عمال ومعدنين وفلاحين . وقد اشتهر سكان هذه المنطقة بعاطفتهم الوطنية وتعلقهم بالوطن الام ، كما عرفوا بجهادهم الشديد في سبيل تعلقهم بقوميتهم . ففي عام ١٩١٨ جرى اتفاق لتعيين الحـدود بين البلدين الحقت بموجبه تشيتين ومنطقتهـا ببولونيـا برضى وقبول تشيكوسلوفاكيا وهكذا حلت المشكلة . الا انها لم تلبث ان برزت حادة عنيفة من جديد على اثر هجوم مفاجىء قام به التشيك ، عام ١٩١٩ ، بينما كان البولونيون مشتبكين مع الروس في حروب دامية يتوقف عليها حياة الامة ومصيرها ، واقتطعوا عنوة من بولونيا ، منطقة تشيتين . فجاءت الدول الغربية تحل المشكلة اعتباطاً متجاهلة حقوق بولونيا المقدسة ، على هذا الاقليم . واصبح البولونيون المقيمون فيه ، بعد ان ذاقوا طعم الحرية ، وبعد ان ناضلوا نضال الابطال في سبيل انعتاقهم من النير الاجنبي ، يرسفون ثانية في سلاسل من الارهاق يشدها الاجنبي . وكان من نتائج تدخل الحلفاء ان الحق الاذى بمصالح بولونيا الوطنية كما انه اثار الشعور القومي بين البولونيين ولاسيما على اثر التحديات واعمـال الاستفزاز التي قام بها حكام هذه المنطقة التشكيون ، مما نكأ الجرح وجعله اكثر ايلاماً .

ولهذا اخذ البولونيون ينظرون ، بحق او بغير حق ، الى سياسة الدول الحليفة شزراً ولاسيما ما كان منها متعلقاً بدولة تشيكوسلوفاكيا ، وحق للجميع ان يتساءلوا ماعسى ان يكون تأثير هذه الوضعية الخطرة على استتباب الامن وحفظ السلام في العـالم . ومع ذلك ، وبالرغم من الاجحاف الواقع على بولونيا الذي كان يحدوبها الى عدم التسلم بالامر الواقع ، امتنعت هذه الدولة عن كل ما من شأنه الاخلال بالامن الدولي ، مؤثرة الاخلاد الى السكينة والاعتصام بالصبر الجميل وهو مسلك يقرها عليه كل من يغار على الامن والسلام ممن ينظرون الى الامور نظرة الواقعية بعين بصيرة ورأي صائب . ومحافظة على الحالة الراهنة وحباً بالسلام رأت بولونيـا

وتشيكوسلوفاكيا ان تعقدا سوية تحالفاًمع فرنسا . وقد اقترحت بولونيا نفسها مراراً عديدة على حليفتيها القيام بعمل دفاعي مشترك لصد الخطر الالماني . ولا شك بان بولونيا تقوم في حالة كهذه بتعهداتها كما تقوم بها في حال الاعتداء على تشيكوسلوفاكيا . ففي سنة ١٩٣٨ ، وقد بدت الضرورة ملحة للقيام باعباء هذا التحالف رأينا كيف ان الدول الكبرى تلكأت عن سلوك الطريق القويم المحافظة على السلم . فلاتشكوسلوفاكيا إمتشقت الحسام للدفاع عن الوطن ولا الدول العظمى المسؤولة عن حفظ السلام قررت الدفاع عن حليفتها لتقف في وجه العدوان الالماني . وآثرت ان تتراجع متقهقرة امام هتلر في مونيخ تاركة تشكوسلوفاكيا لقمة سائغة لاطماعه بعد ان تركها الحلفاء وشأنها . وقاموا اليوم يبررون عملهم هذا ويزكون تصرفهم بادعائهم انهم لم يكونوا على استعداد لدخول غمار الحرب . فليسمحوا لنا ان نشك ، ويحق ، بصوابية هذه المزاعم وان نقول انها لاتستند على اساس قوي من المنطق ، وذلك لان مجموع القوى المعدة لتقف بوجه هتلر اذ ذاك ومركز المانيا الستراتيجي قبل مونيخ ، والحالة الروحية التي نرى عليها الالمان آنئذ ومعظمهم يخشى الحرب ، كل ذلك يجعل بصورة لاتدع مجالا للشك والريبة ، التفوق الساحق في جانب خصوم هتلر . اما اذا اردنا ان نقف حقيقة على دواخل الامور التي ادت الى التسليم بمقررات مونيخ فاننا نراها ماثلة في عدم الرغبة في الحرب ، وفي ميعان الرأي العام في الديمقراطيات الغربية وفي فقدان التعاون المنسق في السياسة الدولية وفي عدم الثقة المتبادلة بين الدول . هذه هي ، وهذه هي وحدها ، الاسباب الحقيقية لمأساة التشكوسلوفاكية عام ١٩٣٨ . وقد انصرفت الدعاوة المضللة الى تشويه الواقع وتحويل الانظار عن حقيقة التبعات التي تقع على الدول الكبرى وحصرها في قضية ثانوية تم عرضها بصورة مشوهة ، عنينا بها قضية تشيتين .

لنلاحظ قبل كل شيء ، ان هذه القضية ، اسوة بالضغط الالماني على تشيكوسلوفاكيا ، برزت خلال ربيع ١٩٣٨ ، وليس في ايلول من السنة نفسها . فلماذا يريدون ان يحشروا في ازمة ايلول ١٩٣٨ موقف بولونيا منها ؟ فموقف بولونيا من هذه الازمة يمكن ان ينظر اليه من خلال الاعتبارات التالية :

اولا — كان في مقدور بولونيا ان تأخذ في هذه الازمة الموقف المعقول والمنطقي الوحيد الذي يفرض نفسه عليها ، وهو ان تشترك بعمل عسكري (او التظاهر على الاقل باستعدادها المساهمة بهذا العمل) وهذا وحده يكفي لحمل المانيا على احترام المواثيق والمعاهدات المعمول بها . فان اعراض الحلفاء واهمالهم العروض التي تقدمت بها بولونيا في الازمات السابقة (١٩٣٣ و ١٩٣٦) يجيز لنا ان نعتقد بان الحلفاء آثروا ، هذه المرة ايضاً كما في الماضي تجنب خطر الحرب . وهذا ما حدث بالفعل وحملهم على الاجتماع في مونيخ .

ثانياً — كان بمقدور بولونيا ، ابان هذه الازمة ان تقصر نفسهـا على السلبية فقط ، منيطة مصالحها الاقليمية الى عناية الحلفاء او الى هتلر نفسه .

ثالثاً — كان بوسع بولونيا ، اذ ذاك ، ان تأخذ للامر عدته وتقوم بمسعى ديبلوماسي نشيط الحركة ، دفاعاً عن مصالحها . فبالنظر لما انسته بولونيــا في هذا الجو الدولي المهيء للسير بالعالم على طريق مونيخ اكثر منه للسير به الى الحرب ضد المعتدي فلا حرج ولا تثريب على بولونيا ، ان تعنى ، قبل كل شيء ، بتأمين مصالح بلادها الحيوية .

فمن الوجهة البولونية ، الامر يبدو لنا على امرين : ١ — ان مصير البولونيين القاطنين مقاطعة تشيتين يصبح في خطر من جراء ظفر هتلر . ٢ — الخطر الذي يهدد بولونيا مــن جراء الدفعة الالمانية نحو المقــاطعات الواقعة وراء الكربات . ففي ايار ١٩٣٨ ابرمت الحكومة البولونية مع حكومة تشيكوسلوفاكيا اتفاقاً تناول الاقلية البولونية ، نص على الاعتراف لها بوجوب التمتع بحقوق الاقلية الاكثر رعــاية في تشيكوسلوفــاكيا . وقد وجهت كل من الحكومة الفرنسية والبريطانية ، الدولتين المتعاقدتين ، تهانيها للاتفاق المعقود . كذلك ضمت بلاد السوديت وفيها اقلية المانية الى المانيا عملا باحكام هذا الاتفاق . كذلك نص الاتفاق على ان الاقلية البولونية ، في تشيتين يجب ان يكون لها نفس المصير . وعملاً باحكام هذا الاتفاق تقرر ان تعود مقــاطعة تشيتين الى الوطن الام بعد ان أقتطعت منه قسراً اثناء الحرب البولونية السوفياتية . وبعد ان اظهرت الحكومة التشيكوسلوفاكية بعض التردد في الامر عــادت فابرمته . وبهذا حلت هذه القضية وسويت نهائياً . فعم بولونيا موجة من الابتهاج والمظاهرات الوطنية ، ان دلت على شيء ، فعلى الروح القومية العــالية والشعور الوطني الذي رأى في هــذا الحل العقلي خير وسيلة لغسل الاهانة التي لحقت بالبلاد منذ ١٩١٩ ، باقتطاع هذا القطر العزيز من جسم الامة .

ان تخلي الحلفاء عن تشيكوسلوفاكيا ، وضع بولونيا وجهاً لوجه ، مع قضية جديدة هامة هزتها هزاً ، الا وهي اتساع حرية العمل امام المانيا في اوروبة الوسطى وبالتالي طغيان نفوذها جنوباً ، مما يهدد بولونيا جدياً . ولهذا السبب الحيوي لم يكن في وسع بولونيا ان تقف مكتوفة اليدين فقامت الدوائر الديبلوماسية فيها بنشاط زاخر لم يكن ميسوراً الافصاح عنه ، اذ ذاك ، وايقاف الرأي العام عليه .

ان عودة مقاطعة تشيتين الى بولونيا اتاح لها مراقبة الخط الحديدي الذي يصل بين المانيا والمقاطعات الواقعة عبر الكربات كسلوفاكيا وهنغاريا . كذلك ، كان من نتــائج هذا العمل ارجاع مدينة بوخومين (Bohumin) وبالالمانية اوديربورج ، وهي من اهم عقد الخطوط الحديدية ، الى بولونيا ، بعد ان اثارت المانيا العراقيل والصعاب دون تحقيق هذا المطلب الذي تم بالرغم من المناوشات

التي دارت بين مأموري الجمرك والالمان .

فكانت مهمة بولونيا ، والحالة هذه ، ان تعرقل على الاقل حرية العمل امام المانيا في هذه المناطق ، ان لم نقل ان تقف في وجه الدفعة الالمانية نحو البلاد الواقعة عبر الكربات ، الامرالذي لم يكن الاخذ به سهلاً الا بمساعدة الدول العظمى . وهذا ما يفسر لنا القلق الذي تجلى في السياسة البولونية ازاء سلوفاكيا وهنغاريا . ومن يستطيع ان يجزم بان هذه السياسية لم تأت ثمارها اليانعة ؟ والا فكيف نفسر رفض الحكومة الهنغارية في عام ١٩٣٩ ، السماح بنقل الجيوش الهتلرية لتهاجم بولونيا من الوراء ؟ وهكذا روعيت تلك العلاقات التقليدية الطيبة التي ربطت ، على مدى الاجيال بين بولونيا وهنغاريا .

وبالرغم من مظاهر الخصومة الدائمة التي باعدت منذ ١٩١٩ بين بولونيا وتشيكوسلوفاكيا يجب الاعتراف بان هذا العداء لم يتغلغل عميقاً في نفوس الامتين المذكورتين . فسوء الظن والبغضاء من قبل البولونيين وقعا بالاخص على بعض الاوساط السياسية المعروفة بعدائها لبولونيا ، بينما كانت علاقات البولونيين بالسلوفاكيين مشبعة بالصداقة الخالصة كما ان اوساطاً روتانية كثيرة اعربت سنة ١٩٣٩ ، عن شعورها الطيب نحو بولونيا في محنتها الاخيرة .

وقد استقبلت بولونيا بترحاب في عام ١٣٨ ، و ١٩٣٩ ، التشيك الذين آثروا النزوح عن اوطانهم ، على ان يتحملوا الضغط الالماني . وقام فريق منهم ، لدى بروز الخطر الجرماني واتضاحه ، بتأسيس فرق منظمة لديها ما يلزم من السلاح . وعندما تُسوّى القضايا المختلف عليها فيما بينها ستضطر كل من هذه الشعوب: التشيك والسلوفاك والبولونيين ، المتقاربة جنساً ولساناً وثقافة وحضارة ، والعائشة في ظروف جغرافية واحدة ، الى تعاون اوثق واضمن لها ولاستقلالها وسلامتها الاقليمية . ولا يتم ذلك الا على شرط ان توصد الابواب في وجه المطامع التي تغذيها الدول الكبرى المجاورة والتي ترمي من ورائها الى التبسط والتوسع في هذه المناطق من اوروبا الوسطى .

بولونيا وعصبة الامم — ساهمت بولونيا على قدر عظيم باعمال عصبة الامم . وكانها وقد استشعرت امكانية اضطراب الامن العالمي والاخلال بالسلام فقد وقفت دائماً الى جانب الحلول التي تضمن بالفعل السلامة الاجماعية . وقد اتجهت سياسة هذه الدولة الى تأييد الاجراءات والقرارات المنبثقة عن ميثاق العصبة،التي من شأنها ان تساعد جدياً على تنظيم السلامة العامة ووضع نظام العقوبات ضد المعتدي والمعونة المشتركة على اساس ايجاد جهاز دولي صالح للتدخل بدون ابطاء في حال نشوب ازمة تهدد السلام، والعمل على نزع السلاح من العالم ومراقبته الفعلية وقد كان دورها رائعاً في المساهمة التي ابدتها هذه الدولة في نشاط العصبة ولا سيا في

المكتب الدولي للعمل افنى عليه الجميع الثناء العاطر .

لم تتمكن عصبة الامم ان تحقق الهدف المرسوم لها منذ البدء . والسبب في ذلك يعود الى امتناع بعض الدول عن الاشتراك في عضويتها ، من جهة ، والى السياسة التي نهجتها بعض الدول الاخرى متجنبة التزامات دولية جديدة من جهة ثانية . واتسمت سياسة الدول العظمى فيها بسمة التخاذل والتنابذ . ولا نريد مثلاً على ذلك الا الاعتداء الالماني عام ١٩٣٨ على تشكوسلوفاكيا فلم يتمكن جهازها من اي عمل . وعلى عكس ذلك عمل هذا الجهاز ، عام ١٩٣٩ — ١٩٤٠ لنزع العضوية عن روسيا السوفياتية لاعتدائها على فنلندا .

وقد احيلت قضايا كثيرة تتعلق ببولونيا الى عصبة الامم ، منها قضية دانتزيغ والقضية الاخرى المتعلقة بالاقليات . ففي عام ١٩٣٤ ، اوقفت بولونيا من جهتها تطبيق النظام الموضوع لحماية الاقليات الى ان يعم تطبيقه جميع الدول الاخرى . ورمى البعض بولونيا ببرودة علاقاتها بعصبة الامم . وهذه تهمة لا ترتكز على اساس وطيد من الصحة عندما كان الامر يتعلق بتوطيد دعائم السلام العالمي ، اذ انه كثيراً ما كان يكمن وراء نشاط العصبة ووراء هذه الصور الغامضة التي يهزونها امور تؤذي قضية السلام العام . ورأت بولونيا على الاخص خطراً ماثلاً للعيان في إقصار نظام السلامة العامة والضمانة الدولية على اوروبة الغربية ومنطقة الرين فقط . فكانت نظريتها السياسية في هذا الصدد ان اوروبة تشكل في مجموعها شرطا اساسياً ووحدة تامة في امر الحفاظ على السلام وليس قسم منها فقط كاوروبة الوسطى او الشرقية او الغربية . وامام هذا النقص البادي على نظام السلامة الذي وضعته جامعة الامم الذي تراءى منذ الاساس نقصه لبولونيا ، انصرفت هذه لاستكمال شروط سلامتها بعقد اتفاقات ومواثيق خاصة مع البلدان ذات العلاقة التي يهمها جداً الابقاء على الحالة الراهنة كما رسمتها المعاهدات المعقودة بعد الحرب .

بولونيا وحليفاتها — ان ما قام بين فرنسا وبولونيا من حسن العلاقات على ممر التاريخ وما جمع بينهما بعد الحرب من المصالح المشتركة حدا بهما الى ابرام عدة اتفاقات دولية . ففي شباط ١٩٢١ قام رئيس الدولة بلصدسكي بالمفاوضات اللازمة لعقد معاهدة واتفاق عسكري اشترك بها من الجانب الفرنسي مسيو مليران وبريان . وتعهدت كل من الدولتين المتعاقدتين المحافظة على السلام في اوروبة وعلى تأمين سلامة ودفاع كل من البلدين والذود عن مصالحها السياسية والاقتصادية وقد نص الاتفاق الحربي على التعاون العسكري المجدي والسريع في حال قيام المانيا باعتداء مسلح وعلى تبادل هذا التعاون في حالة قيام خطر من جهة المانيا . وهنالك شرط ينص على ان تساعد فرنسا بولونيا في حال مهاجمة روسيا لها .

وفي سنة ١٩٢٥ عقدت كل من فرنسا وبولونيا ، في اوكارنو اتفاقا تعاهدا فيه على ان : يجب

احداها لمساعدة الاخرى وتقدم لها المعاونة اللازمة في الحالات المنصوص عنها . وقد بقيت الاتفاقات الفرنسية البولونية معمولا بها طيلة المدة الواقعة بين الحربين . فتبادل الاراء المتعلقة بوسائل التطبيق والعمل بقيت من خصائص اركان حرب الدولتين في كل من فرنسا وبولونيا . وبالرغم مما قام حول هذه الاتفاقات من اعتراضات وهجمات بقصد افسادها واضعافها فالاتفاق الفرنسي البولوني بقي احدى اقوعد السياسة البولونية ودعامة من دعائم الحالة الراهنة في اوروبا في فترة ما بين الحربين .

وبعد قليل من ابرام هذه المواثيق مع فرنسا والاتفاق العسكري الذي تلاها قامت الحكومة البولونية بعقد مثل هذه المعاهدت ومثل هذا الاتفاق مع رومانيا نفسها ، وترك امر ايضاح تفاصيله في اجتماعات عقدت لهذه الغاية بين اركان حرب الدولتين .

بذلت بولونيا نشاطاً عظيما في سبيل تأمين مساهمة فعالة مع الدول الاخرى في الحقل الاقتصادي والسياسي والثقافي وفي غير ذلك من مناحي النشاط البشري . وقد وفقت الى عقد مواثيق عديدة تمتّ بصلة الى هذه الامور الهامة . وقد سيطر على السياسة البولونية في هذه الحقبة فكرة غالبة الا وهي صيانة هذه البلاد والبلدان الاخرى من وطأة تلك السياسة الدولية التي كانت ترمي الى « التهدئــة » هذه السياسة التي انتهجتها الدول العظمى الى حين تستهدف من ورائها صيانة مصالح الاخرين لقاء ظلال واهية من ضمانة السلام .

وهذه السياسة الشاقة اضطرت بولونيا الى اتباعها بعد سنة ١٩٣٣ ، لما تجلى لها الخطر على السلام العالمي ، هذا السلام الذي قام على الجهود المبذولة عام ١٩١٩ — ١٩٢١ ، وقد تولى سياسة البلاد الخارجية ، في هذه الفترة الدقيقة من تاريخ البلاد ، الكولونيل بيك الذي آلى على نفسه ان يقف في وجه تلك الاقتراحات او وسائل الضغط والاكراه التي كانوا يبذلونها لجر بولونيا في طرق ملتوية يؤذي مصالحها الحيوية وتمس كيانها في الصميم : منها ميثاق الاربعة والميثاق الشرقي والميثاق ضد الشيوعية الخ . وقد عادت هذه السياسة على الحكومة باللوم والانتقاد المرير من قبل بعض الجهات الدولية التي نصحت لها بالاقلاع عنها والعدول بها . وقد وجب ان تحــل الكارثة الكبرى التي اقامت العالم واقعدته حتى يقدروا موقف بولونيا قدره ويثنوا على بعد نظرها .

كانت مهمة سياسة بولونيا الخارجية الرئيسية ان تحول دون ما يراد بالبلاد من عزلة وانزواء ، وحمل الدول الكبرى على تغيير وجهة نظرها في انصرافها الى تنظيم السلامة الاجماعية ، باستثناء اوروبا الوسطى واوروبا الشرقية منها . وقد تغلبت في النهاية نظرية بولونيا وبلغت سياستها الخارجية ما كانت تهدف اليه من هذا القبيل ، وذلك عندما اصبح نشاط هتلر يهدد بخطر ماحق . فخرجت بريطانيا العظمى ، اذ ذاك ، عن تقاليدها وحادت عن وجهة سيرها التي اتبعتها منذ معاهدة فرسايل ، وقررت الانضمام الى نظام السلامــة الذي كان التحالف الفرنسي البولوني

خير نواة له . وعلى هذا الاساس لم يطل ربيع ١٩٣٩ حتى اخذت بريطانيا وبولونيا تتبادلان الرأي وتعلنان عن رغبتها في ضمان احداهما الاخرى في حالة تعد غير مستفز اليه ، ولم يمض بضعة اشهر حتى وقع الطرفان ميثاق تحالف يتعهد فيه كل منهما تبادل المعونة والمساعدة .

بولونيا وعلاقاتها بالاتحاد السوفياتي وبالمانيا — بعد ان اقرت بولونيا تسوية حدودها نهائياً انثنت عن كل فكرة بتعديل الحالة الراهنة وانصرفت بكليتها الى توطيد علائق حسن الجوار مع كل من الاتحاد الروسي والمانيا . كان من شأن المواثيق المعقودة بين بولونيا وجارتيها العظيمتين ان تقر ، فيما لو خلصت النيات وحسنت ، السلام في اوروبا . ومن حسنات هذه العهود المقطوعة ان حالت بعض الشيء ، والى حين ، دون القيام بعمل عدائي مستطاع ، كان جر على المعتدي ، في حال حدوثه ، نقمة الرأي العام العالمي . ومهما يكن من نقص او عجز في القوة الرادعة التي تكمن في الرأي العام ، فليس من شك بان المعتدي يرتبك جداً متحرجاً اذا ما رأى نقمة الجميع وتأنيبهم ، كما كان حال روسيا عند تعديها على فنلندة ، خلال ١٩٣٩ — ١٩٤٠ ، مما ادى الى قطع الاتحاد السوفياتي عن عصبة الامم .

فكانت معاهدة ريغا الاساس التي قامت عليه العلاقات البولونية الروسية حتى ايلول ١٩٣٩ وهو تاريخ انفجار الحرب . وقد عقد بين البلدين فيما بعد مواثيق اخرى ساعدت على تدعيمها وتوطيدها . من ذلك « اتفاق موسكو » حيث يتعهد الموقعون عليه بعدم اللجوء الى الحرب ، وميثاق عدم الاعتداء المبرم عام ١٩٣٢ ، والاتفاق المعقود سنة ١٩٣٣ حول تحديد المعتدي ، وفي عام ١٩٣٤ وتجديد ميثاق عدم الاعتداء بينهما حتى سنة ١٩٤٦ او غير ذلك من تصريحات عديدة على لسان حكومة الدولتين وكزيارة الكولونيل بيك لموسكو وليتفنوف لفارصوفيا . وفي اثناء الازمة التشيكوسلوفاكية ، عام ١٩٣٨ صرحت بولونيا في تشرين الثاني من السنة نفسها بعد انتهاء قضية ميمل التي كان من شأنها ان تثير مخاوف روسيا ، عن رغبتها الوطيدة بان لا تتبدل علاقات حسن الجوار التي تميزت بها العلاقات البولونية الروسية .

ولما جرى البحث في هذه الامور وفي الازمة التي تلتها ١٩٣٩ عن امكان مؤازرة روسيا الحربية ، كان موقف بولونيا صريحاً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض . فقد اعربت بصدق واخلاص عن استعدادها لكل مساهمة فعالة ، على شرط ان تصان سيادة بولونيا وتضمن سلامتها ، فلا تمس بصورة ما ، وقد كان موقف رومانيا مماثلاً لموقف بولونيا من هذه القضية . وبناء على ما لدينا من المعلومات نقول ان روسيا لم تشاطر بولونيا هذا الرأي . وقد اتضح موقفها من هذه الناحية ، بعد حين ، من خلال مساعيها مع دول البلطيق التي كانت مع ذلك على الحياد التام ، بينما كانت بولونيا دولة حليفة لها . وقفت بسياستها الخارجية قبل الحرب وبمقاومتها العسكرية سنة ١٩٣٩ سداً يدرأ الخطر

الالماني ويدفعه عنها

اما العلاقات البولونية ، فقد كانت في الفترة التي عقبت معاهدة فرسايل شديدة التوتر ، حادة تحتدم اكثر فاكثر . كيف لا وقد حاولت المانيا جهدها بالمواثيق التي عقدتها مع الاتحاد السوفياتي عام ١٩٢٢ و ١٩٢٦ وبموجب ميثاق لوكارنو ان تعزل بولونيا سياسياً ولكي تلحق الاذى والمضرة بهذه البلاد ، لم تتورع المانيا من اطلاق حرب اقتصادية عليها (١٩٢٧—١٩٢٨) كان من نتائجها المعكوسة ان وطدت الاقتصاد البولوني بعد ان كان منتظراً شلّه،ووجهت حركة المبادلات والمقايضات البولونية شطر بلاد اخرى ، بينما كانت من قبل مركزة صوب المانيا .

وقد حــلا للدعاوة الالمانية ان تثير ، الفينة بعد الفينة ، قضية الحدود بين بولونيا ، ملوحة بدانتزيغ وبالممر البولوني، طالبة اعادة النظر فيها من جديد . وكان من جراء التهديد بهذا الخطر انسياح الرأي العام في الديمقراطيات الغربية وكلال عيون ساستها ، اذ قاموا يبيئون لبولونيا على طريقتهم المعروفة في مونيخ ، حــلا « مونيخياً » مهاجرى من نتائجه السيئة على هذه الدولة . وقــد عرفت بولونيا ان تدرأ عنها الخطر فتنجو بنفسها من هذا المأزق الحرج بعقدها مع المانيا معاهدة حسن الجوار (١٩٣٤) كان من وجوهها الحسنة اقامة العلاقات بين البلدين على اسس وطيدة باعدت ما بينها من شبح الحرب . ولم يكن بالامكان الوصول بهذه العلاقات الى هذه النتائج الطيبة لو لم يقم وراء الستار الديبلوماسي ، اتفاقات سرية بين المانيا وبولونيا تثير بعمل موحد ضد عدو مشترك . فكل المعاهدات والمواثيق التي قامت بولونيا بعقدها والتي جرى العمل بها حتى نشوب الازمة الاخير كانت خير ادوات ديبلوماسية لحفظ السلام وصيانته . وهكذا في حال تعدٍ من قبل المانيا،تحتفظ بولونيا على حريتها كاملة غير منقوصة للقيام بتعهداتها المنبعثة من معاهدة التحالف بينها وبين فرنسا ومن ميثاق جامعة الامم . وظلت الحكومة البولونية شأنها في ذلك شأنها قبل عقد الاتفاق البولوني الالماني الاخير عام ١٩٣٤ ، تشد كل عمل ردعيّ وتتبنى اي اقتراح من شأنه الوقوف في وجه المانيا اذا ما اثارت بتصرفها ازمة ترمي من ورائها الى النيل من المعاهدات المعقودة واضعاف مفعولها . ولم تتوهم الحكومة البولونية قط ، ولم يطوح بها الغرور يوماً ان كل خطر من جانب المانيا زال نهائياً لمجرد اتفاقها معها عام ١٩٣٤ وعلى عكس ذلك فقد زادت من مجهودها الحربي واذكت من نشاطها بعد هذا التاريخ ، ووسعت من نطاق تعاونها مع فرنسا توصلا بها لاعداد وسائل الدفاع عن الدولتين ضد هجوم الماني .

وقد اتاحت الازمة التي اثارها هتلر في اذار ١٩٣٦ من تسليحه منطقة رينانيا للحكومة البولونية الفرصة لان تعرب بصراحة عن رأيهــا في الحالة الحرجة ، ولان تقترح مرة جديدة على الدول صاحبة العلاقة عملاً عسكريا لواخذت به في حينه ،لكفي به منجاة لاوروبا من مصيرها المحتوم .

فمعاهدات عدم الاعتداء التي عقدتها بولونيا تباعاً مع كل من الاتحــاد السوفياتي ومع المانيا

تتفق كل الاتفاق والاتجــاه السياسي الذي اتجهته دول اخرى كفرنسا وتشيكوسلوفاكيا او ستتجهه غيرهما من الدول بعد قليل .

كانت المانيا تهدف ليس فقط الى اعادة النظر في نصوص معاهدة فرسايل وتعديل ما تراه منها في غير صالحها ، بل على الاخص الى التوسع وبسط سيطرتها واستئناف زحفها نحو الشرق. وكان من جراء سياسة حسن الجوار التي انصرف اليها الكولونيل بيك ان جعلت من بولونيا سداً في وجه المطامع الالمانية نحو روسيا . ولذا حاولت الحكومة الالمانية مراراً في عهد هتلر ان تحمل بولونيا على انشاء جبهة موحدة من كلا الدولتين في حرب واحدة ضد الاتحاد الروسي ، تعود عليها بالازدهار وتسمح لها بضم اراض واسعة. وقد اعرضت بولونيا بانفة عن هذه العروض المغرية ولم تشأ حتى الوقوف عند النظر في واحدة منها مع ما فيها من مشوقات .

النتائج الاخيرة — والآن وقد شارفنا على الانتهاء من هذا البحث في سياسة بولونيا الخارجية بين ١٩١٩ — ١٩٣٩ نستطيع ان نوجز ما استطردنا اليه من قول بما يلي .

لم يكن من هدف لسياسة بولونيا الخارجية سوى توطيد السلام والمحافظة على الحالة الراهنة في القارة الاوروبية . واساس ذلك كله احترام المواثيق المقطوعة .

ان الحوادث الجســام التي عقبت سنة ١٩٣٨ برهنت للملأ ، بصورة قاطعة ، عن بعد نظر السياسة البولونية وصوابها ، ولا سيما عند مــا اقترحت الاعتصام باجراءات ردعية ضد المانيا اذ كان ظموها الى الانتقام يهدد السلام العالمي .

ان الحذر والتحرز من حب السيطرة البادية على كل من المانيا وروسيا له مــا يبرره وما يغذيه من تلك الاعمــال التي كانت سبباً في اشقاء عدد كبير من الشعوب في هذه الحقبة التي فصلت ما بين الحربين العالميتين .

ان الفكرة الرامية الى تنظيم اوروبا الوسطى واوروبا الشرقية على اساس اتحادي ، تقوم على النظرية البولونية القائلة « من تعادل تساوى والحر خدين الحر » هذه النظرية نفسها هى التى كانت المحور الاساسي لسياسة بولونيا الخارجية بعد انبعاثها . وها هي تبدو اليوم كانها الحل الوحيد الذي يوطد دعائم السلام ويضمن سلامة القارة باسرها .

كانت بولونيا في جهودها الصادقة لتحقيق المحالفات الضرورية لتدعيم السلامة الاوروبية **محقة مخلصة . ولذا كلل النجاح مسعاها . فقامت الديمقراطيات العظمى في الغرب ترتبط بالتزامات وضعية ترمي للوقوف في وجه المعتدي بقوة السلاح . حتى ان انكلترة نفسها خرجت في هذ الصدد، عن تقاليدها الموروثة وانضمت الى هذه الالتزامات .**

اما سياسة حسن الجوار فانها كانت تهدف ، فيما تهدف اليه ، الى تنظيم **تلك العلاقات التي**

كثيراً ما كانت تتسمم من جراء مداخلات غريبة ، كما كانت ترمي ايضاً الى تقييد حرية العمل امام بعض الدول المظنون عليها بروح التعدي .

وما ان اتضح للجميع عجز عصبة الامم عن اقرار السلام ودعمه ، وانصراف الديمقراطيات الكبرى وراء سياسة مغلوطة مركزة على التهدئـة حتى قامت بولونيا تأخذ للامر عدته وتعمل كل ما في وسعها لتأمين دفاعها الوطني وتقويته ، ولو ادى ذلك الى كبت حاجتها الى الانشاء والبناء والترفيه عن الشعب .

وهكذا يبدو جلياً ان بولونيا قامت بكل ما هو مستطاع لتجنب هول الكارثة وفظائع الحرب الاخيرة . ويمكن لنا القول انه كان بالوسع اجتناب هذه الحرب لوان الدول العظمى عمدت، بدون تردد ولا تحفظ ، الى الاخذ بالسياسة التي انتهجتها بولونيا والنظرية التي قالت بها ،فتكون ادت على الوجه الاكمل رسالتها التاريخية في حفظ السلام العالمي .

*

النظام السياسي في الجمهورية البولونية

المميزات العامة — عند نشوب الحرب العالمية الثانية في غرة ايلول ١٩٣٩ كان النظام السياسي الذي تسير بموجبه الجمهورية البولونية يرتكز على الدستور الموضوع بتاريخ ٢٣ نيسان ١٩٣٥ ، هذا النظام الذي تقوم عليه اليوم شرعية الحكومة البولونية المبعدة. وقد استبقى الدستور الجديد بعض الاحكام الواردة في مندرجات الدستور السابق المعلن في ١٧ اذار ١٩٢١ المتعلقة بحقوق المواطنين وواجباتهم . وقد ضمن النظام الاساسي الموضوع ١٩٣٥ الحريات الاساسية لجميع المواطنين . وهكذا تبدأ الدولة البولونية جمهورية ديمقراطية يتولى مقدراتها رئيس شبيه برئيس الولايات المتحدة الاميركية .

الاسس النظرية لدستور عام ١٩٣٥ — رغبة منهم في توطيد اركان الدولة بتوطيد نظام الحكم استهدف واضعو الدستور البولوني التجنب قدر المستطاع ، مفاسد النظام النيابي الحر التي تجلت في الدستور الماضي المعلن في ١٧ اذار ١٩٢١ هذا الدستور المستوحى من الدستور الفرنسي المقرر عام ١٨٧٥ ، كما استطاعوا ان يتنكبوا عن مزالق النُظُم الاجماعية المتبعة في كل من روسيا والمانيا وايطاليا ، مؤثرين ان يميروا البلاد بتشريع يكون مرآة ينعكس عليها نظَر الامة البولونية السياسي . فقد جاء الدستور البولوني المعلن سنة ١٩٣٥ والحالة هذه احدى المحاولات الرامية الى تنقية النظَـام الديمقراطي النيابي ، كما كانت تستهدف ذلك الديمقراطيات الغربية .

وقد اجرت فرنسا نفسها ايضا هذه المحاولة بعد الحرب العالمية الثانية محتذية في ذلك حذو الدستور البولوني المعلن عام ١٩٣٥ . فلاعجب بعد هذا ان تقوم دعاوة بغيضة عدوة تصور هذا الدستور محاولة رجعية تقوم بها عناصر فاشية .

فبعد ان يُقصي الدستور البولوني الجديد النزعات الدكتاتورية يعلن في الجزء العام منه ، بان الجماعة تنشأ ضمن اطار الدولة التي ترتكز اليها ، اي ان حياة الجماعة او الامة تسير بموجب النظام الشرعي الذي اوجدته الدولة . ويحق لهذه الجماعة ان تعتقد بان الدولة تضمن ، او بالاحرى ، يجب ان تضمن التطور الحر للحياة الاجتماعية . كذلك هي تعتقد بمبدأ مقرر ، بان نشاط الفرد المنتج هو العنصر الاول للتعاون والتضامن وان على الدولة ان تؤمن ، بالتالي ، للافراد امكانية انماء مابهم من مقدرات وكفاءات ، كما تؤمن لهم حرية الاعتقاد وحرية الكلام وحرية الاجتماع

وغير ذلك من انواع الحرية الفردية. وعلاوة على ما تقدم ينص الدستور صراحة بانه لا يجوز الحد من حقوق المواطن في مساهمته بالاعمال العامة لاي اعتبار يتعلق باصله او عقيدته اوجنسه او قوميته.

ولهذا حرص الدستور الجديد المعلن في ٢٣ نيسان ١٩٣٥ على ابقاء المواد ٩٩ ، و١٠٩ ، و ١١٨ ، و١٢٠ من الدستور القديم المعلن في ١٧ اذار ١٩٢١ والتي تتعلق كلها بحقوق المواطنين الاساسية .

وقد نص دستور عام ١٩٣٥ على ان الدولة البولونية هي جمهورية يرأسها رئيس الجمهورية . فهو يجمع في شخصه ، كما جاء حرفياً ، سلطة واحدة غير متجزئة . وهذ لا يعني قط بان رئيس الجمهورية هو وحده مصدر السلطة ، فهو يجمع في شخصه مهام الحكم بواسطة شبكة من الموظفين . فالمادة الثالثة من الدستور حرصت ، بالعكس ، على ان تعدد ، بالتفصيل اركان السلطة في الدولة ، وهي «السايم» او مجلس النواب ومجلس الشيوخ والقوى المسلحة والمحاكم ومحكمة العدل العليا . وينص الدستور على ان هذه الاركان العليا ، تخضع لسلطة رئيس الجمهورية اي انها تلي هذه السلطة وترتبط بها . فعلى رئيس الجمهورية ، وهو يمارس سلطته ، ان يتقيد ، فيما يتعلق بهذه الاركان ، باحكام الدستور الذي ينص تصريحاً وتفصيلاً ، على ما للرئيس من حقوق وما عليه من واجبات .

وقد جاء في احدى مواد دستور ١٩٣٥ ان رئيس الجمهورية هو المرجع الاعلى لتنسيق نشاط اركان الدولة . وبموجب هذه الصلاحية يحق للرئيس ان يتدخل ، دستورياً ، وعلى قدر واسع ، في سير اعمال السلطات العامة . فهو ، والحالة هذه ، المرجع الرئيسي في جهاز الدولة .

كيفية انتخاب الرئيس كما ينص عليها الدستور — يجري انتخاب رئيس الجمهورية في بولونيا على الصورة التالية . يعين مجلس المنتخبين مرشحاً واحداً لرئاسة الجمهورية . وهذا المجلس يتألف من اصحاب السلطات العليا الخمس في الدولة ، وهم رئيس مجلس الشيوخ ورئيس مجلس النواب ورئيس الوزارة ورئيس محكمة التمييز والمفتش العام لقوى الدفاع ، كما يضم ٧٥ ناخباً أخر يعين السايم ثلثيهم ، ويعين مجلس الشيوخ الثلث الآخر ويصير انتقاؤهم من خيرة المواطنين . ويحق لرئيس الجمهورية المنتهية مدته ان يعين مرشحاً آخر من قبله . فإذا ما استعمل الرئيس حقه في الترشيح وعين مرشحه تقدم مجلس المنتخبين لانتخاب الرئيس القادم بين المرشحين وذلك بطريق الاقتراع السري . اما اذا رأى الرئيس المنتهية مدته ان لا يستعمل حقه الدستوري في تعيين مرشح خاص او اذا لم يعين مرشحاً له خلال الايام السبعة التي تلي تعين مرشح مجلس المنتخبين . عُدَّ مرشح هذا المجلس وحده رئيساً للجمهورية . اما رئيس الجمهورية فينتخب لمدة سبع سنوات تبتدىء منذ اليوم الذي يباشر فيه اعباء الرئاسة . الا انه في حالة قيام حرب تمدد هذه المدة الى ما بعد

ابرام السلام بثلاثة اشهر ·

وقد اوجب دستور ١٩٣٥ في مادته ٢٤ على رئيس الجمهورية ان يعين بقرار خاص يتخذه في حالة اعلان الحرب ، خلفاً له يخلفه في منصبه الى حين ابرام السلام ، عند شغور الرئاسة . وتنتهي مهمة هذا الرئيس المعين على هذه الصورة بعد ابرام السلام بثلاثة اشهر · وقد اتت هذه الاحكام التي نص عليها الدستور باحسن النتائج واطيبها لانها اتاحت للرئيس اغنــاطيوس موسيسكي (Moscicki) ، بقراره الصادر في ١٨ ايلول ١٩٣٩ ان يعين خلفاً له مسيو لادسلاس ركزكيافتس (Raczkiewicz) الذي أمن فوراً، اعباء رئاسة الجمهورية بعد ان اعتزل الرئيس الاول منصبه . وهو لا يزال يؤمن اعباء هذه الرئاسة بوصفه رئيس الدولة البولونية الشرعي .

واذا ما شغر منصب رئاسة الجمهورية قبل انتهاء مدة ولاية صاحبها المحددة بسبع سنوات ، يقوم رئيس مجلس الشيوخ باعباء الرئاسة الى ان يصار الى انتخاب رئيس جديد .

صلاحيات رئيس الجمهورية كما نص عليها دستور عام ١٩٣٥ — ولكي تكتسب قرارات رئاسة الجمهورية صفة القطعية وتصبح نافذة يجب ان يوقع عليها كل من رئيس الوزارة والوزير المختص . فباستثناء تلك القرارات التي يجب ان تخضع لتوقيع كل من رئيس الوزارة والوزير صاحب العلاقة ، حدد الدستور البولوني المعلن عام ١٩٣٥ بعض حالات لا يحتاج فيها ما يرسمه رئيس الجمهورية لتوقيع آخر غير توقيعه ليصبح مفعوله نافذاً، له صفة القانون ،وذلك في الامور التي تتعلق بصاحب « امتيازات » الرئاسة . وتتناول هذه الامتيازات،فيما تتناوله،من حقوق مقررة ، حق الرئاسة بتعيين احد المرشحين لرئاسة الجمهورية ، كما اسلفنــا الكلام الى ذلك ، وحق تعيين رئيس الوزارة او عزله ، ورئيس محكمة التمييز ، ورئيس محكمة العدل العليــا ، وحق تعيين القائد العام لقوى الدفاع الوطني والمفتش العام لقوى الدفاع ، وحق حل مجلسي النواب والشيوخ قبل انتهاء ولايتهما ، وحق احالة اعضاء الحكومة امــام محكمة الدولة الخ . ويمثل رئيس الجمهورية بلاده لدى الخارج كما يستقبل ممثلي الدول الاجنبية كذلك يرسل باسمه الى الخارج ممثلين للدولة البولونية وله حق اعلان الحرب وحالة الطوارئ واقرار السلام كما له حق اعداد المعاهدات الدولية وابرامها . وقد نص الدستور البولوني على ان بعض المعاهدات الدولية يجب ابرامها من قبل المجلسين قبل ان تعرض لتصديق رئاسة الجمهورية · وينص الدستور ايضاً على ان الرئيس هو قائد الجيش الاعلى ، فاذا ما اسندت القيادة الحربية الى قائد عام خاص عاد الى الاخير حق القيام باعباء القيادة . ويعين رئيس الجمهورية بملء ارادته واختياره رئيس الحكومة او رئيس الوزارة، وهذا يقترح على رئيس الجمهورية اسماء معاونيه من الوزراء . ولرئيس الجمهورية ان يدعو النواب والشيوخ الى فتح دورة تشريعية ، كما له ملء الحق بحلها او بتأجيل الدورة وباقفالها .

التشريع في البلاد بموجب دستور ١٩٣٥ — ان الاعمال التشريعية وفرض الضرائب على المواطنين البولونيين وقطع موازنة الدولة بعد درسها وتحديدها ومراقبة اعمال الحكومة ، كل هذا وما اليه من الامور المماثلة جعلها الدستور من اختصاص مجلس النواب بالتعاون مع مجلس الشيوخ . ومع ذلك فلرئيس الجمهورية ، بحسب دستور البلاد ، صلاحيات تشريعية هامة .

ويتألف مجلس النواب من ٢٠٨ اعضاء يصير انتخابهم لمدة خمس سنوات بالاقتراع العام السري المباشر . ويحق الاشتراك في الانتخابات ، مبدئياً ، لكل مواطن بولوني ، مهما كان جنسه ، ذكراً ام انثى ، يتمتع بجميع حقوقه المدنية بلغ الرابعة والعشرين قبل تاريخ الانتخابات المقررة . ويحق لكل مواطن بلغ الثلاثين من عمره ان يرشح نفسه لعضوية مجلس النواب .

اما مجلس الشيوخ فيتألف من ٩٦ عضواً ، ثلثاهم منتخبون والثلث الباقي يعينه رئيس الجمهورية. وولاية مجلسي الشيوخ والنواب خمس سنوات. فاذا ما شاء رئيس الجمهورية ان يحل احد المجلسين او كليهما قبل انتهاء ولايتها ، ترتب عليه ان ينوه في صلب مرسوم الحل بالاسباب الموجبة اليه ، كما يتحتم ان يحدد تاريخ الانتخابات العامة في فترة لا تتعدى ٩٠ يوماً من تاريخ حل المجلس . ويتمتع كل من اعضاء مجلس النواب والشيوخ بالحصانة النيابية اللازمة تأميناً لهم للقيام بالاعمال التشريعية . وتكون جلسات مجلسي النواب والشيوخ عمومية ، كما يجوز عقد جلسات سرية .

ويقسم الدستور الاعمال التشريعية الى قسمين متميزين : القوانين التي يسنها مجلس الشيوخ والنواب ، والمراسيم التي يصدرها رئيس الجمهورية في ظروف وحالات خاصة مقررة دستورياً .

اولا : سن القوانين — تسن القوانين كما يلي . يبحث مجلس النواب مشروع القانون المقترح تصديقه . وبعد ان يقره يرسله الى مجلس الشيوخ لبحثه والمناقشة فيه وتصديقه مع الصلاحية التامة له بادخال التعديلات التي يراها او رفضه برمته اذا شاء . فاذا ما اقترع مجلس الشيوخ ، معدلا او رافضاً، على مشروع قانون حاز موافقة النواب عُدَّ اقتراع مجلس الشيوخ على المشروع نافذاً اذا لم يتقدم مجلس النواب برفض هذا الاقتراع بقرار يتخذه ثلاثة اخماس اعضاء المجلس .

اما اثر رئيس الجمهورية في التشريع فيظهر بنوع خاص بما يتمتع به من حق الفيتو او الرفض للقوانين التي يقرها مجلسا النواب والشيوخ . وهذا الحق من شأنه ان يعلق مشروع القانون ، اي انه يمكن لرئيس الجمهورية في خلال الثلاثين يوماً التي تلي وصول مصادقة المجلس على مشروع القانون، ان يحيله من جديد لمجلس النواب ليعيد النظر فيه . ولا يحق للمجلس النظر من جديد في القانون المطروح

للبحث الا في الدورة العادية التالية . فاذا ما اقرّ كل من نصف مجلسي النواب والشيوخ القانون المذكور توجب على رئيس الجمهورية ان يقر القانون المشار اليه وينشره .

اما القسم الثاني من الاعمال التشريعية فهو الخاص بالمراسيم التي يصدرها رئيس الجمهورية وفاقاً لمنطوق الدستور في بعض حالات مقررة منها :

١ — ينص الدستور على ان بعض القضايا تقرر بمرسوم يصدره رئيس الجمهورية . من ذلك مثلاً ، تشكيل الحكومة وتحديد صلاحيات كل من رئيس الوزارة والوزراء ، وتنظيم قياده الجيش العليا والادارة الحكومية ٢ — عندما يخوّل المجلس رئيس الجمهوريـة ، بقانون يصدرة خصيصاً بذلك، يحق للرئيس اصدار مراسيم تتعلق بامور خاصة معينة، وذلك لمدة معينة ،على شرط ان لا تمس الدستور وان لا تلحق به اي مساس ٣ — عندما يكون مجلس النواب منحلاً او معلقاً يحق لرئيس الجمهورية ان يصدر،بناء على اقتراح رئيس الوزارة مراسيم تتعلق بامور الدولة على شرط ان لا تتناول المسائل التالية : كالدستور وقانون الانتخابات الخاص بمجلسي النواب والشيوخ وميزانية الدولة العامة ، والضرائب وفرض احتكارات جديدة ، والنظام المالي في البلاد وقروض عامة ، وبيع املاك الدولة او رهنها اذا كانت الصفقة تتجاوز قيمتها ١٠٠،٠٠٠ زلوطي . ٤ — في حالة الحرب يحق لرئيس الجمهورية ان يصدر بدون تفويض من المجلس التشريعي المراسيم اللازمة لسير اعمال الدولة دون ان يمس بشيء مواد الدستور .

اما في ما يتعلق بالمعاهدات الدولية ، لاسيا المعاهدات التجارية والجمركية او تلك التي من شأنها ان تفرض اعباء جديدة على مالية الدولة او تؤول الى فرض ضرائب جديدة على المواطنين او التي تمس سلامة حدود البلاد او تحدث فيهـا اي تعديل كان ، فقد نص الدستور عـلى ان مصادقة هذه المعاهدات من قبل الرئيس يجب ان يبنى على اقرارها من قبل المجالس التشريعيـة . يعنى الدستور عناية خاصة بميزانية الدولة العامة لئلا تقوم مالية الدولة على الحدس والارتجال وتقرر الميزانيـة بعد ان يدرسها ويناقشها مجلسا النواب والشيوخ . فاذا لم يدرس المجلسان المذكوران الموازنة في الدورة المقررة حقّ لرئيس الجمهورية ان يصدر بها مرسوماً وفاقاً للمشروع الذى تقدمت به الحكومة .

تنظيم الحكومة — تتولى الحكومة السلطة التنفيذية في البلاد . ولهذا ينص دستور ١٩٣٥ على ان تمارس الحكومة امور الحكم التي لا تدخل ضمن اختصاص سلطة اخرى . وتتألف الحكومة من رئيس الوزارة او رئيس مجلس الوزراء، ومن الوزراء الذين يتولون النظر في القضايا التي يقتضي حلها اقتراع اعضاء الحكومة مجتمعين في مجلس وزاري تحت رئاسة رئيس الحكومة . ويمثل رئيس الوزارة الحكومة ويدير الاعمال ويحدد المبادىء العامة لسياسة الدولة . ويحق له

ولسائر معاونيه في الحكم اخذ ما يرونه مناسباً لتنفيذ القرارات المعلنة .

يكلف رئيس الجمهورية من يشاء تشكيل الوزارة ، وذلك وفاقاً لما يتمتع به من امتيازات دستورية ، كما يعين ، بناء على اقتراح رئيس الوزارة ، الوزراء الذين وقع عليهم اختياره كمعاونين له في الحكم . وبحسب النظـام المعمول به في بولونيا تتألف الحكومة من اشخاص يتمتعون بثقة رئيس الجمهورية ، وهم مسؤولون امامه . ويحق لرئيس الجمهورية بحسب احكام الدستور ، ان يقيل عندما يشاء رئيس الحكومة او اي عضو من اعضاء وزارته . كذلك ان الحكومة مسؤولة ايضاً امام مجلسي النواب والشيوخ . فمجلس النواب يراقب بوصفه قواماً على الحكومة اعمالها الادارية ويمكن ان يعرب عن عدم ثقته بها مجموعة او باحد اعضائها ويقترع بالتالي ضدها طالباً تنحيتها او تنحية احد الوزراء . ولئلا تؤخذ الوزارة فجأة عندما تطلب اكثرية طارئة نزع الثقة منها ، يرى الدستور جواز رفع القضية امام مجلس الشيوخ ليبدي رأيه في الامر .

وفضلا عن مسؤولية الحكومة سياسياً امام رئيس الجمهورية ومسؤوليتها امام مجلسي النواب والشيوخ ، نرى رئيس الوزارة ومعاونيه من الوزراء مسؤولين ايضاً امام مجلس الدولة او محكمة العدل العليا عن كل مخالفة دستورية او عن كل عمـل تشريعي تجاوزوا فيه صلاحياتهم . ويحق لرئيس الجمهورية كما يحق لمجلسي النواب والشيوخ مجتمعين مقاضاتهم وفاقـاً لهذه المسؤولية الدستورية .

ولمجلس النواب وسائل اخرى لتأمين مراقبته عـلى الحكومة ، اذ يحق له ان يقترع كل سنة المصادقة على وجوه صرف ميزانية الدولة، ومراقبة دين الامة الداخلي والخارجي واستجواب الحكومة في المجلس .

التنظيم الاداري ودستور ١٩٣٥ — يتضمن الدستور البولوني الاصول العامة التي يجب ان يُبنى عليها التنظيم الاداري في البلاد . وهذا التقسيم يتناول :

١ — التقسيمات الادارية — ٢ الاستقـلال الذاتي الاقليمي — ٣ الاستقلال الاقتصادي .

تقسم اراضي الجمهورية البولونية من حيث النظـام الاداري الى ولايات(**Voyévodies**) توازي الواحدة منها ٣ او ٤ مقاطعات فرنسية(**Départements**) . وتقسم كل ولاية الى إيالات وكل إيالة الى مديرية

ولكي يؤمّن الدستور حاجات الولايات ومطالبها الشرعية يعترف للولاية وللإيالة ، بشيء من الاستقلال الداخلي ، كما يعترف لها بشيء من الاستقلال الاقتصادي . وهذا الاستقلال الاقتصادي النوعي يتمثل في الغرف الزراعية وغرف التجارة وغرف الصناعة والغرف المهنيـة للعمال ، وغرفة اتحاد المهن الحرة كالاطباء والمحامين .

التنظيم القضائي والدستور — جاء في صلب الدستور المعلن عام ١٩٣٥ احكام خاصة تتعلق بتنظيم القضاء وتشكيل المحاكم . اما القضاة فيعينهم رئيس الجمهورية ، الا اذا نص القانون بخلاف ذلك . ويتمتع القضاة بالاستقلال التام في ما يتعلق بمهام وظائفهم والقيام بها . وهذه الاحكام الصادرة عن المحاكم ، لا يمكن تعديلها او الاغضاء عنهـا من قبل السلطات الادارية . ولهذا ميز الدستور بصورة واضحة بين السلطة القضائية والسلطات الاخرى في الدولة كما ضمن استقلال المحاكم ، هذا الاستقلال الذي يضمن قانونية الاحكام وشرعيتها .

وينص الدستور على عدم امكانية عزل القضاة من وظائفهم ، كما يعلن انه لا يمكن اقالة القاضي بغير رضاه ولا ايقافه عن وظيفته او نقله لوظيفة اخرى او احالته على التقاعد الا بعـد صدور قرار عدلي بذلك وفي الحالات المنصوص عنها في الدستور . ولرئيس الجمهورية حق اصدار العفو عن المحكومين كما له ان يعلن عفواً عاماً بعد صدور قانون بذلك .

ويقوم التنظيم القضائي حسب منطوق الدستور كما يلي :

١ — المحكمة العليا ، او محكمة التمييز للنظر في الامور العدلية والمدنية والجنائية .

٢ — محكمة النقض العليا او مجلس شورى الدولة للنظر في شرعية الاجراءات الادارية .

٣ — محكمة الاختصاص للنظر في تنازع الاختصاص بين القضاء والمراجع الادارية .

٤ — مجلس الدولة او محكمة العـدل العليا للنظر في الامور العائدة للوزراء والشيوخ والنواب والامور التي تتناول مسؤولياتهم .

ويضمن الدستور البولوني جميع الحريات المدنية سواء في ذلك الدستور الصادر في ٢٣ نيسان ١٩٣٥ وبعض احكام الدستور القديم المعلن في ١٧ اذار ١٩٢١ والتي لا تزال معمولًا بها .

وقد ابقى دستور سنة ١٩٣٥ ، فيما ابقى عليه ، المادة ١٠٩ من الدستور القديم التي تعترف لكل مواطن بولوني بحق الاحتفاظ بقوميته والعناية بلغته وبعاداته القوميـة . فهي الاساس الشرعي الذي يقوم عليه نظام الاقليات القومية الموجودة بين الامة البولونية . وتضمن هـذه المادة نفسها لجميع الاقليات القائمة على الاراضي البولونية الحرية الكاملة التامـة لتطورها ضمن خصائصها القومية .

كذلك يضمن الدستور لجميع المواطنين حرية الضمير وحرية الاعتقاد كما يضمن لجميـع القاطنين في الاراضي البولونية ، سواءاً أكانوا مواطنـين ام اجانب ، حق ممارستهم فرائضهم الدينية والقيام بمناسك عبادتهم في كل ما لا يخل بالامن وبالآداب العامة . كذلك تعامـل الدولة على قدم المساواة الاديان التي يعترف بهـا رسمياً . وينص الدستور البولوني على وجوب وضع معاهدة تنتظم معها العلاقات بين الدولة والكنيسة الكاثوليكية بعـد ان يقرها مجلس

النواب . وعملاً بهذه الاحكام عقدت معاهدة بين الكرسي الرسولي والجمهورية البولونية بتاريخ ١٠ شباط ١٩٢٥ ، اقرها مجلس الامة . اما العلاقات بين الدولة والكنائس الاخرى فتحدد بقانون خاص بعد الاطلاع على وجهة نظر المرجع الديني الاعلى لكل منها .

ويعلن الدستور البولوني اخيراً للجميع حرية الانصراف الى الابحاث العلمية ونشر نتائجها ، كما يعطي لكل مواطن بولوني الحق بممارسة التعليم وفتح المدارس اذا ما توفرت فيه الشروط التي ينص عليها القانون ، كما يعلن ان التعليم الابتدائي هو إلزامي للجميع .

ملاحظات اخيرة — هذه هي الخطوط الكبرى للنظام السياسي المتبع في الجمهورية البولونية والمنبثق من الدستور الصادر بتاريخ ٢٣ نيسان ١٩٣٥ . واذا كان هذا النظام لم يشأ ان يقتبس بحذافيرها، احكام النظام النيابي العام الذي كثيراً ما أثار الانتقادات والجدل ، فالقانون الدستوري البولوني اعطى الجمهورية البولونية نظاماً بعيداً كل البعد عن النظام الاجماعي المعمول به في الرايخ الالماني والاتحاد السوفياتي الستاليني وايطاليا الفاشية .

وهكذا يصح ان ننظر الى النظام الاساسي المعمول به في بولونيا كمحاولة لنقل مركز الجذب في السلطة الى شخص رئيس الجمهورية مع اعطاء المجالس التشريعية حق مراقبة نشاط الحكومة مراقبة عملية وضعية تنطبع على احكام العقل ، والاعتراف لجميع المواطنين بحق التمتع بحرياتهم الاساسية ، كما يحتم ذلك كل نظام ديمقراطي صحيح .

*

مجهود بولونيا الاقتصادي

قبل ١٩٢٠



عهد الاقسام — زالت بولونيا، بعد اقتسامها الاول سنة ١٧٧٢، من مصاف الدول الاوروبيــة، ولم تعد من ذلك الحين لتؤلف وحدة اقتصادية متجانسة. وقد عاد اليها استقلالها ثانية سنة ١٩١٨، الا انها لم تتمكن من اعادة تنظيم امورها الاقتصادية الا عقب حروبها ضد الاتحاد السوفياتي، فانصرفت اذ ذاك بكليتها الى عمل بنائي جبّار. وظلت حياتها الاقتصادية مهيضة الجناح، مشلولة الجهاز معطلة الحركة طيلة قرن ونصف قرن انصرفت اوروبا والولايات المتحدة في اميركا الشمالية خلال هذه الحقبة الى حشد قواها الاقتصادية، كما انصرف كل منها الى تحيز انتاجها الوطني وبَلوَرة اقتصادها الاهلي على كيفية خاصة.

ولم تتمكن الدول الغاصبة لبولونيا، بعد ان اقتسمتها فيما بينها، من القضاء على الروح الوطنية في الامة البولونية، وبقيت نار هذه الروح مضطرمة متأججة وتفيض حياة تنبض اشعاعاً في كل من المناطق البولونية الثلاث التي آل امرها بعد ذلك الاغتصاب القسري الى كل من روسيا والمانيا والنمسا. وجل ما توصلت اليه سياسة هذه الدول الغاشمة ان شلت الروابط الاقتصادية بين هذه الاقسام المفككة الاوصال ووطدت في كل منها النوازع الاقتصادية الخاصة في الدولة الغاصبة.

وقد عطلت النمسا في القسم التابع لها كل نشاط اقتصادي وقضت بنوع خاص على كل اثر للصناعة فيه بالرغم مما تحتويه امكانيات هذه المقاطعة من الموارد الطبيعية الفنية، كمنابع النفط ومناجم الفحم والملح الحجري واملاح البوتاس، وهمّ الحكومة النمساوية الوحيد جعل هذه المنطقة سوقاً لمنتوجات النمسا وبوهيميا الصناعية.

اما المنطقة الالمانية (سيليزيا العليا) فهي قطر غني بمناجم الحديد والفحم تسد محاصيله عجز رينانيا في مواردها. وقد ادت اعتبارات حربية خاصة في المانيا الى جعل هذه المنطقة مجلى من مجالي الازدهار الصناعي والميكانيكي. اما المقاطعة التي ضمت الى روسيا فكانت اكثر المناطق البولونية رقياً صناعياً نشطت فيها حركة التعدين والصناعات الحديدية والنسيجية، ولا سيما الاخيرة منها، وذلك بالنظر الى حاجة روسيا المترامية الاطراف الى موارد هذه الصناعة، اذ كانت البلاد تفي بحاجتها من مواردها الزراعية الاخرى.

والذي ساعد على ازدهار هذه الاقاليم ورقيها اقتصادياً هو ان بولونيا الوسطى كانت تخضع حتى سنة ١٨٣١ ، الى ادارة تتمتع بقسط من الاستقلال الاداري ، فعملت على مواجهة القضايا الاقتصادية الكبرى في البلاد وحلها حلاً يتفق وحاجات الامة . ولا يفوتنا ان ننوه هنا بما حققه الوزير « دروكي لوبيكي » ناظر المالية اذ ذاك وهو الذي ينظر اليه الكثيرون نظر الفرنسيين الى كولبير . واليك ما كتبه بهذا الصدد العالم الاقتصادي الاستاذ زويغ اذ يقول : « لم تكن الدول المقتسمة لبولونيا ، لترغب في تنشيط رقيها الاقتصادي ولا سيما الصناعي . فاعرضت بنوع خاص عن استثمار رؤوس الاموال فيها وانصرفت الى قتل الاصول الزراعيه الفنية وشل حركة التعليم . وقد جهدت في مناهضتها لعرقلة كل ما يؤول الى الازدهار الصناعي في البلاد ولا سيما في النمسا التي كانت ترمي الى جعل بولونيا الجنوبية سوقاً للصناعة النمساوية . اما الادارة الخرقاء التي اتبعها القياصرة في الجزء التابع لهم فكانت ترمي الى اثارة العراقيل في وجه كل تقدم اقتصادي في البلاد بالرغم من حاجات اسواق روسيا الى ذلك . وكذلك الحال في الجزء الخاص بالمانيا ، فالتحسين لم يتناول الا الزراعة فقط ، بقطع النظر عن اقليم سيليزيا نفسه . فالبلاد كانت عملياً تفتقر للصناعة التي هي عماد كل دولة حديثة . فلم يكن في البلاد شيء من تلك الاعمال اللازمة للنهوض بالمشاريع التي تقتضيها التجارة الخارجية . فهي بحاجة ملحة الى المستودعات ومخازن تبضيع وانشاءات التبريد ورافعات الاثقال . وكانت كهربة الخطوط في مستوى وضيع ، وكذلك شبكة الطرقات والخطوط الحديدية والاقنية كلها في حالة تدعو الى اليأس » .

اما نتائج هذه الادارة البغيضة على الامة البولونية وشؤونها فحدث عنها ولا حرج ، فقد وضعت الدول المقتسمة بين حدود بعضها البعض العراقيل في وجه كل تبادل تجاري بين اقسام البلاد . ففحم سيليزيا العليا لم يكن ليبلغ بولونيا الشرقية ، والخشب الوافر في هذه المنطقة حيل بينه وبين مناجم سيليزيا التي كانت بحاجة قصوى اليه لتدعيمها وانشاء السراديب والممرات فيها . وقامت نُصُب الامبراطرة الثلاثة المغتصبين وتماثيلهم مقام المحطة الكبرى اللازمة للتوزيع في ميسلوبتس (Myslowice) والمرفأ النهري فيها .

الحرب العالمية الاولى وما جرته من خراب — ولما عادت الى بولونيا حريتها ووحدتها سنة ١٩١٨ قامت البلاد بجهود اقتصادي رائع يرمي الى تنسيق مطالب حياة الامة ومناحيها الاقتصادية المختلفة بين المقاطعات الثلاث ، وقد خرج اثنان منها ، هما الروسي والنمساوي ، مثقلين بالتخريب من جراء ما نالها من ويلات الحرب العالمية الاولى والحرب الروسية البولونية بين ١٩١٨ — ١٩٢٠ . وقد تثاقلت وطأة الحرب الاخيرة على الارض البولونية فدمرت المناجم وقضت على المدن والقرى ، ودكت معالم الطرقات وقوضت الجسور والكباري فكأن اعصاراً

شديداً نسفها فجعل عاليها سافلها .

وكانت ثلاثة ارباع الاراضي البولونية مسرحاً للاعمال الحربية في سني ١٩١٤ — ١٩٢٠ ، ولكي تتبين مقدار مــا بليت به البلاد من الدمار والخراب نذكر ان عدد البيوت التي تهدمت بلغ ١٠٠٠٠ ١٦٨٠٩٦ مسكناً ، بينها ٥٣٠٠٠٠ بيتاً التهمته النيران . وقد قضى الالمان قضاء مبرماً على معالم الصناعة في القسم الوسطي من البلاد وهو الذي كان خاضعاً للادارة الروسية . فنهب الالمان كل ما وصلت اليه ايديهم من المنشآت وذهب كل ما عسر نقله طعما للنار .

فقد نهب الالمان من مدينة لودز وحدها :

١٣٠٠ كلم من السيور الجلدية

١٢٠٠ محرك كهربائي بينها وحدات ضخمة للغاية

١٠٠٠ طن من النحاس اخذت من منشآت مختلفة

وقد دمر الالمــان جسور البلاد تقريبا اي ٧٥٠٠ جسراً ، و٩٤٠ محطة ومعظم المصانع الحديدية . وقــد قضوا على ٢٠٠٠٠٠٠ رأس من البقر و ١٠٠٠٠٠٠ رأس من الخيل و ١٠٥٠٠٠٠٠ رأس من الاغنام ، كما انهم عاثوا فساداً في مساحة ٤٠٥٠٠٠٠٠٠ هكتار من الارض المزروعة تركوها قفراً يباباً ، وقطعوا من الاحراج ما مساحته ٢٠٥٠٠٠٠٠ هكتار ، ونقلوا ٢٢٠ مليون من اطنان الخشب الى بلادهم . وبلغت اسلاب الالمان من بعض الادوات ٤١٢٥٩ محركاً آلياً و ٣٨٤٤ آلة مختلفة و ٩٨٠٠٠٠ طن من أدوات الجهاز الصناعي في البلاد . وهكذا امست امكانيات الصناعة البولونية عامي ١٩١٨ و ١٩٢١ خمسة عشر بالمائة فقط مما كانت عليه قبل ١٩١٤ . .

وبلغ مجموع خسارة بولونيا في حروب ١٩١٤ و ١٩٢٠ ما قيمته ١٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ فرنكاً ذهبــاً .

ولم يكن هذا الخراب العام وما يجره من شلل ذريع لاقتصاديات البلاد بالمشكلة الوحيدة التي وجب على الامة البولونية التغلب عليها . فلم تكن معضلة النقد فيها باقل تعقداً من الاولى . فكنت ترى ، على الاراضي البولونية ، في غضون سنة ١٩١٨ ، ضروباً شتى من النقد الدولي :

١ — الروبل الروسي ، وهو نقد لا وزن له ولا قيمة بعد انهيار النظام القيصري .

٢ — الكرون النمساوي ، وقد تدنت قيمته الى اقل من ١/١٠٠ من سعره الاصلي ثم بطل .

٣ — المارك الالماني ، وقد تدهورت قيمته بحيث اصبح ثمن تذكرة الترام بضع ملايين منه .

٤ — وكذلك الروبل والمارك المتداولان في عهد الاحتلال الالماني لبولونيا الشرقية والوسطى فلم يكن لهما اية تغطية ذهبية في البلاد من الناحية النقدية وهما اشبه شيء بقسيمات كثيرة

الوشي ، لا قيمة لها ولا ثقة فيها . ولم تخرج البلاد من هذه الغمرة الا بفضل القانون المالي الصادر سنة ١٩٢٢ الذي اعترف بالمارك البولوني وحده ، كوحدة نقدية ، بالرغم من هبوط قيمته الاصلية .

وقد انشأت الدولة سنة ١٩٢٤ مؤسسةً للاصدار تعرف بمصرف الدولة عهد اليه بامتياز الاصدار بوحدة « زلوطي » ، على اساس تغطية نقدية من الذهب بنسبة ٣٠ بالمئة من قيمة الاصدار الاسمية . وعلى هذا الاساس كان « الزلوطي » الواحد يساوي فرنكاً ذهباً . وتمكن المصرف المذكور بعد قليل من الزمن من رفع التغطية الذهبية ، فبلغت سنة ١٩٢٧ ما قيمته ٧٢ بالمئة من قيمة الاصدار .

وهنالك معضلة اخرى كان من اللازم التغلب عليها ايضاً ، وهي نتيجة حتمية لقسمة البلاد البولونية الى ثلاث مقاطعات ، تخضع كل منها لنظام البلاد المقتصبة من الوجهة الاقتصادية والتشريعية . وقد تمكنت حكومة فارصوفيا من التغلب على هذه المعضلة بفضل التعاون النزيه الذي قام بين اوساط البلاد الاقتصادية .

وقد جهدت الدولة البولونية كثيراً في سبيل توحيد البلاد من الوجهة التشريعية فقضت بسهولة على ما قام من الفوارق بين مختلف الاقضية الثلاث وجعلت منها وحدة متجانسة مؤتلفة التشريع . فتمكنت اللجنة التشريعية ، سنة ١٩٢٥ ، من توحيد النظام التشريعي في البلاد ، واخذ المجلس يدأب على تجهيز البلاد بما تحتاج اليه من الانظمة والشرائع المدنية والتجارية وسن القوانين الجزائية والجنائية . فالقانون الجزائي البولوني مثلا ، يُعد اليوم خير مثال للتشريع العدلي في العالم ، شأنه في ذلك شأن القانون التجاري وقانون الموجبات .

وهكذا نرى انه كان على الجمهورية البولونية الناشئة ان تصفي على وجه مرض هذه التركة المثقلة ، فالخزينة افرغ من قلب ام موسى ، واقتصاديات البلاد كريشة في مهب الريح لا تستقر على حال من القلق والاضطراب بعد ان قطعت ١٥٠ سنة وهي ترسف تحت النير الاجنبي ، واسواق البلاد مضعضعة ، وارض الوطن خربة تئنّ من الجراح الدامية ، وصناعة البلاد وزراعتها مهيضة الجناح ، والمدن والدساكر ينعب فيها البوم ، والتجارة لا تعرف اين تتجه بعد ان عميت معالمها ، والتشريع اشوه اعرج ، والمواصلات منعدمة او تكاد ، بعد ان سدت مسالكها وطمست آثارها . وهكذا اختلط على السلطة الحابل بالنابل ، وعميت سبل الاصلاح امامها .

فكان على الحكومة الناشئة ، والحالة هذه ، ان تبدأ عملها من الصفر او ما اشبه الصفر . فكانت نتائج هذا المجهود الجبار رائعةً تفوق كل امل مرتقب ، وجاءت دليلًا لا يُدفع وحجة قاطعة على حيوية هذا الشعب ونشاط قادته ، ونضج الجماهير والتقاء الاكفاء في امة تنشيء الحياة . واليك الان لمحة وجيزة باهم تلك المآتي العجيبة التي تمت في هذه الحقبة القصيرة تربنا

المراحل البعيدة التي قطعتها البلاد والامة في هذا الشوط من حياتها القومية.

التطور الاقتصادي بعد ١٩٢٠

النظام الاقتصادي العام — مرّ معنا كيف ان الدول الكبرى التي اقتسمت بولونيا اثارت العراقيل في وجه تقدم البلاد الصناعي فحالت دون تطوره ورقيه . فبولونيا دولة تنبسط رقعتها ٣٨٩،٧٠٠ كلم ، وكان عدد سكانها سنة ١٩٢١ ما يوازي ٢٧،٤٠٠،٠٠٠ نسمة ، اي بمعدل ٧٠ نسمة في الكيلومتر المربع . وقد بلغ عدد السكان سنة ١٩٣٩ نحواً من ٣٥،١٠٠،٩٠٠ نسمة اي ٩٠ نفساً للكيلومتر الواحد . وهؤلاء السكان توزعوا عام ١٩٢١ كما يلي: ٧٦ بالمئة منهم من سكان الارياف و ٢٤ بالمئة من سكان المدن . اما في عام ١٩٣٩ فكانت النسبة بينهم كما يلي: ٧٢،٣ بالمئة للارياف ، و ٢٧،٧ بالمئة للمدن .

وبفضل التطور الصناعي في بولونيا الحرة تمكن قسم من سكان الارياف الانصراف الى العمل في المصانع . فالارقام المثبتة اعلاه تتعلق فقط باماكن السكن اذ كثيرون كانوا يعملون في المصانع بينما هم مقيمون في الارياف ، وهي ميزة اتصفت بها منطقة سيليزيا العليا التي تفيض بموارد الفحم الحجري ، حيث كان لكل معدن فيها بيت ريفي يسكنه ، يربطه والمعمل خط حديدي كثيف الشبكة منتظم الحلقات .

وكان الشعب يتوزع بحسب المهن والحرف ، كما يلي :

	سنة ١٩٢١	سنة ١٩٣١	سنة ١٩٣٩
فلاحون ومزارعون	٦٥،٦ بالمئة	٦٠،٩ بالمئة	٥٦،٣ بالمئة
مستخدمو الصناعة	١٣،٧ بالمئة	٢٠،٥ بالمئة	٢٤،٧ بالمئة
مستخدمو التجارة ومؤسسات التأمين	٥،٧ بالمئة	٦،١ بالمئة	٦،٢ بالمئة
مستخدمو المواصلات العامة والنقل	٣،١ بالمئة	٣،٦ بالمئة	٤،١ بالمئة
مستخدمو المصالح الاخرى	١١،١ بالمئة	٨،٩ بالمئة	٨،٧ بالمئة

يستدل من هذا الجدول ازدياد العمال المطرد في الصناعة وتناقص عددهم في الفلاحة والزراعة . فقد كان معدل ازدهار الصناعة البولونية يأخذ بالارتفاع والنمو حتى اثناء الازمة الاقتصادية العالمية ، في الحقبة الواقعة بين ١٩٢٥ — ١٩٢٩ ، على اثر الحرب الاقتصادية التي قامت بين المانيا وبولونيا ، هذه الحقبة التي اتصفت بالتطور العلمي والفني ، وبين الحقبة الثانية الممتدة بين ١٩٣٦ — ١٩٣٩ التي اتسمت هي ايضاً ، بفضل اقدام الحكومة ، بانشاء مركز صناعي جديد ، في بقعة

من الارض مساحتها ٥٠٬٠٠٠ كلم مربع . وعدد سكانها ٥٬٥٠٠٬٠٠٠ كانت من قبل منطقة زراعية صرفة . ففي عام ١٩٣٦ شرعت الحكومة البولونية بانشاء عدد من المصانع ، وفاقاً لمشروع سبق وضعه يتم تنفيذه على خمسة عشر سنة . ففي السنوات الثلاث الاخيرة قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة ، تمكنت من تشييد :

١ — خطاانابيب لغاز الانارة المعد وقوداً لاحد المصانع الكهربائية الكبرى ولمنشرة آلية كبيرة المعروفة بمعامل ستالويا — وولا

٢ — سدان ضخمان لتوليد القوة الكهربائية المحركة في روزنوف .

١ — شبكة تامة الجهاز من التوتر العالي ممتدة فوق تلك المنطقة الصناعية .

٢ — فرش طريقين وطنيين بالاسفلت .

١ — خط حديدي عريض .

١ — مصنع للصلب الممتاز برأس مال يبلغ ١٠٠٬٠٠٠٬٠٠٠ زلوطي .

٢ — معملان لصنع الطائرات ، برأس مال قدره ٤٥٬٠٠٠٬٠٠٠ » .

١ — مصنع للذخيرة الحربية » » » ٨٥٬٠٠٠٬٠٠٠ »

١ — مسكب لصب الالومينيوم .

١ — مصنع المحركات « ديزل »

١ — معمل للمطاط الصناعي .

١ — مصنع للاطر . والعجلات .

٢ — مصنعان لتجهيز البلاد بالادوات الصناعية .

١ — مصنع للخزفيات .

٢ — مصنعان للمواد الكيماوية

٢ — مصنعان لصنع المواد الغذائية .

وكان المتوقع ان يزيد هذا المشروع عند انجازه معدل اليد العاملة في الصناعة البولونية ١٥ بالمئة على اقل تعديل اذ يرفع بها الى ٣٠ بالمئة . ففي ايار ١٩٣٩ فاقت منتوجات الصناعة البولونية محاصيل سنة ١٩٣٦ بمعدل ٣٤ بالمئة وهذا ما يدلك على ماسوف تبلغه الصناعة البولونية عند تمام الفراغ من هذا المشروع الجبار ، بعد ١٥ سنة من مباشرته ، كما كان مقدراً له ان يؤثر جدياً في انعاش الانشاءات الصناعية المساعدة القائمة في نقاط اخرى من الارض البولونية .

وقد ذهب البعض الى القول بان نتائج هذه السنوات الثلاث الباهرة التي اسفر عنها المشروع البولوني الصناعي كانت مما ساعد على الاسراع في انفجار الحرب الاخيرة . ومما يؤيد هذا الزعم

التكهنات التي قامت بها بعض الصحف الالمانية الرصينة المختصة بالابحاث الاقتصادية والتكنيكية. وقد اخذت هذه النشرات تلوّح من طرف خفي الى ان التدعيم الاقتصادي الوطني في بولونيا لا بدّ له من ان يؤدي الى زيادة الدفاع وتقويته وتمكينه بالتالي من الوقوف في وجـه التوسع الالمـاني

ولئلا تبقى هذه الصورة لنهضة بولونيا الاقتصادية مبتورة مجزوءة فاننا ندلي فيما يلي ببعض ارقام دقيقة مستمدة من الاحصاءات التي وضعتها الدوائر المسؤولة في الحكومة لسنة ١٩٣١ وهي آخر ما توصل اليه المؤلف، تبيّن معدل العمال المثري ممن يقومون بعمل مثمر. فقد بلغ عددهم اذ ذاك ١٥،٠٠٠،٠٠٠ من اصل ٣٢،٠٠٠،٠٠٠، اي بنسبة ٤٧ بالمئة وهو معدل اليد العاملة في كل من بريطانيا العظمى وتشكوسلوفاكيا والسويد .

المؤسسات المالية — لما كان المال هو عصب الاعمال والاس الوطيد الذي يقوم عليه كيان الحياة الاقتصادية في الامة كان من الواجب ان نبتدئ، هذه الدراسة من هذه الناحية. فرؤوس الاموال الاجنبية كانت اذ ذاك على قدر يصح اغفاله وقد رأينا ان نرجئ البحث في هذا الموضوع للفصل الخاص «بالعموميات» مقصرين بحثنا على استعراض الحالة المصرفية .

مصرف الاصدار — ويدعى ايضا «مصرف بولسكي» رأس ماله ١٠٠،٠٠٠،٠٠٠ زلوطي وله ٥٢ فرعاً و ٢٥٠ وكالة . وهو عبارة عن مؤسسة مستقلة كان الطلب عـلى اسهمه شديداً في اسواق البورصة .

مصرفا الدولة — وقام في البلاد مصرفان اهليان هما: «مصرف الاقتصاد الوطني» «والمصرف الزراعي» . وكان من الاغراض التي يستهدف لها الاول تحويل المشاريع الصناعية التي كانت من قبل ملكاً للدول المحتلة فاستملكتها الحكومة البولونية وعهدت اليـه تمويل دوائر الحكومة الموحدة، كادارة التبغ مثلا والكحول والملح والكبريت واليانصيب الوطني تأمينا للقروض البعيدة الاجل، التي تقتضيها وجوه الصناعة الوطنية والمؤسسات الاقليمية، كما تتطلبها الانشاءات الحديثة . اما المصرف الثاني ، فكان من الاهداف المعينة له القيـام باعباء الاصلاح الزراعي في البلاد وتقديم الاعتمادات اللازمة للفلاحين بعد ان وزعت عليهم الاراضي لتمكينهم من شراء ما يلزم من الجهازات العصرية لاستثمار الارض على الوجه الاصلح . فانشأ له في طول البلاد وعرضها ٣٨ فرعاً اضافياً .

صندوق الاقتصاد البريدي — مؤسسة وطنية لها ٩ فروع و٤١٦٣ وكالة منتشرة في انحاء البلاد البولونية وفي غيرها من البلدان الاجنبية التي يوجد فيها جاليات بولونية مهمة. ففي كل فرع ووكالة يقوم صندوق للوفر من شأنه ان يؤمن الاتصال بين المغترب البولوني وذويه المقيمين في

الوطن الام .

فقد بلغ ما كانت بولونيا تملكه من المواشي ، سنة ١٩٣٨ ، ما يلي :

٣٬٩١٦٬٠٠٠ من الخيل ، اي بزيادة ١٠ بالمائة عما كان لديها منها سنة ١٩١٤

١٠٬٥٥٤٬٠٠٠ من البقر اي بزيادة ٢٠ بالمائة عما كان لديها منها سنة ١٩١٤

٧٬٥٢٥٬٠٠٠ من الخنازير اي بزيادة ٤٠ بالمائة عما كان لديها منها سنة ١٩١٤

٣٬٤١١٬٠٠٠ من الغنم اي بزيادة ٢٥ بالمائة فقط عما كان لديها منها سنة ١٩١٤

وكانت بولونيا ، تحتل من حيث تربية الخيل والبقر والخنازير ، نسبة الى كل منها ، المركز الاول والثالث والثاني ، في اوروبة بقطع النظر عن روسيا السوفياتية . وقد بلغ معدل ماصدرته البلاد من محاصيل تربية المواشي كاللحوم والمقددات ما قيمته ٢٠٠٬٠٠٠٬٠٠٠ زلوطي في السنة . وكذلك اخذ عدد المزارع التي تعني بتربية الدجاج يرتفع سنة فسنة وبلغ قيمة ما صُدِّر من البيض ٤٠٬٠٠٠٬٠٠٠ زولطي في السنة . اما نتاج الصيد البحري والنهري فكان بارتفاع مطرد .

الاقتصاد الحرجي — اما امكانيات بولونيا الحرجية فلا تقدر بثمن ، فالاحراج فيها غطت سنة ١٩٣٧ مساحة من الارض تبلغ ٨٬٦٣٤٬٠٠٠ هكتار ، اي ما يعادل ٢٢٬٢ بالمائة من مجموع مساحة البلاد ، منها ٣٬٣٣٩٬٠٠٠ هكتار تخص الدولة يدخل فيهـا اكبر الاحراش في البلاد واغناها على الاطلاق . وبالرغم مما عانت هذه الاحراج من عبث الالمان سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٨ بعد ان عاثوا فيها فساداً ، فقد تمكنت الدولة بفضل سهرها المتواصل وعنايتها بها ، من اعادتهـا الى سابق ازدهارها . فنشطت التشجير ، ولم تلبث ان اصبحت الاشجار والاخشاب مورداً عاماً من موارد التصدير في البلاد . وبلغ قيمة ماصدر من الخشب في بولونيا ١٧ — ٢٠ بالمائة من مجموع صادرات البلاد . الا ان هذا المورد اخذ يتضاءل بازدياد منتوج السليلوز ومحصول الورق الذي خف بالتالي الاستيراد منه . وترتكز نواة الثروة الحرجية في بولونيا على القسم الشرقي منها اي على تلك المنطقة التي ضُمّت الآن الى الاتحاد السوفياتي .

استثمار الموارد الطبيعية — قدر ما في بطن الاراضي البولونية من مخزون الفحم الحجري ، سنة ١٩٣٧ ، ما قيمته ١٦١٬٠٠٠٬٠٠٠٬٠٠٠ من الاطنان . وبلغ معدل ما كان يستخرج منه في السنة ٣٦٬٠٠٠٬٠٠٠ طن تقريباً ، ما عدا محصول سنة ١٩٢٨ التي تميزت باضرابات واسعة في انكلترة ، فبلغ معدل الانتاج البولوني اذ ذاك ٤٠٬٠٠٠٬٠٠٠ طن) . اما التصدير فكان على معدل مطرد اذ كان يتراوح بين ١٠ و ١٢ مليون طن في السنة اي ما قيمته ١٨ بالمائة من مجموع

صادرات البلاد .

٤ مصارف اقليمية و ٢٦ مؤسسة مصرفية مغفلة اخرى لها ٨٤ فرعاً ، وصناديق التوفير الاقليمية وعددها ١١٥ صندوقاً تدير ٣٥٦ صندوقاً رئيسياً و ٩٧٥ صنـدوقاً فرعيا للتوفير في النواحي الريفية . وهنالك علاوة على ذلك ٩ مصارف تعاونية و ١٥ شركة للتسليف في المدن و ٣ شركات تسليف ريفية

وهنالك فوق ماذكرنا ٦٤ مكتباً للقطع و ٥٥٩٨ مؤسسة اخرى تتعاطى الصرافة وهذه المؤسسات المصرفية كانت تقوم باعمال القطع على اختلافها والحسم مما يساعد على تداول النقد الورقي، بعد ان قيدت الدولة منه المتداول بـين الناس للتضخم . وكان سنة ١٩٢٨ في التداول ١٬٥٣٩٬٠٠٠٬٠٠٠ زلوطي و ٢٬٢٨٣٬٠٠٠٬٠٠٠ عام ٩٣٩ : بينما بلغت قيمة الانتاج الصناعي اذ ذاك ٤٬٥٠٠٬٠٠٠٬٠٠٠ زلوطي تقريباً .

الزراعة وتربية الماشية — عالجنا هذا الموضوع باسهاب في بحث على حدة . ومع ذلـك لا بد من التنويه هنا بأن التنظيم الزراعي في البلاد ناله تعديلات اساسية قلبت به رأسا على عقب ، مماشاة للنهضة الصناعية واطراداً مع نمو اليد العاملة . ولكي تتمكن الحكومة في بولونيا من تحسين الحالة التي كان الفلاح يرسف بها حوالي ١٩١٤ : قامت تدريجياً بتنفيذ مشروع ضخم يرمي الى الاصلاح الزراعي والاخذ باسبابه بخطى حثيثة . فقد نشأ في البلاد بين ١٩١٩ — ١٩٣٨ من المزارع الجديدة ٧٣٤٬١٠٠ مزرعة حديثة انتشرت فوق ٢٬٦٥٤٬٨٠٠ هكتار من الاراضي التي صار توزيعها على الفلاحين . وقد جرت تصفية الالتزامات الخاصة المتوجبة لمالكين السابقين في ٢٨٠٬٥٠٠ مزرعة تشمل ٥٩٥٬٣٠٠ هكتار . وقد جرت اعمال التجفيف والصرف في ٥٤٨٬٧٠٠ هكتار في ارض تكثر فيها العلق والمستنقعات كما ان مجاري الانهر قد تعهدها الاصلاح في مسافة يبلغ طولها ١٩٬٠٠٠ كيلومتر ، وجرى توسيع ٥٠٣٬٠٠٠ مزرعة تضيق بحاجة اصحابها زيد اليها ما مجموعه ١٬٠٠٤٬٣٠٠ هكتار من الارض الزراعية .

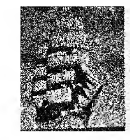
ومن نتائج هذا الاصلاح الزراعي الملموسة زيادة الارض القابلة للزراعة من ١٦٬٤٨٠٬٠٠٠ هكتار في سنة ١٩١٩ الى ١٧٬٦٩٩٬٠٠٠ هكتار سنة ١٩٣٨ ، وزاد بالتالي محصول القمح من ١٬٩٧٢٬٠٠٠ طن الى ٢٬١٧١٬٠٠٠ من الاطنان ، والشوفان ارتفع محصوله من ٧٬٠٠٩٬٠٠٠ طن الى ٧٬٢٥٥٬٤٠٠ طن ، والبطاطا من ٣١٬٧٤٩٬٨٠٠ طن الى ٣٤٬٥٥٨٬٢٠٠ طن (والمحصولان الاخيران يكوّنان ١٥ بالمئة من المحصول العالمي)

واستطاعت بولونيا بفضل نمو المروج والمراعي من تقوية تربية الماشية وانمائها بمعدل جداً مرتفع . وبالرغم مما المّ بالبلاد من الخراب عام ١٩١٤ وعام ١٩٢٠ كانت بولونيا تحتل المرتبة



الجادة الكبرى على البحر

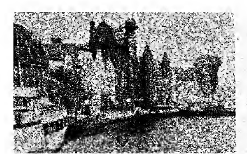
احد احياء مدينة غدينيا



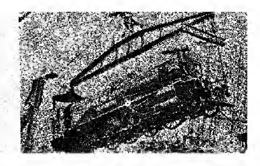
باخرة — مدرسة



المرفأ الحديث وجهازه العصري



مرفأ غدانسك او دانتزيغ



ونش جبار — تصدير القطارات البولونية

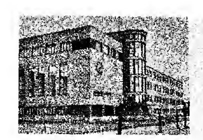


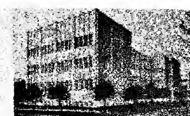
احدى عابرات الاطلنتيك جنب المحطة

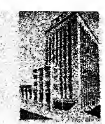


دافعة لتصدير القمح

اعمال وانشاءات



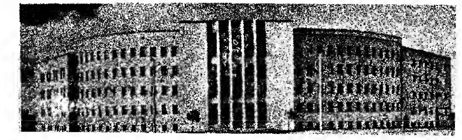




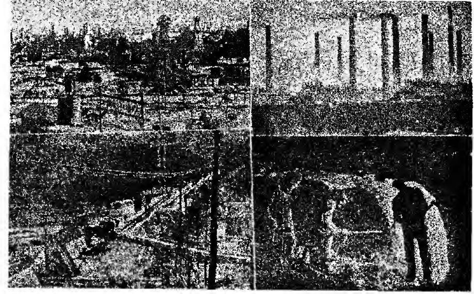
مدرسة في مركز هام في سيليزيا

دار المحافظة في طورن

مصرف خوجوف



قصر العدل في غدينيا



مد مناظر سيليزيا البولونية – حقول النفط (منطقة لفوف المعدنون في العمل-بناء سد ضخم في روجنوف (١٩٣٨)

الخامسة في العالم . الا ان تصدير هذه الكمية المستخرجة لم يكن من الميسور كثيراً نظراً لبعد مناجمه عن البحر وافتقار البلاد الى اسطول تجاري يفي بالغرض . ففي سنة ١٩٣٧ فقط صار الفراغ من انشاء خط حديدي خاص يصل ما بين سيليزيا العليا وجدينيا المرفأ البولوني الواقع على البحر البلطيق .

وجدير بالتنويه ما كانت عليه هذه الصناعة من حسن التنظيم والاتقان، وقد اتصفت باساليبها المثلى لصيانة العمل والتأمين عليه وبمهارة العامل البولوني الذي كان يبلغ معدل انتاجه اليومي ١٦٨٢ طن من الفحم لقاء ٧٦٥ ساعات عمل ، بينما لم يزد انتاج المعدّن الالماني في اليوم الواحد عن ١٦٥ طن والانكليزي ١٢٢ والفرنسي والبلجيكي ٦٨. من الطن .

تتمركز مناطق الفحم في بولونيا حول المناطق الرئيسية الثلاث : حوض كراكوفيا (قديماً نمساوية) ، وحوض دبروه (قديماً روسية) وسيليزيا العليا (قديماً المانية) . وتميز الفحم المستخرج من سيليزيا بوفرة ما يحويه من الكوك او غاز الانارة مما اتاح انشاء صناعة كيماوية ناشطة في الحوض المذكور وقيام مصانع للغاز وصناعات اخرى هامة للتعدين .

ففي عهد الاحتلال الالماني المنطقة كثيراً ما كانت مناجم الفحم ومصنع غاز الاضاءة وما اليها من افران كبيرة ومعامل الصب وادوات التطريق ومصانع الحديد القائمة جميعها هنالك ، ملكاً لشركة المانية واحدة تساهم فيها الدولة الالمانية بقسط وافر . وقد قضي على النفوذ الالماني في المنطقة اذ اشترت الحكومة البولونية المنشآت المشار اليها فاصبحت بالتالي سيدة القسم الاكبر في صناعة التعدين ، دون ان تلجأ الى الاساليب التشريعية كتأميم بعض الصناعات ، كما هو الامر جار الان في بريطانيا العظمى وفرنسا ، تنفيذاً للاصلاح الاجتماعي فيها .

مناجم الحديد والفلزات — لما كانت مناجم الحديد فقيرة لا تفي بحاجة البلاد اضطرت بولونيا الى استيراد هذه المادة من اسوج والاتحاد السوفياتي . ولم يزد استخراج الحديد عن مليون طن في السنة .

مناجم الخرصان والرصاص — كان محصول بولونيا من الخرصان اوفى من محصول بلجكة منه . فهي تأتي في الدرجة الثانية بين دول اوروبا في هذا الانتاج، وتحتل الدرجة الثالثة بين دول العالم من محصوله .

النفط — كانت صناعة النفط في بولونيا مكتملة العدة تامة الجهاز تنتج الادوات اللازمة لاستثمار الآبار النفطية ولاعمال التصفية . ومن الامور المؤسفة جداً ان استثمار منابع النفط من قبل النمساويين كان يتجاوز مقتضيات الاقتصاد حتى ان بعض تلك الآبار القائمة في منطقة درهوبكس

اوشكت ان تنضب ، بينا محصول بعض المناطق الاخرى التي اهمل استثمارها من قبل اخذ معدلها ينمو باطراد . ومجمل القول، ان بولونيا التي تحتل المركز الثالث بين الدول الاوربية في انتاج النفط (بعد الاتحاد السوفياتي ورومانيا) بلغ معدل محصولها من هذه المادة الثمينة اكثر من ٥٠٠٠٠٠ طن في السنة وهي كمية تقوم بتكريرها معامل التصفية البولونية المعدة لانتاج ضعفي هذا المقدار من البترول .

ولكي تقتصد بهذه المادة الثمينة تأميناً لحاجة الطيران قامت دوائر الدعاوة في الحكومة البولونية تدعو بنشاط ارباب السيارات والنقل الى استعمال مركب جديد وقوداً لها يحل محل النفط الذي كان يُرغب جداً الاقتصاد به . وهو يمزج باقدار معينة من الكحول والبنزين كاد استعماله يصبح عاماً في سنة ١٩٣٩ . وكان من حسن نتائج هذا التدبير الحكيم ان استطاع المزارعون بيع الفائض من محصول البطاطا للمعامل التي تقوم بصنع الكحول .

الغاز الطبيعي — هو اول ما جرى استعماله في بولونيا للمراجل البخارية وللتدفئة في بيوت السكن ولافران معامل الصب ، وقد بلغ محصوله زهاء ٥٠٠٠٠٠٠٠٠ متر مكعب في السنة توزعه شبكة جيدة من الانابيب .

الغازولين — هو من عناصر الثروة الطبيعية في بولونيا ، بلغ انتاجه ٤٠٠٠٠ طن في السنة ويجمل بنا ان نذكر ايضاً عنصر الأوزوكريت او الشمع الحجري ، اذ تبلغ غلته في بولونيا وحدها ٨٠ بالمئة من محصول اوروبة .

الملح الحجري — والملح الحجري هو ايضاً في عداد موارد البلاد الطبيعية الوافرة . يعود استثمار مناجمه في البلاد الى القرن العاشر . ويبلغ معدل ما يستخرج منه في السنة ٥٥٠٠٦٥٠٠٠٠٠ طن وهو مقدار كاف لمقطوعية البلاد ولتصدير قسم منه للخارج . وقد اصبحت مناجمه الواقعة قرب كراكوفيا منطقة يقصدها السياح من الخارج لمشاهدة مناظرها الفتانة ، وقد انيرت ما فيها من المغاور والدهاليز بالكهرباء فتنعكس اشعتها على بلور الملح فتتلألأ بالمشاهد الرائعة .

املاح البوتاس — بلغ استخراج ملح البوتاس ١٤٠٠٠ طن ، سنة ١٩١٤ ، اما في عام ١٩٣٨ فبلغ ما استخرج منه ٥٦٧٠٠٠ طن ، منها ٤٠ بالمئة تقريباً ، يستعمل في تهيئة اوكسيد البوتاس المعد للتصدير الى الخارج .

مواد البناء — يقوم في بولونيا عدد كبير من مناجم الغرانيت والبازالت والرخام وحجر البناء ، وهي موزعة في طول البلاد وعرضها تؤمن حاجة الاهلين فيها .

الصناعات — الصناعة الكيماوية — تطورت الصناعة الكيماوية في بولونيا الحديثة تطوراً عظيماً وذلك تلبية لحاجات الزراعة التي تمثل دوراً هاماً في حياة البلاد الاقتصادية، فتمدها بما تحتاج اليه من الاسمدة الكيماوية . تملك بولونيا، الا في بعض استثناءات خاصة، المواد الاولية التي تتطلبها مقتضيات الصناعة الكيماوية حتى ماكان ضرورياً منها لانتاج الحامض الكبريتي . فالمعملان العظيمان لانتاج النترات القائمان في البلاد هما ملك للدولة، يقوم احدهما في سيليزيا العليا على مقربة من خورزو، وهو من المنشئات الالمانية فيها . اما الثاني الذي يفوق الاول شأناً، فهو مؤسسة عصرية شادتها الحكومة البولونية، ويمد حاجة البلاد من الاسمدة الصناعية . وتأمن المصانع الكيماوية الاخرى انتاج المتفجرات الضرورية للاغراض الحربية وصناعة التعدين وانشاء الطرقات، وغير ذلك من المواد الصباغية والصودا والصابون والصمغ ونتاج تقطير الفحم والحطب والبترول، والحوامض والحرير والصوف الاصطناعيين، والزيوت النباتية والعطرية والعقاقير على اختلافها . وبلغ ثمن المواد الكيماوية الصناعية التي انتجتها البلاد سنة ١٩٣٧ ، ٩٠٠،٠٠٠،٠٠٠ زلوطي وهو معدل أخذ بالازدياد من ذلك الحين .

وتبلغ اليد العاملة التي تعمل في الصناعات الكيماوية المختلفة ٤٥،٠٠٠ عامل تقريباً .

صناعة الحديد — هي اهم مظاهر الصناعة الثقيلة في بولونيا ترتكز على ١٩ فرناً كبيراً بلغ انتاجها ٨٨٠،٠٠٠ طن من السبيك في السنة و١،٤٤١،٠٠٠ طن من الصلب، لم تستهلك منها البلاد سوى ٨٠ بالمئة ويجد الباقي سوقاً رائجة في الخارج . وإشباعاً لهذا الموضوع المهم لا يسعنا الا ان ننوه بانتاج مصانع صب الخرصان الذي يبلغ ١٠٠،٠٠٠ طن في السنة مكن بولونيا من احتلال المرتبة الثالثة في العالم والثانية في اوروبة، بين الدول التي تنتج هذه المادة، كان ٢٠ بالمئة منها كافياً بحاجات البلاد، والباقي وقدره ٨٠ بالمئة يصدر الى الخارج . اما معامل صب الرصاص فكان معدل انتاجها السنوي ٢٠،٠٠٠ طن تقريباً يكفي لمقطوعية البلاد دون ان تصدر منه شيئاً للخارج . وكانت البلاد تملك ايضاً معملين احدهما لصب الالومينيوم والآخر لصب النحاس تستهلك الصناعة انتاجها بكامله بينما كانت تستورد من الخارج خامات النحاس .

اما صناعة تطريق الحديد فقد نشطت في البلاد واخذت بولونيا في تصدير الخطوط الحديدية التي تقتضيها السكك والقاطرات الكهربائية، وغير ذلك من الاسلاك الحديدية على اختلاف اشكالها والقساطل وصفائح الحديد . وبلغ ثمن ما صدرته من نتاج هذه الصناعة ٥٠،٠٠٠،٠٠٠ زلوطي في العام، بعد ان سدت مطالب السوق الداخلية، وقد كانت ملحفة ملحفة للغاية، نظراً للانشاءات العديدة التي كانت تقام في طول البلاد وعرضها . اما اليد العاملة

التي كانت منصرفة للعمل في هذه الصناعة فقد بلغت ١٦٠،٠٠٠ عامل .

وقد نشطت في بولونيا صناعة ميكانيكية تفردت بدقة مصنوعاتها واتقانها تهدف الى تحقيق مشروع ضخم من الانتاج المختلفة الاشكال : كالقاطرات والمحركات والمكابس التجارية والالات البخارية الاخرى والمراجل والعربات والسيارات وقطر السكك الحديدية وحافلات الترام ، والطيارات والاجهزة اللازمة لصناعة النسيج وصنع الورق ، الخ ، الخ . وما اشبه ذلك من ادوات الصناعة الضخمة . وكان الفائض عن حاجة البلاد من نتاج هذه الصناعة يصدَّر للخارج حيث يشتد الطلب عليه نظراً لجودته ، وبلغ معدل ما كان يصدر منه في السنة ١٢،٠٠٠،٠٠٠ زلوطي .

الصناعة الكيماوية الكهربائية — دخلت هذه الصناعة البلاد عقب الحرب الكونية الاولى واخذت تتدرج صعداً في مراقي النجاح ، تؤمن للبلاد مطلبها من جميع الاجهزة الكهربائية كالعوازل العالية الضغط من الزجاج والقاشاني ، والمحوّلات الكهربائية والفواصل والمحركات الاخرى والمولدات الكهربائية والاسلاك واللمبات والمكثفات والموازين الدقيقة ، وادوات المنازل وما تحتاج اليه مصالح الهاتف والبرق والبريد والمذياع والمراكز الناقلة او القابلة .

يتبين من هذا الوصف خطر هذه الصناعة وعظم شأنها وقد امتاز نتاجها باتقان الصنع والدقة الفنية وكان المهندسون الذين يشرفون على انتاجها يتقاضون من الاقسام الادارية الفنية التي تشرف على العمل فوق ما كان يتقاضاه زملاؤهم مثلاً ، في المانيا وفرنسا وانكلترا . اما انتاجها فلم يقل مجموعه في السنة عن ١١٥،٠٠٠،٠٠٠ زلوطي .

وبالنظر الى نشاط البلاد في تجهيز منشآتها الصناعية بالكهرباء واجهزتها لم يكن النتاج المحلي يمكن من تصدير اي شيء منه ، بل على العكس كانت البلاد تستورد من الخارج سنوياً من نتاج الصناعة الكيميائية الكهربائية ما قيمته ١٩٠،٠٠٠،٠٠٠ زلوطي ، ففي ذلك خير ضامن لترقية هذه الصناعة في بولونيا في مستقبل قريب .

الصناعة الخزفية — كان باستطاعة هذه الصناعة ان تلبي حاجة البلاد مهما بلغ من شدتها . فتصنع القرميد العادي والآجر والترابة والزجاج والقاشاني والصيني والفخار الى غير ذلك من المصنوعات المختلفة التي بلغت قيمتها ٢٤٧،٠٠٠،٠٠٠ زلوطي في السنة كان يصدَّر منها قسم هام للخارج .

صناعة النسيج — كانت هذه الصناعة ناشطة في البلاد حتى قبل الحرب العالمية الاولى ، تقوم اهم معاملها في مدينة لودز (٧٥٠،٠٠٠ نسمة) فتعد ١،٦٧٠،٠٠٠ من الانوال الميكانيكية و ٤٦،٢٠٠ نولاً آخر يدوياً تعمل جميعها في حياكة القطن والصوف والحرير . وهنالك مركز

آخر لنسيج الصوف يقوم في مدينة بيلز (٣٠،٠٠٠ نسمة) امتازت صناعتها بالانسجة الدقيقة فأخذت في مزاحمة المصنوعات الانكليزية المماثلة حتى في اهم اسواقها الخارجية . ومن تلك المراكز ايضاً مدينة بيالستوك (١٠٠،٠٠٠ نسمة) التي تفردت بنسيج الاحرامات واللباد والاقمشة الصوفية الثقيلة .

ففي صناعة القطن والكتان والقنب والصوف المندوف كانت الفبارك التي تعنى بها تقوم على مقربة من مصانع الصباغة . اما الصوف الممشوط والحرير فيخضع انتاجه لصناعتين مختلفتين تبعد احداهما عن الاخرى . وكان يوجد في معامل النسيج في بولونيا ٥٠٠،٠٠٠ دولاباً تعمل في توضيب الصوف الممشوط يكفي ما تنتجه حاجة الاهلين فيه ويصدر قسم منه للخارج . اما صناعة الكتان وخاماتها من منتوجات البلاد ، فكانت تتمركز في مدينتي بيلسك وزيراردو ، عدها ٣٧،٠٠٠ من الدواليب و ١٧٠٠ نولا .

وقد اخذت بولونيا في الآونة الاخيرة تشجع تربية دود الحرير ونسجه ، ويجهز هذه الصناعة ٢٤٠٠ نول . وقد قام فيها بعض معامل تعنى بصناعة الحرير الصناعي ، كما انشيء سنة ١٩٣٦ معمل آخر للصوف الصناعي . اما معامل الالبسة والحياكة فكانت تصدر معظم انتاجها . وكان يقوم في صناعة النسيج ١٦٠،٠٠٠ عامل تنتج في السنة ١٥٠،٠٠٠،٠٠٠ زلوطي

صناعة الورق — يقوم في بولونية بفضل ما فيها من الاحراج الغنية ، صناعة ناشطة تعنى بانتاج الورق والمقوى (الكرتون) ، والسليلوز . وقد اخذت هذه الصناعة بالنمو والارتقاء بخطى حثيثة جعلت قيام مصانع ضخمة قبيل الحرب الاخيرة ، وقد شرعت البلاد تصدر مقادير كبيرة منه في سنة ١٩٣٧ بلغ ثمن مجموع ما تنتجه هذه الصناعة ١٩٠،٠٠٠،٠٠٠ زلوطي .

صناعة الجلود — كان في بولونيا ٣٠٠ معمل للدباغة تؤمن حاجة البلاد من الجلود ، كما تؤمن حاجة الاهلين من القفازات والاحذية والسيور اللازمة ، وبلغ قيمة هذه المنتوجات ١٩٥،٠٠٠،٠٠٠ زلوطي تقريباً .

صناعة الاخشاب — تنتج بولونيا وتصدر منتوجات تربية الحرير والخشب المعاكس اللازم لصنع المفروشات ، وبلغت صادرات هذا الصنف ٢٠٠،٠٠٠،٠٠٠ زلوطي تقريباً في السنة ، ومصانعها منتشرة في طول البلاد وعرضها ولا سيما في المناطق الحرجية في الشرق البولوني ، هذه المنطقة التي يرنو اليها الاتحاد السوفياتي باشتهاء .

الصناعة الغذائية — تتصل بالزراعة اتصالا وثيقاً ، يغذيها ٩٣٠٠ مؤسسة يعمل فيها ٩٨،٠٠٠ عامل . ان اهم فروع هذه الصناعة المختلفة تقوم بصنع السكاكر وتأتي بولونيا في المرتبة

الثانية بين منتجي السكر (شمندر) في اوروبا . وتصدر اليها نصف منتوجاتها . ومن المواد الغذائية الهامة التي تؤمنها هذه الصناعة صناعة الجعة والمشروبات الروحية والمعكرونة والمقددات والاسماك والبقول الخضرية والاثمار والمخابز ومصانع السكاكر والشوكولاتا .

صناعة البناء — كانت هذه الصناعة ناشطة جداً في بولونيا يعمل فيها زهاء ٥٠٠٬٠٠٠ عامل هنالك مؤسسات متخصصة بالمشاريع البنائية وشق الطرقات وبناء الخطوط الحديدية والجسور . ففي عام ١٩٣٧ شيد ١٢٬٠٠٠ منزل تضم ١٠٠٬٠٠٠ غرفة و ٣٠٠٠ بناية اخرى مختلفة . وقد باشرت المدن بناء ١٨٬٠٠٠ منزل .

الصناعة الطباعية — تقوم هذه الصناعة في المدن الكبرى يؤمنها ١٥٬٠٠٠ عامل وهي تتناول الطباعة وصناعة الحفر الحجرية والتنحيس ومصانع التجليد . فقد حققت هذه الصناعة طبع ٩٠٠٠ كتاب ، و ٣٠٠٠ جريدة او صحيفة دورية .

ولما كان مستوى العمل الفني عالياً في معظم هذه المؤسسات فليس غريباً ان تتوارد عليها الطلبات والتوصيات . فان احدى الجرائد الاميركية قد اتفقت مع بعض دور النشر البولونية على تأمين نشر نسختها الاميركية بمعدل ٣٬٠٠٠٬٠٠٠ نسخة يومياً .

الصناعة اليدوية — تصادف هذه الصناعة مزاحمة قوية من قبل الصناعة الكبرى . ومع ذلك فقد آمنت الصناعة اليدوية بنجاح نواحي عديدة من حياة البلاد الاقتصادية يقوم بها ٣٧٥٬٠٠٠ عامل يساعد الواحد منها ثلاثة من المعاونين عادة .

وتتمثل هذه الصناعة بمهن الخياطة والاحذية والجزارة والحدادة والدهان والتزيين والنجارة والخبازة وصناعة الساعات والتصوير والقبعات والبناء . وقد ضرب المثل بمهارة هؤلاء الفنيين ومقدرتهم الصناعية .

نتاج القوة الكهربائية — انحصر هم الحكومات المتعاقبة حتى سنة ١٩٣٩ بكهربة البلاد وتحقق القسم الاوفر من هذا المشروع قبيل الحرب الاخيرة . فقد كان في البلاد عام ١٩٢٥ نحو من ٨٣٥ معملاً لتوليد الكهرباء لها من الطاقة ٨٣١٬٠٠٠ كيلواط ومن المقطوعية المستهلكة ١٬٨٠٠٬٠٠٠٬٠٠٠ كيلواط .

اما في عام ١٩٣٨ فقد بلغ عدد المولدات الكهربائية في البلاد ٣١٩٨ معملاً ارتفعت طاقتها الكهربائية الى ١٬٦٩٢٬٠٠٠ كيلواط اتاحت مقطوعية ٣٬٩٧٧٬٠٠٠٬٠٠٠ كيلواط . ولا يدخل في هذا الاحصاء الا المحطات المولدة التي تفوق قوتها ١٠٠ كيلواط ، معظمها مجهز بمولد كهربائي حروري ، اذ ان المولدات المائية لا تزال اذ ذاك في المهد . وكان قد تم انشاء السدين العظيمين في

روزنو وفي بورابكا حيث باشروا بتركيب المحركات .

لم تكن هذه المولدات الكهربائية المائية تستثمر ، حتى سنة ١٩٣٩ ، سوى ٣،٥ بالمائة من القوة المذخورة في البلاد ، حيث كانت الطاقة الكامنة تبلغ قوة لا حد لها . ناهيك عن امكانية تحسين المعامل الكهربائية الحرورية الاخرى لكثرة الفحم والنفط والغاز الطبيعي في البلاد .

المواصلات — كانت خطوط المواصلات في بولونيا ، منقسمة سنة ١٩١٨ الى ثلاث مناطق مختلفة ، منعزلة الواحدة منها عن الاخرى . وكانت الخطوط القائمة في القسم المضموم الى المانيا احسنها حالاً منها جميعا ، وشرها على الاطلاق الموجودة منها في القسم التابع لروسيا . ولذا رأت الدولة الناشئة نفسها بحاجة قصوى الى شبكة ممتازة من خطوط المواصلات تؤمن حسن سير الجهاز الاقتصادي في البلاد كما تؤمن الاتصال السريع بين الشرق الاوربي وغربيه والشمال والجنوب . وبولونيا من هذه الشبكة عقدها الاوسط ، كيف لا وشرايين المواصلات بين لنينغراد — موسكو — ريغا وبين باريس — برلين — لندن من جهة ، او تلك القائمة بين بلدان شواطىء البلطيك والممالك السكندينافية في الشمال والبلقان وايطاليا في الجنوب ، من جهة ثانية تتقاطع كلها في بولونيا (خط جدينيا — فارصوفيا — لفوف)

وقد كان لهذه الحقيقة الجغرافية اكبر الاثر في تحقيق شبكة الخطوط الحديدية في البلاد . فلم يكن في بولونيا عام ١٩١٩ سوى ٧١٧٧ كيلو متراً من السكك بينما بلغ طولها سنة ١٩٣٨ ما يربو على ١٨،٣١٣ كيلو متراً ، يقوم في الخدمة عليها في سنة ١٩٢٠ ماعدده ٢٨٢٧ قاطرة ، و ٧٢٥٩ حافلة للركاب و ٦٧،٧٥٠ مركبة للبضائع ، منها ٥٠ بالمئة غير صالح للاستعمال (من مصنوعات ماقبل ١٩١٤ لقدمه او لكثرة استعماله في الحرب)

اما في سنة ١٩٣٨ فقد كان في البلاد ٥١٧٦ قاطرة ، و ١٠،٥٤٣ حافلة للركاب و ١٥٢،٦٦٢ شاحنة بضائع ، ومعظم هذه المواد من منتوجات معامل البلاد .

وكنت ترى فيها ايضاً ، عام ١٩٤٨ نحواً من ٢١٢٥ كلم . من الخطوط الحديدية الضيقة مكهربة اوعلى البخار و ٣٢١ قاطرة ، و ٣٠٨ حافلة للركاب و ٧٠٥٦ شاحنة بضائع . وبلغ ما نقلته عام ١٩٢٠ الخطوط الحديدية العادية ٦١،٠٠٠،٠٠٠ من الركاب و ١٢،٠٠٠،٠٠٠ طن من البضائع ، اما في عام ١٩٣٨ فاصبحت هذه الاعداد ٢٢٦،٠٠٠،٠٠٠ من الركاب و ٧٨،٠٠٠،٠٠٠ طن من البضائع .

ولكي نتصور مدى المجهود الانشائي العظيم الذي تم في هذه الحقبة يجب ان نلاحظ انه اعيد بناء ٧٥٠٠ جسر و ٩٤٠ محطة المّ بها الخراب في الحرب ، عدا عن بناء بضعة آلاف من الجسور

الحديدة وبضع منشـات اخرى من المحطات تم تشييدها فوق الخطوط الجديدة . وكانت الدولة تملك ٩٣ بالمائة من هذه الخطوط وتراقب استثمار ٧ بالمائة الباقية . وهكذا فـان تأميم الخطوط الحديدية قضية لا تطرح على بساط البحث في بولونيا، كما هو الامر جار الان في انكلترا وفرنسا. وهكذا نرى انه في حقل انشاء الطرقات، المعبدة منها اوالمفروشة بالاسلفت والاسمنت المسلح، كانت المشاريع على قدم وساق، ناشطة الحركة في السنوات الاخيرة. وبلغ ما يوجد من الطرقات المعبدة في بولونيـا ، سنة ١٩٣٨ زها ٦٥٬٠٠٠ كيلو متر اي اربعة اضعاف ما كان لديها منها عام ١٩٢١ .

وقد اخذت الحكومة البولونية بالتالي تعنى مع سهرها على شبكة المواصلات بانماء عدد السيارات في البلاد ، فقد ارتفع عددها من ١٧٬١٥١ سيارة عام ١٩٢٦ الى ٥٤٬٠٠٩ سيارة سنة ١٩٣٩ . اما صناعة السيارات في البلاد فقد بوشر العمل بها بخطى حثيثة ، كما نشطت المواصلات النهرية هي ايضاف نشاطا يذكر . فقد ارتفع معدل الشحن النهري من ٤٩٦٬٠٠٠ طن سنة ١٩٣١ الى ٧٤٢٬٠٠٠ طن سنة ١٢٣٩ . فالاسطول النهري الذي قـام بحركة النقل كان يتألف من ١٥٠٩ سفن نهرية ، نقلت ١٠٥٬٠٠٠ طن عام ١٩٢٨ ، بينما اصبح هذا الاسطول ٢٧٩٤ سفينة قامت بشحن ١٨٨٬٠٠٠ طن سنة ١٩٣٨ ،

ونشأت الملاحة البحرية في بولونيا عقيب الحرب العالمية الاولى ، فكانت تعد سنة ١٩٣٠ زهاء ٢٥ سفينة تفريغها ١٤٬٠٠٠ طنا ، فاصبحت سنه١٩٣٩ نحو ٧١ سفينة حمولتها ١٠٢٬٠٠٠ طن. ويعود هذا النمو السريع الى انشاء مرفأ جدينيا ، هذا الثغر الهام الواقع على شواطىء البلطيق ، والذي سيدور البحث عنه في فصل خاص . وكان مـن نتائج هذا التفاعل البارزة ان البحرية التجارية التابعة لمرفأ دانتزيغ الحر قد هبطت من ٤٦ سفينة حمولها ١٥٠٬٠٠٠ طنا سنة ١٩٣٠ الى ٢٦ سفينة تفريغها ٨٠٬٠٠٠ طن عام ١٩٣٩، ويجب ان نلاحظ بان الاسطول البولوني كان ملكاً للدولة .

كذلك كانت المواصلات الجوية في ابان ازدهارها . فقطع الطيران ١٠٥٬٠٠٠ كيلو متر ناقلًا ١٠٠٠ مسافر سنة ١٩٢٢ ، بينما قطع سنة ١٩٣٩ ما يبلغ ٤٦٥٬٠٠٠ كيلو متر ناقلًا ٣٥٬٠٠٠ من المسافرين .

وكانت خطوط النقل البولونية تؤمن المواصلات على شبكة تربط اسوج بالشرق الاوسط (بيروت — اللد — الاسكندرية) واستثمارها بيد الدولة . كذلك نرى مصلحة البرق والبريد في بولونيا تنمو وتزداد صعداً بمعدل عال اذ زاد عدد المكاتب البريدية فيها على ٣٧٦٦ مكتباً سنة ١٩٢٣ ، فبلغ ٥٠٨٦ عام ١٩٣٨ . وكانت الادارة العامة تؤمن لكل مكتب فرعي مصلحة خاصة بالبرق والهاتف تأميناً للاتصالات بين المدن . وارتفع عدد المشتركين بالتلفون من ١١٠٬٠٠٠

سنة١٩٢٣الى ٢٩٩٦٠٠٠ عام ١٩٣٨ . وهذهالشبكةالخاصة لخطوط الحديد والبرق والتلفون هي ملك الدولة وحدها ، يقوم على ادارتها ويشرف على استثمارها وزير يعرف بوزير البرق والبريد .

نمو مرفأ جدينيا وتطوره — حصلت بولونيا على ممر يصلها بالبحر البلطيق وعرضه ٣٦ كلم . فكانت تستخدم على اضطرار منها مرفأ مدينة دانتزيغ الحـر التي كانت الى اواخر القرن الثامن عشر تابعة لبولونيا . فقد غيرت الادارة الالمانية في المدينة معالمها العرقية التي اصبحت المانية مع وجود نسبة مرتفعة من السكان البولونيين ، بل امست معادية للوطن الام ، تسام فيها الاقلية البولونية صنوف العذاب وضروب العسف والجور .

وهذ الموقف العدائي نحو بولونيا الضار بمصالح المدينة الحيوية اثار في بولونيا الحرة رغبة شديدة للتخلص من حقوق هذا الارتفاق والارادة الصادقة للتحرر من هذا الوسيط العاق والفاسد النية، فآلت على نفسها انشاء مرفأ وطني حر ، الامر الذي يقضى على دانتزيغ الغاية من وجودها فبدأ المشروع بصورة منطقية وبوشر باحقاقه واخراجه الى حيز الوجود .

وقد وقع الاختيار على جدينيا، التي كانت سنة ١٩٢١ قرية حقيرة للصيد لا يزيد سكانها على ٢٥٠٠ نسمة ، فاذا بالمدينة الجديدة ، تعد عام ١٩٣٨ زهاء ١٢٠٠٠٠ نسمة يقوم فيها مرفأ عصري هو خير ثغور هذا البحر واصلحها جهازاً وانشطها حركة ، ترتفع الحركة التجارية فيهــا الى ١٠٦٠٠٠٠٠ طن في السنة . ويمكن ان نكون لنا فكرة واضحة عن ازدهار هذا المرفأ بمقابلة النشاط التجاري فيه عام ١٩٢٨ و ١٩٣٨ .

الانشاءات	١٩٢٨	١٩٣٨
مساحة المياه المرفئية	١٢٠ هكتار	٢٢٤ هكتار
طول الارصفة	١٦٢ كيلومتر	١٢٦٨ كلم
طول الخط الحديدي المرفئي	٤٩ كلم	٢٢٢ كلم
عدد المستودعات والمخازن	٢	٥٧
سعة هذه المستودعات	٥٠٠٠٠ متر مربع	٢٤٥٦٥٠٠ متر مربع
عدد «الونوش» الرافعة	٦	٨٧
طاقة هذه «الونوش »	٣٤٦٤	٣٥٠٦٤
حركة السفن	١١٠٨	٦٤٩٨
الحركة التجارية	٢٦٠٠٠٦٠٠٠	٩٦٩٠٠٦٠٠٠

وقد اقتضى تجهيز المرفأ مده بالروافع والمطامر والاهراء تأميناً لخزن الحبوب كما اقتضى جهــازاً عصريا للتبريد يدعو الى وجوده تصدير المواد الغذائية وعملية تقشير الارز ومحطة اهلية

كبرى . وكان من اثر هذا النمو المطرد في مدينة جدينيا ومرفئهــا ان عمدت الحكومة الى كهربة المنطقة على طول الشاطىء والخط الحديدي العريض وطوله ٥٠٠ كلم . وقد بلغت حركة الصادرات والواردات في المرفأ ٤٦،٢ بالمئة من حركتهـــا التجارية و ٤٨،٩ بالمئة من رصيد تجارة البلاد الخارجية .

وقد اثار هذا النمو المطرد عاصفة من الثناء العاطر والاطراء البالغ من قبل ممثلي الحيـــاة الاقتصادية في المدينة رجّعت صداه الصحافة الاوروبية والاميركية ، فاجمعت كلها عـــلى ان هذا المجهود الرائع ينطق عالياً بمناقب الشعب البولوني العالية واهلية حكومته الانشائية .

المنطقة الصناعية الوسطى — بعد ان امدت الحكومة البلاد بما يؤمن ازدهار امكانياتها الاقتصادية فوسعت المواصلات وامنت خـــير استثمارها ، وشجعت كهربة المنشآت وانشاء مرفأ عصري الجهاز ، اصبح في وسعها اذ ذاك ان تتدخل مباشرة في توجيه نشاطها حسبما تقتضيه مصالح دولة عصرية . واول ما واجهته انشاء معمل كيماوي عظيم في « موسيس » يؤمن انتاج ماتحتاج اليه الزراعة في البلاد من الاسمدة الصناعية ، وغير ذلك من المواد الكيماوية التي تقتضيها حاجات السوق الداخلية والصناعة والدفاع الوطني الذي يمكنه الاعتماد على مصنع كهربـــائي يمد المنطقة برمتها بما تحتاج اليه من طاقة . ثم انصرفت الى تجهيز المنطقة بالصناعة ، وهي منطقة تنبسط ٥٠،٠٠٠ كيلو متر مربع اي ما يعادل ١—٧ من مساحة البلاد ويزيد سكانها على ٥،٠٠٠،٠٠٠ نسمة ، قائمة في وسط بولونيا .

ولم يكن المقصودمن هذا المجهود الرائع رفع اقتصاديات البلاد فحسب بل التحوط الى ايجاد صناعة جبارة هي ركن وطيد لكل دولة عصرية ولامور دفاعها الوطني .

لم تكن بولونيا ، عام ١٩٣٩، الا في سنتها الثالثة من تنفيذ المشروع الاقتصادي العام الموزع تحقيقه على ١٥ سنة .

لا ارمي الى تكرار ما ذكرته في الفصل السابق عن « التجهيز الاقتصادي العام » غير اني اودّ ان الاحظ فقط ان رؤوس الاموال التي جرى توظيفها أُخذت من اعتمادات الموازنة العامة في الدولة ، وهي اعتمادات انشائية ايجابية تؤلف ٢٧،٥ بالمائة من مجموع موازنة الدولة ، بينما لاتمثل مثل هذه الاعتمادات في موازنات بعض الدول غير ٢٠ بالمائة في فرنسا، و ١٩ بالمائة في تشيكوسلوفاكيا، و ١٥ بالمائة في ايطاليا . ولذا صح القول ان خطوط السياسة الاقتصادية الكبرى للدولة البولونية ترمي في الاصل الى ترقية موارد البلاد الاساسية على آجـــال طويلة الامد . فلا مراء ، والحالة هذه ، ان يثير الازدهار الاقتصادي والصناعي في بولونيا هواجس المانيا ، ولنا دليل على هذا القلق هو ان بولونيا باشرت انشاء مدافع مضادة للطائرات ركزتها في قلب تلك المنطقة الجديدة،

وعهدت بهذا الالتزام الى شركة انكليزية على شريطة ان ترسل للجيش الانكليزي المدافع الثلاثمائة الاولى . وقد شهد كاتب هذه السطور عن كثب اي دور امته هذه المدافع المصنوعة في معامل ستاراكوفيل ضد اللفتواف الالماني هنا وهناك في الشرق الاوسط .

التجارة الخارجية — تجارة كل بلد نتيجة محتومة لموارده الاقتصادية ولامكانيات انتاجه وتبادله التجاري ولاشباع سوقه الداخلية واخيراً لموقعه الجغرافي . فموارد بولونيا كاملة لاتحتاج الا لبعض فلزات الحديد والنحاس والقطن والصوف والمطاط ، والانتاج الصناعي آخذ بالنمو والازدياد من حيث الجنس والعدد والتنوع ، كما اخذت حاجات البلاد الى الاستيراد تضعف تدريجياً .

ونرى ، من جهة اخرى ، ان الموقع الجغرافي ، لم يكن ليساعد كثيراً على التصدير ، ومع ذلك فقد كانت حرفة التصدير آخذة بالنمو بفضل ما يتصف به هذا الانتاج من الجودة والاتقان وبفضل نشاط الاوساط التجارية والصناعية . واذا ما نظرنا الى حاجات السكان والبلاد من خلال ١٩٢٠ ، تبين لنا ان الاستهلاك الداخلي كان يستغرق قسماً عظيماً من مجموع الانتاج الوطني ، الامر الذي كان يؤول الى نماء ثروة البلاد وغناها دون ان يمس رصيد تجارتها الخارجية باذى .

ففي بعض مناحي حياتها الاقتصادية كانت بولونيا سيدة نفسها ، ومع ذلك فحركة الاستيراد في البلاد كانت سنة ١٩٣٠ نحواً من ٣،٥٧١،٠٠٠ طناً يبلغ ثمنها ٢،٢٤٦،٦٠٠،٠٠٠ زلوطي ، بينما بلغت ، عام ١٩٣٨ نحواً من ٣،٣١٠،٠٠٠ طن ثمنها ١،٣٠٠،٠٠٠،٠٠٠ زلوطي . غير ان هبوط حركة الاستيراد من حيث قيمتها (٤٠ بالمائة) او من حيث حجمها (٨،٠ بالمائة) يعود سببه بدء الى هبوط الاسعار في الاسواق العالمية ، اذ لم يزد هذا الهبوط على ٣٠ بالمائة ، كما يعود الى تحوير هام في جريدة الاصناف المستوردة ، اذ زيد في معدل الخامات المستوردة بينما زهدوا في المنتوجات الصناعية الخارجية .

وفي الوقت ذاته تمكن الاستيراد البولوني ، من المحافظة على المركز الممتاز الذي احتله ، ولم يكن هبوطه في الكم من ١،٨٦٩،٢٢٠٠٠ طن عام ١٩٣٠ الى ١،٥٠٥،٩٧٠٠٠ طن عام ١٩٣٨ ، اي بمعدل ١٧،٥ بالمائة ، بما يوازي ثمنه ٢،٤٣٣،٠٠٠،٠٠٠ زلوطي سنة ١٩٣٠ و ١،١٨٥،٠٠٠،٠٠٠ زلوطي ، سنة ١٩٣٨ ، الا نتيجة لهبوط الاسعار العالمية بمقدار ٣٠ بالمائة .

ومن الامور التي يجب ملاحظتها ان عجز رصيد سنة ١٩٣٨ البالغ ١١٥،٠٠٠،٠٠٠ زلوطي كان من المنتظر سده حسب التقديرات الموضوعة لسنة ١٩٣٩ — ١٩٤٠ المالية من زيادة الفرق في

قيمة الصادرات . ويأتي في المرتبة الاولى من قائمة الخامات المستوردة فلزات الحديد ، ويأتي في الثانية الحدائد القديمة ثم القطن والصوف والبزور الزيتية . اما في حركة الصـادرات فالدرجة الاولى يحتلها الفحم الحجري، والثانية الحطب والمواد الخشبية الاخرى، ثم المواد الغذائية فالقساطل والخطوط الحديدية والمنتوجات النسيجية واللباس الجاهز . ففي السنوات الاخيرة، اي قبيل الحرب سنة ١٩٣٩ ، ظهر للملأ وجود انتاج بولوني متين الصنع فني الدقة كالقاطرات مثلاً والمدافع المضادة للطيران والمواد الصيدلية والحرير الاصطنـاعي والصلب الخاص والاسمدة الكيماوية ، الخ . وغير ذلك من صنوف السلع التي يقتضي صنعها درجة عالية من الاكتمال الفني .

ملاحظات عامة — اذا ما نظرنا الى حالة الخراب التي المت ببولونيا ابان الحرب العالميـة الاولى والى المآتي العظيمة التي قامت بها الدولة طيلة تسعة عشر سنة من عهد السلام هذا امكننا القول ان ما تم من الانشاءات يعود الفضل فيه الى ما يتحلى به الشعب البولوني من الاخـلاق الرفيعة . لم يكن الأيد الاجنبي ما يؤبه بها اذ تملك البلاد ما يكفيها من اليد العاملة والاخصائيين للقيام بالمشاريع الانشائية . ففي العهد القيصري كان المهندسون البولونيون يرأسون معظم المراكز العليا في صناعة التعدين والصناعة الثقيلة كما يتولون الاشراف على شبكة المواصلات . وكان هؤلاء المهندسون ، يتمتعون في اميركا الشمالية بالصيت الحسن والذكر الطيب . فالبلاد ، وقد حرمت حرية التمتع بثروتهـا ، لم تكن تحتاج سوى المال ورؤوس الاموال الاجنبية . فما هو شأن هذه الاموال الغريبة يا ترى ؟

ا — الحقل الحكومي — نرى في هذا الحقل اربعة قروض ، وهي :

ب — القرض الاميركي ، قيمته ٢٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار ، وقد جرت تغطيته في الاكتتـاب العام الذي قام به المهاجرون البولونيون ، وكان الغرض منه تغطية النفقات التي استغرقتها حرب الاستقلال ضد الهجوم الروسي .

ت—القرض الايطالي، وقيمته ٤٠٠،٠٠٠،٠٠٠ لير ايطالي قدمه المصرف التجاري الايطالي، اذا كان الغرض منه احتكار التبغ الذي فرض سنة ١٩٢٤ .

ث — قرض قيمته ٢٥،٠٠٠،٠٠٠ دولار قدمه مصرف ديلون الاميركي وشركاه ، الغرض منه انشاء الخطوط الحديدية والمشاريع الصناعية الكبرى ، وهو قرض تمت صفقته عام ١٩٢٥ ،

ج — قرض قيمته ٦٢،٠٠٠،٠٠٠ دولار و ٢،٠٠٠،٠٠٠ سترلينية ، جرى سنة ١٩٢٧ ، من اهدافه الرئيسية تدعيم الزلوطي وتركيز قيمته الاساسية .

وهذه القروض لم تكن في الحقيقة بذات بال اذ ما قوبلت بغنى الموارد الطبيعية في البلاد، وهي تقدر بـ ٨٨،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ زلوطي على اقل تعديل .

٢ — القروض الاقليمية — هنالك بعض قروض خاصة صغيرة كالقرض الذي عقدته مدينة فارصوفيا وقيمته ١٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار ، وسيليزيا العليا وقيمته ١١،٠٠٠،٠٠٠ دولار . وبلغ مجموع هذه القروض اذا اضفنا اليها تلك التي تمت صفقتها قبل حرب ١٩١٤ ما قيمته ٣٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار .

٣ — القروض الاقتصادية الخاصة — يعود معظم هذه القروض التي عقدتها مؤسسات خاصة الى ماقبل سنة ١٩١٤ فالرأس المال الالماني كان يرمي الى استثمار المرافق الصناعية في سيليزيا العليا، كما كان يهدف من جهة اخرى للتعاون مع قروض نمساوية الى استثمار المنطقة البولونية المضمومة الى النمسا . وقد ابطلت الحكومة البولونية المساهمة الالمانية في هذه المناطق بشرائها مرافق الاستثمار هذه . وهكذا اصبحت الحكومة ذات علاقة مباشرة بهذه المنافع لاسيما بالفحم فبلغت اسهمها منه ٣٠ بالمئة وبصناعة الحديد الثقيلة وحصتها من هذه الاسهم ٧٠ بالمئة، وبتناجم الملح وحصتها منها ٩٠ بالمئة وبأملاح البوتاس حيث تملك كامل الحصص .

اما الرأس المال الفرنسي فيتمثل في الصناعة التعدينية والحديدية المركزة في حوض «دبروى» الفحمي كما تتمثل في صناعة النسيج ولاسيما في فبارك الصوف (في المنطقة الروسية سابقاً) . واذا ما نظرنا الى رؤوس الاموال الاخرى التي جرى استثمارها في البلاد بعد ١٩٢٠ فلا نجد شيئاً يستحق الذكر ، مع العلم انه لو كانت المساهمة الاجنبية اقوى مما هي لكان ادى ذلك الى توطيد الدفاع عن بولونيا وتقويته ضد المطامع الروسية .

وهذه المطامع جداً خطرة على الاستقلال الاقتصادي لبولونيا في المستقبل بالرغم مما تبذله البلاد من مجهود للتخفيف من حدة المطالب الروسية . فالمقاطعة التي تحتدم حولها المشادة هي مقاطعة بولونية كما يثبت التاريخ كما انها تضم من حيث العنصرية اغلبية بولونية ساحقة ، واقتصادها بولوني كما المح الى ذلك النائب الانكليزي آو كنسكي في احد خطبه في مجلس العموم الذي القاه بتاريخ ١ شباط ١٩٤٥ ، فتمثل هذه المنطقة :

٤٦،٥ بالمئة من مجموع مساحة بولونيا
٢٣،١ بالمئة من مجموع سكان بولونيا ، اي ١٢،٠٠٠،٠٠٠ مليون نسمة
٩٠ بالمئة من الغاز الطبيعي
٥٦ بالمئة من النفط
١٠٠ بالمئة من الاسمدة الكيماوية
٥٥ بالمئة من الثروة الحرجية
٤٢ بالمئة من مجموع القوة المائية
٦٣ بالمئة من المراعي والمروج

٤٠ بالمئة من اجود الاراضي الصالحة للزراعة والتي كانت تنتج :

٤٥ بالمئة من القمح والحبوب على اختلافها

٤٥ بالمئة من البقول والخضراوات

٣٣ بالمئة من محصول البطاطا

٦١ بالمئة من محصول القنب

٧٨ بالمئة من محصول الكتان

٨٠ بالمئة من محصول التبغ

٩٨ بالمئة من محصول الذرة الصفراء.

نتائج عامة — يجب ان نذكر بايجاز :

١ — ما اصاب البلاد من ويلات الحرب والنتائج المشؤومة لاحتلال العدو لها طيلة ١٥٠ سنة.

٢ — العمل الانشائي السريع دون اي تعويض او مساهمة اجنبية .

٣ — توحيد المناطق الثلاث المتباينة ادارياً واقتصاديا وتشريعياً وربطها معاً بشبكة من خطوط المواصلات .

٤ — تجهيز بولونيا الوسطى بالمؤسسات والانشاءات الصناعية .

٥ — القيام بحركة اصلاحية شاملة في النظم الزراعية .

٦ — تنمية الانتاج الصناعي . فاذا ما اخذنا لذلك سنة ١٩٢٩ رقماً قياسياً المقايسة والمقابلة رأينا معدل الانتاج البولوني ، سنة ١٩٣٨ ، يبلغ ١٢٧ بالمائة ، وفي انكلترة ١٢٤٫٢ بالمائة ، وفي الولايات المتحدة الاميركية ٩٢٫٧ بالمائة ، وفي فرنسا ٩١٫٩ بالمائة من القياس المضروب لسنة ١٩٢٩

٧ — ارتفاع المعدل المئوي لليد العاملة في الصناعة فقد بلغت هذه الزيادة ٥٠ بالمئة بين ١٩٢١ و ١٩٣١ ، ٢٠ بالمئة بين ١٩٣٢ و ١٩٣٨ ،

٨ — تحقيق المشروع العام للتأمين الاجتماعي الالزامي ولحماية العمل ، (وسنبحث هذا الموضوع في درس على حدة)

٩ — المشاريع العمرانية في المدن الكبرى والغاية منها تجميلها حسب مقتضيات العصر .

يتضح مما تقدم انه بالرغم من الدعاوة العدائية التي يقوم بها خصوم بولونيا ، كان النظام الجمهوري في البلاد نظاماً صحيحاً خليقاً بتأمين استقلالها وبما تحتاج اليه من الموارد الاقتصادية هذا الاستقلال الذي يتعهده الشعب البولوني بعين يقظة والذي ماتزال ترعاه الحكومات المتعاقبة بالعطف والتسييج حواليه ، والدليل على ذلك كله هذا الازدهار الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الذي لا مثيل له .

الزراعة والقضايا الزراعية

١ — الزراعة

شروط الزراعة الطبيعية — تقع بولونيا في المنطقة المعتدلة ، تلك المنطقة التي اعدتها الطبيعة خصيصاً للزراعات الكبرى : كالقمح والشوفان والشعير الجاودار والبطاطا والشمندر السكري والمروج والمراعي. وتساعد الامطار الغزيرة التي تتساقط في هذا الاقليم على العناية بهذه الزراعات دون اللجوء الى السقاية او الري .

غير ان التفاوت الضئيل في المناخ الذي نراه قائماً بين مختلف مناطق البلاد يستدعي حتماً بعض الاختلاف في محاصيلها الزراعية . فنرى مثلاً القسم الشرقي الشمالي منها (مقاطعة فيلنو) وهي اشد برداً من اعمالها الاخرى واكثر رطوبة منها جميعاً لا يصلح كثيراً للاسباب المتقدم ذكرها لزراعة القمح والشمندر السكري،بينما تعطي بوفرة الشوفان والبطاطا والمروج والمراعي، وتنبت كذلك كتاناً من الجنس الممتاز . اما القسم الجنوبي الشرقي (منطقة لفوف) فتتوفر فيه خير الشروط الطبيعية لانتاج القمح والشمندر السكري والفاصوليا والخضراوات والبقول والذرة الصفراء ودوار الشمس بمقادير جسيمة . وتعطي هذه المناطق الخصبة ، بنوع خاص ، جنساً ممتازاً من القنب ، كما اشتهرت ولاية فلهينيا بضرب من الفصة الحمراء امتازت بخصائصها الثابتة التي تساعدها على احتمال الحر صيفاً وزمهرير البرد شتاء.

التربة — ان ثلثي التربة في بولونيا هي من نوع « التربة الخفيفة » التي تتطلب فيها بعض النباتات : كالقمح مثلاً والشمندر السكري ، عناية اكبر مما تتطلبه في غير تربة ، والا جاء محصولها السنوي ضعيفاً . وهذا النوع صالح بالاخص لحصول البطاطا والجاودار . وعلى الاجمال يمكن ان نقول ان ربع او ثلث تلك التربة يتكون من الاراضي الخصبة والغنية .

وهذه الاراضي تكونّن معظمها في العصر الجليدي او ما بعد العصر الجليدي ، اتربتها ، على الغالب ، رملية او دلغانية او غرينية تمتد مساحات شاسعة في شمالي البلاد . والى الجنوب نرى نوعاً آخر من التربة يدعى «اللويس Loess » يختلف في تركيبه وخصائصه عن التربة المعروفة بهذا الاسم ، الموجودة بكثرة في صحاري ايران والبلدان المجاورة وهي تحمل في طبقاتها العليا مقادير وافرة من العناصر النباتية المتحللة تتراوح بين ٤ — ١٢ بالمئة من مجموع العناصر الاخرى ،

وتبلغ سماكتها في بعض الاحيان متراً ،يضفي على التربة لوناً اكمد حتى يضرب الى السواد . ولهذا السبب عرفت تلك الاراضي بالاراضي السوداء ، والمعروف عنها انها من اخصب الاتربة في العالم لا يفوقها في ذلك الا التربة الرسوبية .

والى جنوب هذه المنطقة الموصوفة يسيطر نوع آخر من الاتربة الدلغانية تقع جنوبي جبال الكربات تتألف معظم عناصرها المقوّمة من الرواسب التي جرفتها الامطار عن منحدرات الجبال، تصعب حراثتها ويتفاوت غناها .

ونجد في بعض المناطق البولونية اتربة غرينية تكوّنت من رواسب البحيرات والمستنقعات والغدران تقع على الغالب في بطون الاودية ومجاري الانهر ، من ذلك تلك المساحات الشاسعة التي تنبسط على ضفاف الفستول .

الفن الزراعي — ابرز مظاهر الزراعة البولونية هي تلك التي تقوم على استخدام الخيل في حراثة الحقول ويفوق استخدامهم لها استخدام الثيران والمحركات الميكانيكية .

والفن الزراعي في تلك البلاد يقوم قبل كل شيء على نسبة منسجمة بين زراعة الارض وتربية المواشي ، اساسها نظام فني من السماد الطبيعي . مضافاً اليه الاسمدة الكيماوية الاصطناعية على اختلافها ، اذ اخذت المقاطعات الغربية في البلاد ، قبل الشرقية منها بكثير ، تستعملها بمقادير وافرة .

استغلال التربة — كانت التربة المنتجة في البلاد تستثمر على الوجه التالي : ٤٩ بالمئة منها يستعمل للزراعة و ١٧ بالمئة للمراعي والمروج و ٢٢ بالمئة للاراضي الحرجية . ففي اوروبة نرى الدانمارك وهنغاريا وحدهما يفوقان بولونيا بمعدل مساحتها الزراعية اذ يبلغ هذا المعدل ٤١٫٧ بالمئة في ايطاليا ، و ٤١٫٢ بالمئة في المانيا و ٣٨٫٣ بالمئة في فرنسا و ٢٣٫٧ بالمئة في انكلترة و ٣٦٫٨ بالمئة في الولايات المتحدة الاميركية . ومن هذه المقارنات البليغة يتبين لنا مكانة الزراعة ومنزلتها الكبرى في الاقتصاد الوطني في بولونيا . والجدول التالي يضع تحت انظار القارىء الكريم، النباتات الزراعية الرئيسية ومعدل محصولها السنوي في الهكتار الواحد بين ١٩٣٤—١٩٣٨ .

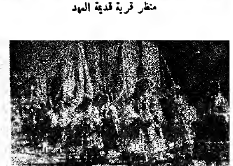
الصنف	المساحة بألوف الهكتار	محصول الهكتار الواحد بالكنتال	مجموع المحصول العام بالوف الكنتال
الجاودار	٥٧٧٤	١١٫٢	٦٤٫٦٧٩
القمح	١٧٣٨	١١٫٩	٢٠٫٦٤٣
الشوفان	٢٢٥٠	١١٫٤	٢٥٫٥٧٦

في الريف البولوني



منظر قرية قديمة العهد

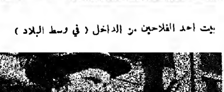
منظر قرية عصرية





تطواف ديني (زياح)

بيت احد الفلاحين من الداخل (في وسط البلاد)





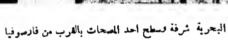


جوقة موسيقية (خوتزول) في جبال تشارنوخورا

ريفي يلهو بمزماره (جبال تاتري)

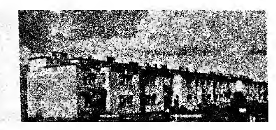
الحياة الاجتماعيه في بولونيا





البحرية شرفة وسطح احد المصحات بالقرب من فارصوفيا

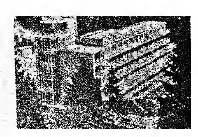
مصح لاولاد العمال في سيليزيا



منازل العمال في فارصوفيا



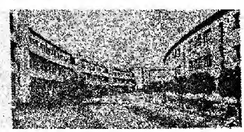
بيت للترفيه عن عمال السكك (منطقة كراكوفيا)



نزل للاستراحة والترفيه في جكنسوف (الكربات)



مركز المنظمات الاجتماعيةومعهد الرياضة البدنيةفي مدينة كلتره



تعاونية السكن في فارصوفيا



صالة احدى حدائق الاطفال

الشعير	١١٩٩	١١٦٨	١٤٦١١٤
البطاطا	٢٩٠٠	١٢١٦	٣٦٥٠٠٦٠٦٥
الشمندر السكري	١٣٠	٢١٦٦	٢٨٦٠٦١
الذرة الصفراء	٩٠	١١٦٩	١٠٧٣
اللوبياء	٣٨	١٠٦	٣٨٣

قد يعجب القارىء غير المطلع لجسامة الارقام في بعض المحاصيل ولاسيا في محصول البطاطا والجاودار . فالاخيرة من هــذه النباتات دخلت البلاد من الشرق الاوسط عن طريق الشعوب الايرانية التي هاجرت باسم الآريين اوالهند الاوروبيين واستقر بها المطاف في اوروبة ،واليهـا يعود معظم الشعوب التي تقطن اليوم اوروبة ومنهم البولونيين . والطريف ان الجاودار قـد اوشك ان يختفي من وطنه الاول ويزول اثره كنبات زراعي فيه ، بينا هو اليوم قوام التغذية في الطعام المستهلك في بولونيا والمقاطعات الالمانية الواقعة شرقي نهر الالب ، وبلاد سنكدينافيا والمقاطعات الواقعة في شمالي روسيا ووسطها .

فالحدود القصية التي بلغتها زراعة الجاودار الى الغرب هي نفس الحدود التي بلغتهـا الموجة الصقلبية من هذه الناحية . وما زراعة الجاودار في منطقة ما من تلك المناطق الا برهان قاطع على مدى ما بلغه التفوق البولوني في المناطق التي انطبعت اليوم بالطابع الجرماني،والواقعة الى الغرب من حدود بولونيا .

فبولونيا تحتل احد المراكز الاولى بين الدول المنتجة للبطاطا في العالم ولا يدانيها عناية بتربية هذا النبات الغذائي الهام الا المانيا ودول بحر البلطيق . وخمس هذا المحصول او ربعه يستعمل في صناعة الكحول اذ يستخرج منه زهاء ٩٢٥ ملايين من السبيرتو النقي من عيار ١٠٠ درجة يقوم باستقطارها ١٤٠٠ معمل ،معظمها ملك للبولونيين او لشركات بولونية . وكانت الدولة تحتكر بيع الكحول وتتولى تصريفه على حسابها . وكانت كمية اخرى تعادل الكمية المستهلكة لاستخراج الكحول تستعمل في تغذية الماشية والخنازير ،وكمية محدودة تعد للتصدير بينا يستهلك الباقي لمقطوعية الاهلين على اختلاف طبقاتهم .

وعلى عكس البطاطا ، كان منتوج البلاد من الشمندر يستعمل في صناعة السكر ، واشتغل في صنعه ، قبل ١٩٣٩ ، نحو من ٦١ معملاً كبيراً يتفاوت انتاجهـا السنوي بين ٤ و ٥ ملايين قنطار ، يصدّر اكثرها للخارج . ومعظم هذه المصانع هو ملك شركات بولونية يملك اسهمهـا الفلاحون والمزارعون ، وبعضها على اساس تعاوني . فانت ترى ان صناعة السكر المرتكزة على زراعة

الشمندر كانت ذات اثر بين في الاقتصاد البولوني الوطني ، وترتبط اكثر من سواها من تلك الصناعات بظروف المناخ وحالة الارض والتربة، منتشرة في كل المناطق ، بخلاف صناعة الكحول المقيدة بقيود رسمية .

امــا زراعة التبغ وتوضيبه فيخضعان لحكر الدولة ويتكيفــان بناموس العرض والطلب وامكانيات الارض . وهذا التحكم الرسمي والتوجيه المقيّد ادى بالتالي الى تحسين هذه الزراعة والنهوض بها الى مستوى رفيع من الاصول الفنية والتوضيب العلمي في فن زراعتها وضروب العناية بها وتعهدها بالاسمدة المناسبة . وكانت الدولة تعهد بهذه الزراعة الى اخصائيين ومزارعين فنيين يتلقون تعليماتهم من ادارة الحكر او الريجي .

محصول الارض — ان التربة في بولونيا ، لمن الجنس الوسط على الاجمال وقد استثمرها الانسان منذ عهد بعيد . فثروة البلاد من الاراضي الممتازة ، ضئيلة بالنسبة الى ما يوجد منها في الروسيا ، مثلاً وفي الاميركتين . ولهذا تقتضي الزراعة في بولونيا ، لتأتي بمحصول طيب ، مجهوداً كبيراً من العمل ، وقدراً عظيماً من العقل والاختبار وفناً وفيراً في طريقة التسميد الطبيعي والاصطناعي

نرى الزراعة في بولونيا ، تتحرر بين ١٩١٨ — ١٩٣٩ من كل رقابة اجنبية وتبذل مجهوداً جباراً تمكنت معه من الانطلاق في معارج التقدم والنجاح مراعية في ذلك تحسين وسائلها الفنية المؤدية الى خير الاستغلال ، وتنظيم الحياة الاجتماعية والنهوض بها . وقد اخذ المزارعون واصحاب الاراضي ، سواء منهم الصغار والمتوسطون ، يستعملون اكثر فاكثر الاسمدة الكيماوية والآلات الميكانيكية والجرارات الحيوانية . ولهذا لم يكن الـ ٤٠ بالمئة من غير المزارعين من سكان البلاد ليكوّن سوقاً تستغرق بكاملها انتاج ٦٠ بالمئة من سكان البلاد المزارعين ، بينما كانت الاسواق الاجنبية من جهة ثانية قليلة الطلب . ولما كانت بولونيا بلاداً محدودة اليسر عسر على حكومتها ان تنهج سياسة ترمي الى مد يد المعونة للفلاح والمزارع على القدر الذي انتهجته كل من حكومات تشيكوسلوفاكيا مثلاً وايطاليا والمانيا . اما من جهة اسعار المحاصيل الزراعية بالنسبة الى المحاصيل الصناعية فلم تكن المقارنة بين هذه وتلك في صالح الزراعة اذا ما قيست هذه بالرعاية التي كانت تلقاها الفلاحة في اوروبة الغربية ، وليس من ينكر التحسين الذي طرأ على الاساليب الزراعية في البلاد اثر الازمة الاقتصادية التي استحكمت حلقاتها بين ١٩٣٠ — ١٩٣٤ ، فلم يكن ، والحالة هذه ، من دواء للخروج بها من هذا المأزق الحرج سوى تنظيم اساسي للانتاج الموجّه دون زيادته وتنميته بلا قيد ولا شرط .

ولهذه الاسباب كان من الصعب على قابلية الانتاج في المزروعات البولونية بلوغ معدل هذه القابلية للهكتار الواحد ، في بعض البلدان الاخرى التي تتمتع بمستوى اقتصادي ارفع

وبتنظيم زراعي فني اكمل ، كما كانت امكانياتها تتفاوت درجة وقدراً بين منطقة واخرى وبلغ هذا الانتاج في الولايات البولونية الغربية معدل اعلى انتاج في اي بلد اوروبي . امـــا في المقاطعات الشرقية فكان الفرق بين المعدلين عظيماً .

تربية الحيوانات الاليفة — تكوّن هذه الناحية من النشاط الزراعي في بولونيا ركناً اساسياً من اركان كل مؤسسة زراعية في البلاد . واركان تربية الحيوانات هذه تشمل ما عدا الطيور الدواجن ، اربعة اجناس رئيسية هي الخيل والبقر والخنازير والغنم ، بقطع النظر عن الماعز الموجود بكثرة وتربيته مقصورة بالاخص ، على سكان المزارع والدساكر الصغيرة .

كانت ثروة بولونيا من الجياد ، سنة ١٩٣٦ نحواً من ٣٩١٩ الف حصان ، اي بمعدل ١٥،٣ في كل ١٠٠ هكتار من الاراضي الزراعية . وهو اعلى معدل نسبياً في العالم كله ، الا اذا استثنينا الدانمارك حيث يبلغ هذا المعدل ١٨،٣ حصان لكل مائة هكتار . ولعل سبب تفوق هذا المعدل يعود ، في بولونيا ، الى ما يتمتع به هذا الحيوان الكريم من مقام بين البولونيين يتوارثونه خلفاً عن سلف ويعتمدون عليه في حروبهم وغزواتهم .

وقد اشتهروا بحبهم للفروسية كما اشتهر فرسانهم وخيالتهم بالشجاعة ولايزالون ، منذ مطلع القرن السادس عشر الى ايام نابوليون فحروب الاستقلال سنة ١٩٢٠ وما بعدها ، والكل يثنون على مقدرتهم ويطرون مهارتهم في السباقات الدولية . ومما زاد البولونيين عناية بهذا الحيوان الكريم استعمالهم له في اعمـــال الجر والنقل والمواصلات يوم كانت الوسائل الميكانيكية تعجز عن القيام بهذه الاعباء .

وهذا الحصان البولوني ، شرقي الاصل بدون منازع وهو وان لم تكن له خصائص نوعية ومميزات مقوّمة فقد اتفقوا على كفاءته الممتازة كحيوان للجر او للركوب ، بعد ان دخله عن طريق التبغيل بعض خصائص الحصان الانكليزي . ويرى الخبيرون بطبائع الجياد وشياتها ان هنالك في البلاد عرقان متميزان للخيول البولونية ، احدهما سليل الحصان البري الذي كان يقطن الاحراج الكثيفة حتى اوائل القرن التاسع عشر ، كما يؤكد المتمكنون من علم الحيوان ، والثاني من بواقي جياد الكربات الشرقية .

اما فيما يتعلق بتربية الابقار فليس لبولونيا المنزلة التي رأيناها عليها في تربية الجياد . فقد بلغ عدد الرؤوس فيها نحواً من ١٠ ملايين و ٥٥٤ الف رأس ، اي بمعدل ٤١،٢ للمائة هكتار من الاراضي الزراعية ، بينما كان هذا المعدل نفسه في هولاندا ١١١،٥ رأس بقر ، وفي الدانيمارك ١٠٣،٤ ، وفي المانيا ٦٩،٣ ، وفي فرنسا ٤٥ وفي ايطاليا ٣٧،٥ وفي يوغوسلافيا ٢٩،١ ، والبقرة في بولونيا على عرقين مختلفين ، احدهما عريض الرأس مسطحه ضارب ثوبه الى الحمرة ،

ربعة القامة ، عدل الانتاج يبلغ ما يعطيه من الحليب ٢٠٠٠ كيلوغرام في السنة ويتراوح شحمه بين ٤ — ٤،٥ بالمئة . والآخر من العرق الهولاندي مديد القامة ، كثير التطلب يبلغ ادره في السنة بين ٣٠٠٠ — ٤٠٠٠ كيلو غرام من الحليب ويتراوح شحمه بين ٢٥ — ٣٥ بالمئة . وقد تضاءل عرق آخر كان من قبل موجوداً بكثرة في البلاد يعرف « بالعرق الالبي » كما اخذت تزول تلك البقرات غير المؤصلة امام التضييقات التي تفرضها وزارة الزراعة والغرف الزراعية والجمعيات الزراعية والنقابات الاخرى التي تتحكم بشدة بتناسل الاصطبلات واستيلاد العروق المنسوبة .

وكانت البلاد منقسمة باعتبار تربية الابقار الى مناطق معينة تحددها ظروف زراعية فنية واقتصادية ورغبة السواد الاعظم من المشتغلين بتربية الابقار ، وكلها تعنى على السواء بهذين العرقين الممتازين محافظة منها على النسل ورغبة في تأصيله وتجويده .

وهذه التربية البقرية كانت ترتكز من جهة على التغذية في الاصطبل ومن جهة اخرى على المراعي والمروج، بعد ان عنيت الحكومة عناية ظاهرة باغنائها وتحسين الوسائل الفنية الحديثة التي تؤول الى النهوض بها وتأمين ازدهارها . وكان ما تعطيه من محصول الحليب يوزع بدقة بواسطة شبكة محكمة من مستودعات موزعة بدقة في طول البلاد وعرضها ، يربط بينها نظام تعاوني يرتكز على ثلاث نقابات مركزية تؤمن باحكام مقطوعية البلاد ، وتصدر الى الخارج ما استفاض عن حاجة السوق الداخلية .

ويأتي الخنزير في الدرجة الثالثة بين الحيوانات الاليفة التي تعنى بها تربية المواشي في بولونيا . اما ثروة البلاد من هذا الحيوان فقد بلغت سبعة ملايين و ٥٢٥ الف رأس اي بمعدل ٢٩،٤ خنزيراً في كل مائة هكتار من الاراضي الزراعية ، وهو معدل وسيط بالنسبة الى ما نرى من ارتفاعه في بعض البلدان الاخرى . وقد عني بتربيته على الاخص سكان المدن الصغرى والقرى والدساكر والمراكز الصناعية . اما عروقه الاصيلة في البلاد فالعرق الانكليزي الابيض . وهو على جنسين : كبير وصغير . وهنالك عرق وطني مؤصل عرف بانتاجه الطيب وامتاز بقابليته للتطبع بحسب ظروف البيئة والجوار ، ويكون شحمه عنصراً هاماً من عناصر التغذية الاساسية لطبقة الفلاحين والمزارعين والطبقات الشعبية الاخرى التي دونها يسراً .

واخذت بالتالي صناعة المقددات من اللحوم المدخنة تنشط وترتفع معها حركة التصدير الى الخارج ولا سيما الى البلدان المجاورة التي كثيراً ما وقفت حائلاً دون ازدهارهذه الصناعة لاسباب سياسيةبالاحرى وليس اقتصادية . ولم يبلغ تصديرها في وقت ما معدلاً كبيراً مرموقاً .

اما تربية الاغنام في بولونيا واساسها العرق المعروف بـ « مرينوس » او « الخروف المور » فقد اخذت بالتقهقر منذ فجر هذا العصر نتيجة لتلك التغييرات التي طرأت على النظام الاقتصادي

الزراعي في البلاد . ويبلغ ١٠ يوجد في بولونيا مــن الاغنام ٣٤١١ الف رأس، اي ١٣،٣ للمائة هكتار من الاراضي الزراعية . وكانت مقطوعية لحم الضأن ضعيفة للغاية وثمن الصوف الخــام لم يكن من الممكن خفضه الى ادنى من سعره في الخارج . اما صناعة الاصواف وقوامها ٨٠ الف نول ونيفاً فكانت على شيء بسيط من التطور تعنى على الاخص بنسيج الصوف المستورد من الخارج . وقد بذلت المراجع المختصة من السلطات الزراعية والعسكرية والمؤسسات التعاونية الزراعية جهوداً ناجحة لتنمية تربية الاغنام وتحسين اصنافها وتجويد عروقها . فعنت تلك الهيآت بتنشيط عرق «المارينوس» المعروف في البلاد وادخال عرق جديد، معه هو العرق المعروف بـ«الكراكولي» وعرق ثان روسي الاصل يعرف بـ«رومانوف» مع تهجين انواع وطنية اخرى تحسيناً للصوف الخام .

ونشطت في البلاد حركـة تصدير البيض والدواجن بمقادير كبيرة على اساس تعاوني . اما صناعة الجلود فكانت تعطي اصنافاً مختلفة من الجنس الممتاز تستغرق معظمه الاسواق الداخلية .

القضايا الزراعية

لمحة تاريخية — قطن بولونيا، منذ فجر تاريخها، اجيال مختلفة من الناس استعمروها مئات السنين من قبل، يوم كانت البلاد مغطاة بالاحراج والمستنقعات والغدران، واستثمروا مساحاتها الزراعية، في عهد كان الفن الزراعي لايزال بعد في المهد ووسائله اولية بدائية . والادلة على ذلك كثيرة منها العناية بنباتات لم يأت على اسمها الفن الزراعي في العهــد الروماني . وقد نشأ في البلاد في هذا العهد السحيق من تاريخها مدن كثيرة جاء على ذكرها المؤرخون العرب وسواهم . ومن بين مدنها اليوم بعض يرجع تاريخ نشأتها الى الوف من السنين خلت تمكن علم الآثار واعمال الحفريات الاخيرة من نبش معالمها الدارسة . وقد وفق علماء الآثار سنة ١٩٣٠ للكشف عن اثار مدينة بولونية عريقة في التاريخ حسنة التخطيط، قويمة الشوارع، فُرش رصيفها بالخشب وهي اشبه ما تكون بمدنية بومباي الرومانية المشهورة .

وكان نظام الحكم في بعضها شورى، بينما هو في البعض الآخر ملكي، يقوم بشؤونه في كلا الحالين رجال احرار . وهنالك عبيد يكثر عددهم او يقل جيء بهم على يد تجار من الشرق الادنى هم على الغالب اسرى حرب او جناة حكم عليهم بالرق والعبودية .

اما الارض فكثيراً ما كانت تفيض عن حاجة الاهلين والمزارعين فلايعنون كثيراً بتحديدها عند امتلاكهم لها . واول محاولة اصلاحية لنظام الاراضي في بولونيــا قامت به اسرة ملوك « البياست» (القرن العاشر للميلاد) التي وطدت النظام الملكي في البلاد واحلته محل نظام قَبلي عُمل به

قديماً مدةً طويلة . وباستطاعتنا ان نؤكد على ضوء التاريخ ، ان النظام الاقطاعي لم يرسخ قط في بولونيا اذ ان الملك كان يُقطِع فقط الاراضي البور ، واذ ذاك ينصرف اصحابها الجدد الى استثمارها مستعينين على ذلك بعدد من العبيد . وبعد هذا بكثير نرى الملك ينهج نهجاً جديداً اذ يُقطِعُ الاساقفة ورؤساء الاديار الاراضي الدامرة وحق التبعية على من فيهـا من الاهلين والفلاحين . ومن ذلك الحين ، اي منذ القرن الثاني عشر ، شرع اسياد الارض الجدد يدخلون على ممتلكاتهم في استثمارهم لها اساليب زراعية فنية مستحدثة ، تتماشى وتطور الفن الزراعي

تمكن البولونيون في القرن الثالث عشر من الصمود في وجه المغول الغزاة وصدهم الى الوراء . وكان من نتائج هذا الصراع ان هجر الاهلون القسم الجنوبي الشرقي من البلاد الامر الذي ادّى الى افقار هذه الناحية . ولم يعد من الميسور احياؤها الا على ايدي مستعمرين جدد جرمانيين او صقالبة جيء بهم تدريجياً من الغرب . وقد تقلصت على مرور الزمن وطـأة الرق في البلاد ، وما كاد يبزغ القرن السادس عشر حتى زال كل اثر له في طول البـلاد وعرضها وقد زالت معه من البلاد تلك الطبقة الاجتماعية المؤلفة من المزارعين الاحرار القدامى ، فامتزجت رويداً رويداً بتلك الفئة من المرابعين الجدد والفت معهم طبقة جديدة هي طبقة الموالي . وقد تم هذا التطور في آن واحد مع تلك الثورة الاقتصادية الكبرى التي حدثت خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، والتي كان من ابرز مظاهرها في بولونيا ذلك التطور السريع الذي ادى الى استغلال الاراضي عـلى مدى واسع . وهكذا نرى ، من ذلك الحين فصاعداً ، يقوم في الارياف البولونية طبقتان من الناس متميزتان متباينتان : الملاكون الاشراف والمزارعون الموالي . فالاشراف يحكمون البلاد مباشرة او بواسطة عملائهم يتمتعون بحقوق سياسية ومدنية هي نفسها لكبار الملاكين او للاعيان الوضيعين الذين لم تكن حالتهم المالية لتختلف كثيراً عن وضعية المولى من المزارعين ، يتوارثون اباً عن جد حريتهم الشخصية واملاكهم العقارية مهما دقت ورقت ، وحقوقهم السياسية .

اما الاعيان والاشراف في بولونيا فهم اوسع طبقات الامة مدى واقواها شأناً تَفُوق بما تتمتع به من نفوذ سياسي واسع اية طبقة مشابهة لها في البلدان الاوروبية الاخرى مهما تباعد النظام الديموقراطي في هذه البلاد ومهما اعرق وتأصل . وقد سادت هذه الطبقة غيرها من الطبقات الاجتماعية في بولونيا . اما الفلاح فقد آل امره الى حالة الموالي فهو يقتني الاثاث ويتصرف ، ان لم يكن باسم القانون ، فبالفعل بما يملكه من عقار ومسكن يتوارثها خلفاً عن سلف ، يتقاضى في التافه من الامور عند سيده . اما القضايا الهامة فامر النظر فيها متروك للمحاكم . وقد ابى الرأي العام والعرف المتبع في البلاد ان يرضيا باي اذى يصيب حرم المولى : امرأته او ابنته ، او يسلم باي تعدٍّ عليهما

بينما هذه المسائل هي من الامور العادية في اسبانية والمانية وروسية وفي كثير من البلدان الاوروبية الاخرى الى اواسط القرن التاسع عشر. كثيراً ما كنا نرى في المانية وروسية مثلاً التصرف الكيفي بالمولى غير المرتبط بارض ما ، فيبيعونه او يبعدونه قسراً عن ذويه ، بينما كانت امثال هذه الامور في بولونيا لايسمح بمثلها ولا يسمع بها منذ عهد بعيد . فكان كثير من الاشراف والاعيان يعترفون لمواليهم المزارعين بقسط وافر من الاستقلال الداخلي وكان مجلس الامة كثيراً ما يرفع شأن بلدة او قرية برمتها لموقفها المشرف في حرب او جهاد جاعلاً اياها في مصاف الايالات الشريفة .

ونشهد في بولونيا ، خلال القرن الثامن عشر ، تياراً جارفاً يرمي الى تحرير الموالي من المزارعين والفلاحين ويتبارى في هذا المضمار ارباب الاراضي ، فيعتقون الفلاحين مما يرهقهم من حقوق الارتفاق والسخرة لقاء عوائد والتزامات خفيفة . وقد تم هذا التحرير بصورة نهائية على يد دستور ٣ آذار سنة ١٧٩١ الذي عمم حركة انعتاق الفلاحين ، وجاء تصريح القائد كوشتيوشكو يؤيد هذا التشريع الحكيم . غير ان ما نزل بالبلاد من الاقتسام حال دون تمتع الطبقات الوضيعة بهذه الحريات الواسعة .

وقد دئبت الدول الثلاث المغتصبة على منع الطبقات الشعبية في بولونيا من الاستفادة من هذه الحريات التي وهبها اياها دستور البلاد ، وكانت الدول المقتسمة لاتسمح بهذه الحريات في البلاد المضمومة الاعلى قدر ما تجود به من امثالها في مقاطعاتها الاخرى . وهكذا نرى ان الغاء الرق وما اليه من حقوق الارتفاق لم يتم في النمسا الاحوالي سنة ١٨٤٨ في الحركة الاصلاحية التي قام بها الامبراطور فرنسوا جوزيف . غير ان الحكومة النمساوية تمشياً مع تقاليدها المتبعة في عهد آل هبسبورج لا يسعها الا ان تترك في كل حركة اصلاحية تقوم بها ، بعض ما يثير النزاع والخصومات الدائمة بين اسياد الارض والفلاحين .

اما بروسيا التي قامت بهذا الاصلاح الاجتماعي سنة ١٨٢٠ ، اي في عهد «ستاين» ، فقد سارت فيه على خطة سديدة احكمت ربطها من جهة الاقتصاد الزراعي ، اذ امنت الكبار الملاكين واصغارهم على السواء في كل من بوزنانيا وبوميرانيا البولونيتين نظاماً زراعياً صحيحاً يتفق ومبادىء الاقتصاد الالماني العامة .

اما الروسيا التي كانت تخضع لنظام زراعي واجتماعي رجعي ، فكثيراً ما كانت تعاقب بالنفي والتشريد الى مجاهل سيبيريا من تحدثه نفسه من ارباب الاراضي بتحسين حالة الفلاحين الاجتماعية والحقوقية في كل من المقاطعات البولونية والليتوانية . فحلت كل المنظمات الزراعية كما الغت كل المؤسسات الوطنية في البلاد . ففي سنة ١٨٦٣ قامت الثورة الكبرى في بولونيا تدعو الامة

الى الجهاد المقدس في سبيل الاستقلال كما تدعوهـــا الى مواجهة قضاياها الاجتماعية الكبرى وفي مقدمتها اعتاق الفلاحين وتحريرهم ، فاخمدتها الدولة الغاصبة بفيض من النار والدماء بعد حرب اكلت الاخضر واليابس . الا ان الحكومة القيصرية لم ترَ مندوحة مـــن الاعتراف للفلاحين البولونيين والليتوانيين بالحريات التي اقرتها ، من قبل ،الحكومة البولونيةهبة من كرم الامبراطور . وقد شاب هذا الاصلاح الزراعي الذي اعلنته الحكومة الروسية في الولايات البولونية والليتوانية التي ضمتها، نفس الشوائب والعيوب التي علقت بالاصلاح الذي قامت به الحكومة النمساوية من قبل ، اذ قصدت منه بالاحرى مثالا للشغب والشقاق بين طبقات الفلاحين والاشراف بدلا من ان يكون اداة وفاق وعنصر اتحاد بين مختلف الطبقات .

الملكية العقارية سنة ١٩١٨ ـــ كان عدد السكان الذين يتعاطون الزراعة في بولونيا حوالي ١٩١٨ ، ما معدله ٧٤ بالمئة من مجموع سكان البلاد ، ثلثهم من العمال الذين يحترفون الزراعة وهم لا ملكية عقارية لهم . وكان سدس السكان مـــن اصحاب الثروة العقارية بين كبار الملاكين ووسطهم فتسمح لهم، واردهم الزراعية من العيش الهني . وكان النصف الثاني من هذا العدد يستثمر الزراعة دون ان تفي موارد الارض بحاجتهم فيلجؤون معه الى عمل يساعدهم على العيش وتحمل اعبائه .

ان ٣٣ بالمئة من مجموع مساحة الارض الزراعية تخص كبار الملاكين فيبلغ معدل نصيب الواحد منهم ٥٠ هكتاراً . واذا ما استثنينا الاحراج كانت هذه العقارات الارضية تمثل ٢٥ بالمئة من مجموع الاراضي الزراعية بما فيها املاك الدولة .

وما تبقى من الاراضي الزراعية اي ٧٥ بالماية من مجموعها تعود ملكيته الى صغار الملاكين اذ لا تزيد مساحة ما يملكه الواحد منهم على ٥٠ هكتاراً .

ويبلغ ما يتصرف به المالك من عقار يستثمره في جميع انحاء البلاد ، الا في المقاطعات الغربية منها، ما يتراوح بين ١ و ٣٥ هكتاراً تقريباً ومن هنا يتضح كيف ان توزيع الثروة العقارية على صغار الملاكين لم تكن مرضية على الاطلاق .

ومن مساوىء النظام العقاري حسبما كان معمولا به في البلاد توزيع المؤسسات الاستثمارية الى قطع منفردة كثيراً ما كانت تتناثر وتتوزع بانتقالها الى ايدٍ جديدة عن طريق الارث . اما مساحة المزارع الاستثمارية الكبرى فكان يختلف معدلها بين منطقـــة واخرى . فهو ضئيل ضعيف في المنطقة الغربية الجنوبية بينما هو عالٍ مرتفع في بطاح منسك مثلاً . وكان كبار الملاكين في بولونيا يتولون بانفسهم استثمار ممتلكاتهم التي كان يتراوح كبرها بين ١٠٠ — ٥٠٠ هكتار .

حكومة بولونيا وسياستها العقارية بين ١٩١٨ — ١٩٣٩ — مثلث الملكية العقارية في بولونيا ، اثناء القرن التاسع عشر وبـدء القرن العشرين، دوراً رئيسياً في توجيه حياة البلاد الوطنية والاقتصادية . ففيها تتمثل باجلى مظاهرها الطبقة الاجتماعية الناهضة . ومنها برز عـلى الاخص رجالات البلاد الناهضين وقادة الحركة الاستقلالية الذين تولوا قيادة الثورات الوطنية ، ولا سيما دعاة الاصلاح للنظام الاجتماعي والعقاري في البلاد . فكبار الملاكين وحدهم لهم من ثرواتهم الطائلة الوسائل المادية التي تمكنهم الاخذ باسباب الرقي الاجتماعي والتحسينات التي حققها العالم في الحقل الزراعي .

اما الطبقة البورجوازية في المدن والهيآت العالمية والثقافية في البلاد البولونية فهي من اعقاب كبار الملاكين وطبقة الاشراف التي يربطها بهم مساق واحد من التقاليد المشتركة، وان كانت اقل ثراء ورفاهة منها . ومن بين هاتين الطبقتين : طبقة كبار الاغنياء وطبقة الاشراف نبغ هذا الفريق النابه من مشاهير الكتاب ورجالات العلم الاعلام والفنانين العظام ورجالات السياسـة البولونية حتى اواخر القرن المنصرم .

في العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر زى معالم الثقافة والحضـارة البولونية تعم الجماهير الشعبية في البلاد بالرغم من كل القيود الرجعية التي كانت تفرضها حكومـات الدول المحتلة . واخذت النابتة في الشعب ترتاد حياض العلم عـلى مختلف درجاته الابتدائية والثانوية والجامعية ، فينبغ منها ممثلون عن الامة تهز اصواتهم الداوية ارجاء براين فترددها فينا . كذلك انجبت البلاد بعد ان نالت استقلالها عام ١٩١٨ نخبة ممتازة من رجال السياسة في العالم . وبفضل مـا يتمتع به الدستور البولوني من روح ديمقراطية استطاعت طبقة الاشراف وطبقة كبار الملاكين من الامتزاج ببعضها البعض وصهر امتيازاتها في بوتقة وطنية واحدة اطاحت بالفوارق الاجتماعية . وهذا النمو الطبيعي المطرد والسريع مكن في مستطاع التحسين الصناعي وتنشيط الهجرة مما شانه بالقدر المرغوب فيه . فتنشيط الزراعة والاخذ باساليبها الفنية الحديثة كان يحـد منه امكانيات البلاد الاقتصادية .

ولكي تتمكن الدولة من تنسيق النظام الزراعي في البلاد وتعجيل انتقال الارض الى ايدي صغار المزارعين عمد البرلمان البولوني منذ عام ١٩١٩ ، الى سن تشريع جديـد يتناول الاصلاح الزراعي ، على اساس احترام الملكية الخاصة ، ولا يقبل باستملاك عقارات كبار الملاكين الالقاء قسم من الثمن يدفعه المتملك الجديد نقداً وعداً كما يدفع القسم الآخر بنـك الدولة نفسه اسهماً مالية . وهكذا يتحتم استملاك قسم من العقار سنوياً من قبل صغار الملاكين يقدم ثمنه البنك بشرطان يستوفيه على آجال طويلة الامد . وكانت مساحة هذه العقارات المستملكة

تحدد من قبل ، سنة فسنة ، ومنطقة فمنطقة بحسب امكانيات البلاد المالية ، مع الحق للحكومة ان تحتفظ لنفسها حق اختيار المالك تجنباً للمحتكرين وتخلصاً من القطع العقارية الصغيرة الملاصقة ، فتراقب بشدة شروط كل مبيع على حدة وتدقق معاملات الانتقال والتفريغ تخلصاً من العقارات الصغيرة التي لاطائل تحتها .

وقانون الاصلاح الزراعي هذا يحدد حدا اقصى لمساحة القطعة التي لا يمكن بصورة من الصورة انقاصها او توزيعها الى قطع اخرى اصغر . وهذا الحد كان يختلف باختلاف طبيعة الارض وموقعها الاقليمي الاقتصادي فيبلغ احيانا مساحة ١٥٠ هكتاراً اذا كان العقار لا يتمتع من الوجهة الزراعية بميزات زراعية حسنة . ففي بعض الحالات الخاصة ، كما لو قام فوق الارض مثلاً مؤسسة صناعية لتحسين الزراعة وفنونها المختلفة او تأصيل الاجناس النباتية او مشاتل زراعية او مزرعة لتربية المواشي ، او عليها ابنية ذات قيمة فنية او تاريخية ، فالقانون احتاط للامر في مثل هذه الحالة ، وسلم بوجوب وجود مساحة من الارض كافية لاستثمار المؤسسة المذكورة يتعهد معها المالك القيام بمقتضيات القانون . كذلك اعفيت من التقسيم والتوزيع الاحراج واحواض تربية الاسماك وغيرها من مؤسسات الاستثمار المماثلة ، والحدائق والجنائن .

يقع تحت طائلة التقسيم والتفريق بحسب منطوق القانون الجديد : ١ الاراضي الموات والمهجور والمهملة — ٢ الاراضي المعروضة للبيع من قبل اصحابها — ٣ الاراضي الرازحة تحت الديون او تحت رسوم العوائد الاميرية او البلدية — ٤ - الفائض من الارض عن المساحة المحددة بحسب القانون للقطع الزراعية .

وكانت املاك الدولة اول ما تخضع لنظام التوزيع والتقسيم . ففي حالة اعتبار العقار وقفاً دينياً يصار الى البت فيه بموجب احكام المعاهدة المعقودة مع الكرسي الرسولي (الكونكوردات) بالاتفاق مع اصحاب الشأن من السلطات الدينية ، فتوزع الارض على المزارعين المنتمين الى ديانة المؤسسة .

اما العقارات الحاصلة من هذا التقسيم القسري او الطوعي فبعضها معدّ لتكبير العقارات الصغيرة المجاورة ، وبعضها لانشاء مزدرعات تكفي مساحتها للاستثمار . اما الابنية العقارية التي تنتقل ملكيتها من صاحبها القديم فكانت معدة لتكون مدارس زراعية او ابتدائية ، او مركزاً للادارة البلدية ، او منتدى للشعب او تصبح مع ما حولها من دغات مزارع مثالية يعود امر اعدادها الى السلطات الحالية او تباع الى بعض المزارعين الفنيين .

وعلى هذه القاعدة بلغ مجموع ما وزع من الاراضي الزراعية بين ١٩١٩—١٩٣٥ مامساحته ، ٢٦٥٤ الف هكتار كان يملكها ، من قبل ارباب الاراضي وكبار الملاكين ، وهي مساحة

تضاهي تقريباً مساحة فلسطين برمتها او ثلاثة اضعاف مساحة الجمهورية اللبنانية او ثلثي مساحة وادي النيل المأهولة . وهذه المساحة هي ثلثا ما كان يملكه سنة ١٩١٩ كبار الملاكين فتقلصت مساحة ما يملكون من ٣٣ بالمئة الى ١٤ بالمئة فاصبحت بذلك دون مستوى ما تملكه هذه الطبقة في انكلترة وهولندة .

ومن هذه المساحة المذكورة اعلاه اي ٢٦٥٤٢٦ الف هكتار ، استعمل ١٤٣١٢٨ الف هكتار لانشاء ١٥٣٢٦ الف حصة زراعية جديدة بين صغيرة ووسطى ، كما استعمل منها مقدار ١٠٠٤٢٣ هكتار آخر لتوسيع ٥٠٣ آلاف حصة زراعية وتكبيرها ، و ٢٠٠ الف هكتار غيرها خصصت في سبيل المنفعة العامة كانشاء المزارع النموذجية .

وزيادة على هذه الحصص الزراعية التي تعد بمئات الالوف والتي نشأت بفضل القانون الزراعي الجديد يوجد عدد عديد من الحصص الجديدة وزعت على المسرحين من الجيش اثر انتهاء حرب ١٩١٤ — ١٩٢٠ من الجنود والضباط المتقاعدين . فكانت تتراوح حصة الواحد منهم بين ١٠ — ٢٥ هكتار من الارض الزراعية ، تبرع بها كبار الملاكين في سبيل هؤلاء المتقاعدين الذين عُرفوا بنشاطهم ووعيهم واخلاصهم . وتمكن من ثابر منهم على انتباج هذه الحياة الهادئة الوديعة من النهوض بمزارعهم على اسس فنية حديثة ساعدت كثيراً على الازدهار الاجتماعي وبث الروح المدنية العالية في بعض المناطق المتأخرة .

لم يكن هذا التوزيع الذي اصاب اطيان كبار الملاكين بالنعمة الوحيدة التي اسبغها الاصلاح الزراعي على البلاد . فان القانون الزراعي الجديد سوّى بصورة نهائية حقوق العبودية وحقوق الارتفاق التي كانت ترهق بعض الارضين اذ قضت بتحويل زهاء ٦٠٠٠٠٠٠ هكتار من الاراضي الزراعية الى صغار الملاكين . فقد كانت السلطات الزراعية في البلاد تعمد عند الاقتضاء ، قبل كل شيء ، الى تحسين الارض عن طريق التجفيف والتقنية ، فاستطاعت ان تقوم بين ١٩١٩ — ١٩٣٩ بما يلزم من الاشغال العائدة لتصريف ٨٥٠ الف حصة زراعية تبلغ مساحتها معاً ٥٤٢٣ الف هكتار ، اي ما يوازي ضعفي مساحة فلسطين وستة اضعاف مساحة الجمهورية اللبنانية ، كما انها قامت بتحسين ٥٤٩ الف هكتار آخر منها ٢٥٠ الف هكتار كانت من قبل مستنقعات وبطاح من الغدران فاذا بها بعد هذه الاشغال مروج خضراء ومراع خصبة تدر اللبن والعسل .

اما النتائج الاقتصادية التي كللت هذا الاصلاح الاساسي للنظم الزراعية في البلاد وتوزيع الثروة العقارية فيها وما استلزم من انشاءات جبارة فقد جاءت فوق ما كان منتظراً ومرجواً لها . وقد تجلت هذه النتائج بنوع خاص بعد سنتين من تنفيذ هذا الاصلاح في تحسين حالة الفلاح من الوجهة المالية ورفع مستواه الادبي ، ولهذا قام المزارعون من كل فج وصوب في البلاد يطالبون بتعميم هذا

الاصلاح وتطبيقه في جميع المناطق .

الهيكل الزراعي في البلاد عام ١٩٣٩ — كان معدل السكان الذين يقومون بالاعمال الزراعية ، سنة ١٩٠٤ ، نحواً من ٧٤ بالمئة فاذا بهذا المعدل يهبط في الاحصاء الاخير الذي جرى سنة ١٩٣١ الى ٦٠ بالمئة وهذا يدل دلالة صريحة على مدى ما بلغته حركة الهجرة الى المدن وتجهيز البلاد بالاجهزة الصناعية .

ان ٦٤ بالمئة من سكان البلاد كانوا يعملون في الاقتصاد الوطني ولا سيما في الزراعة . وهذا لعمري، معدل عال جداً لم يكن يفوقه الا روسيا وبلغاريا ويدانيه استونيا وفنلندا، ويتفاوت معه تفاوتاً عظيما ما نراه من حالة فرنسة (٣٤،٥ بالمئة) والمانية (٢٤،٥ بالمئة) والولايات المتحدة في اميركا (٢٢ بالمئة) وبريطانيا العظمى (٥،٢ بالمئة) حتى والدانمرك المشهور عنها انها بلد زراعي من الطراز الاول (٢٧ بالمئة) . ومع ذلك ، وبالرغم من هذه النسبة المرتفعة ، نرى بولونيا ، في عام ١٩٣٨ ، يقوم اقتصادها الوطني على مزيج متسق من الزراعة والصناعة .

فالفلاحون والمزارعون في بولونيا هم سواد الامة الاعظم وركن نظامها الاجتماعي ، فالريف فيها يشكو ازدحام السكان اذ يصيب الشخص الواحد فيه ٩ — ١٠ هكتار من الاراضي الزراعية بينما يستغرق اعالته بالفعل ١،٢ هكتار . وهكذا نرى انه لم يكن في وسع القانون الزراعي الاخير ان يحل بشحطة قلم كل القضايا الزراعية الموروثة عن العهود الماضية . ان هذه الملاحظة ، وان كانت في محلها ، تزيدنا يقيناً بوجوب بذل مجهود اقوى يرمي الى تحسين طبقة المزارعين ورفع مستواهم، وهي اكبر طبقات الامة على الاطلاق واكثرها عدداً، ومورد لا ينضب للجيش ولليد العاملة في البلاد، كما انها الينبوع الذي انجب للديمقراطية تلك الطبقة المفكرة . وهنالك طريقان متوازيان لا ثالث لهما لرفع مستوى هذه الطبقة هما تحسين الهيكل الزراعي وتأصيل الاساليب الفنية الاستثمار وذلك برفع مستوى التعليم العام والتعليم الزراعي الفني فيؤول ذلك الى تحسين اصناف الانتاج الزراعي وتكييف الانتاج بحسب حاجات الاسواق الداخلية والخارجية ومقتضياتها ، من حيث الكم والنوع .

في سنة ١٩٣١ كان ٢ ، ٣٥ بالمئة من مجموع مراكز الاستثمار الزراعية تملك القدر اللازم من المساحة لتأمين الانتاج الكافي . وكانت هذه الحالة تزداد خطورة من جراء العادة الجارية التي تقضي بتوزيع الاراضي عند انتقالها بالارث وهي التي لم يتمكن اي قانون من منعها او الحؤول دون نتائجها . من الثابت ان تقسيم الاراضي التي تزيد مساحتها على ٥٠ هكتاراً كان باستطاعته ان يزيد القطع الزراعية الصغرى ثلث عددها على اكثر تعديل . غير ان هذا الحل لم يكن بالحل المعقول ومع ذلك فهو النهج الذي سارت عليه سياسة الدولة البولونية في الحقل الزراعي .

في اثناء الحرب العالمية الاخيرة اهتمت حكومة بولونيا الشرعية المقيمة في الخارج باكمال الاصلاح الزراعي الذي كانت البلاد باشرته من قبل داعية للاخذ بانشاءات تكميلية يفرضها منطق الحوادث وخبرةالماضي القريب. غير ان احتلال الروس لبولونيا حمل الحكومة الجديدة التي فرضوها على البلاد على انتاج سياسة تتأثر الى حد كبير برغبة المسيطر ومراعاة اهدافه . فحال هذا دون الاخذ بالمقررات الموضوعة . وهكذا نرى الارياف التي قاست الامرين من الاحتلال الالماني لا تزال تعاني في ظل العهد الجديد حالة مريرة تدعو الى التفكك الاقتصادي والاجتماعي .

ادارة زراعية مستقلة وحياة زراعية اجتماعية — كانت المؤسسات الاجتماعية والمستقلة التي تعنى بالزراعة في بولونيا من اقوى العوامل في تحسين الاساليب الفنية للنهوض بحياة البلاد الزراعية . يشرف على هذه المنظمات جميعها وعلى مصلحة الزراعة وزير الزراعة . وكانت المؤسسات المستقلة تتمثل بغرف الزراعة ، وعددها في البلاد ١٣ تعمل كلها في هذا الحقل بوضعها مصلحة رسمية حكومية . وكانت اللجان الزراعية في المديريات والملحقات تخضع لمصلحة الاراضي الا انها تعمل كوحدات فنية ضمن الادارة المهنية المستقلة .

وكانت الحياة الاجتماعية في البلاد تتمركز حول شبكة متصلة الحلقات من الجمعيات والنوادي والمنتديات والنقابات يضم عقدها الجمعية المركزية للمنظمات الزراعية تنتشر في طول البلاد وعرضها وتعم فروعها المختلفة جميع المقاطعات على السواء . اما تجارة المواد الزراعية فقد كان يتعاطاها كبار الشركات لاستثماريةوعدد من الشركات التعاونية يبلغ مجموعها ٧١٧ عدا ١٠ لها من فروع اقليمية وقد بلغ عدد هذه التعاونيات على اختلاف اشكالها واهدافها ٨٨٤٢ تعاونية تضم ١٠٨٨٨٠٠٠ عضو .

وكان التأمين العيني على الانتاج الزراعي اجبارياً ، يقوم بــه شركات تأمين خاصة ناجحة تعمل جميعها جنباً الى جنب مع شركة التأمين الاجتماعي ، وهي مؤسسة كبرى ضخمة متينة لها امتيازات وصلاحيات شبه رسمية تخضع لمراقبة الدولة . وكانت مؤسسة الضمان هذه تؤمن على معظم العقارات وعلى ثروة البلاد من الماشية والانتاج الزراعي كما تؤمن ضد العوارض الطبيعية واخطارها كالبرد مثلا .

علم الزراعة والتعليم الزراعي — كان في بولونيا ٨ كليات زراعية تعنى بالتعليم الزراعي الجامعي الذي يشتمل على ٨٤ مادة مختلفة تلقى دروسها على ٢٥٠٠ طالب ويقوم الى جنب هذه الكليات معهدان متوسطان من طراز خاص و ٢٢ مدرسة زراعية ثانوية بعضها من النوع المثالي و ١٦٧ مدرسة زراعية صغرى لا تستغرق الدراسة فيها اقل من عشرة اشهر . وعلاوة على ذلك

نشطت غرف الزراعة في البلاد وكثير غيرها من المؤسسات والمنظمات الزراعية الى تنظيم محاضرات على مناهج زراعية تكميلية تلقى دروسها محاضرات دورية في مناطق مختلفة يستغرق القاؤها بضعة ايام الى بضعة اسابيع .

اما الاعمال الزراعية العلمية فكانت تتمركز حول المعهد العلمي المركزي للاقتصاد الريفي يعمل فيه بصورة دائمة ٨٠ عالما اخصائياً ، وحول الكليات الزراعية الخمس المشار اليها ، ٦ مختبرات خاصة يعنى اولها ، وهو اهمها على الاطلاق، بزراعة المروج والثاني بفن الحدائق والجنائن والثالث بزراعة النباتات الطبية واثنان بتربية الحيوانات . وهنالك نحو من ٢٠ مختبرا اقليمياً تعنى جميعها ، كل في منطقته ، بالمشاكل التي يثيرها الفن الزراعي الاختباري محاولين حلها على ضوء المناهج العلمية الحديثة . وكان يعمل مع هذا الجهاز العلمي عدد من المؤسسات الفنية تنصرف الى الاهتمام بصورة خاصة بزراعة الكتان والكيمياء السكرية والكيمياء التخميرية وتربية الحرير وصناعة التبغ وبتحريات علمية تتعلق بصوف الغنم الخ . ويتولى تجهيز معظم هذه المختبرات ومدها بما يلزم من الاجهزة العلمية عدد من الجمعيات والمنظمات الصناعية سواء اشتركت الهيآت الرسمية الحكومية بذلك ام لم تشترك . وهنالك اعمال علمية اختبارية كثيرة هي موضوع عناية صناعة الاسمدة الكيماوية واملاح البوتاس والمختبرات الخاصة بتحسين انواع النبات وكانت هذه البحوث جد مرتفعة في جميع انحاء البلاد .

وكانت اثنتان من الكليات العليا تعنى بتخريج الاطباء البيطريين كما كانت مدرستان «بوليتكنيك» تنصرفان لاعداد المهندسين الزراعيين .

وهناك زهاء الفين بين مفتش ومدرب من الرجال والنساء معظمهم يحمل شهادة مهندس زراعي يتناولون مخصصاتهم واجورهم من غرف الزراعة اومن المنظمات الزراعية الاقليمية او من الشركات الزراعية او من صندوق الدولة والبلديات المختلفة يسدون النصح والارشاد الى المزارعين ويعملون معهم على تحسين الوسائل الفنية الزراعية وتجهيز البلاد بانظمة اقتصادية عصرية تؤول الى ترقية الانتاج الزراعي ومحاربة ما يهدده من الآفات والامراض والطفيليات

وجدير بالذكر ان ننوه في الختام باهمية التعليم الفني الزراعي الذي يلقى على الشبيبة الزراعية وهو منهاج خاص وضع تنظيمه واعداده على اساس النظام المتبع في الولايات المتحدة الاميركية بعد ان ادخل عليه تعديلات وتحويرات تقتضيها ضرورات المناخ وامكانيات البلاد في بولونيا .

فكانت النتائج جد مرضية . وقوام هذا التعليم الزراعي يوزع على كتائب من الشباب تضم ٨٣٠٠ شاباً .

وقد اقتبست بولونيا عن الدانمارك نفسها طراز الكليات الزراعية التي انشأتها في بلادها وهي معاهد لا تعنى في مناهجها المتنوعة الا بما له مساس مباشر بالتعليم الزراعي ، مهيئة في هذا المضمار للامة جمعاء ، « قادة » يتولون تركيز الحياة الاجتماعية في الارياف ويؤخذون على السواء بين الشبان والشابات في الاسر الزراعية .

*

الدولة البولونية وسياستها الاجتماعية



كان بولونيا خلال القرن التاسع عشر فاقدة استقلالها . فلم تتمكن والحالة هذه من انتهاج سياسة اجتماعية تتفق والاتجاهات القومية في حقلي حماية العمل والضمان الاجتماعي بنوع خاص اما الضرورة الملحة البادية للجميع والتي كان الرأي العام يطالب باتفاق الكلمة بتحقيقها فهي الحث على قطع المراحل التي اجتازها التطور الاجتماعي في البلدان الناهضة . وجدير بنا ان ننوه بالشوط الذي حققته بولونيا قبل اقتسامها في القرن الثامن عشر في مضمار الصحة العامة ، فلم يقل تنظيمها الصحي اذ ذاك رقيا عن اكمل تنظيم صحي في الدول الغربية الاخرى . فكنا نجد فيها المستشفيات والمصحات وغير ذلك من الانشاءات التي تعنى بتخفيف ويلات الانسانية وبعضها لبث قائما منذ القرن الثاني عشر حتى سنة ١٩٣٩ بدون انقطاع .

ففي ١٤ تشرين الثاني عام ١٩١٨ تسلم جوزيف بلصدسكي مقاليد الحكم ولم يمض عليه تسعة ايام في الحكم حتى طلع على البلاد باول قانون يحدد ب ٨ ساعات مدة العمل في النهار وهي القضية التي كانت كلمة السر لحركة العمال في الدول كلها .

وتبع هذا القانون قرارات اخرى ، كلها ترمي الى حماية مصالح العمال ، ولا سيما ذلك المرسوم الذي ينص فيه رئيس الدولة على وجوب احترام استقلال الحرف وحرية اصحابها التامة في الانضمام الى اتحادات العمال ونقاباتهم . وهكذا وجهت سياسة الدولة الاجتماعية منذ البدء الى تحقيق التطور الاجتماعي في البلاد ومماشاة هذه الحركة الناشطة في البلاد الاخرى وقد كانت هذه الناحية ابدا القاعدة الاساسية التي سار عليها مجلس الامة في البلاد وترسمت اهدافها الحكومات التي توالت على الحكم ، في الحقبة التي فصلت بين الحربين الكبرى الاخيرتين سواء كان في الحقل الداخلي ام في سياستها الدولية . وها نحن نضع تحت انظار القارىء الكريم صورة واضحة تامة لما حققته البلاد من هذه الانشاءات الاجتماعية بفضل يقظة الامة واقدام السلطات التشريعية الحكيمة .

معدل العمل — حدد القانون الصادر عام ١٩١٨ مدة العمل في النهار ب ٨ ساعات ومعدله في الاسبوع ٤٦ ساعة لا غير ، ثم ٤٨ ساعة سنة ١٩٣١ . الا ان القانون يخول في عدة مناسبات زيادة اوقات العمل في بعض حالات خاصة على شرط ان تدفع لهذه الساعات الاضافية اجور تتراوح بين ٢٥ — ٥٠ بالمائة من

الراتب الاساسي . اما العمال الذين يشتغلون في مناجم الفحم فمعدل عملهم اليومي يجب الا يتجاوز ٦ ساعات في النهار . كما ان القانون يوجب الراحة نهار الاحد على كل العمال ما عدا بعض حالات استثنائية تدفع عنها تعويضات مناسبة .

من المرغوب فيه جداً ان نضيف الى ما تقدم كلمة وجيزة للتنويه بالاجراءات المختلفة التي ينص عنها القانون لحسم المشاكل والقضايا التي يثيرها العمل . فالقانون البولوني يؤلف ضمانة شرعية وحماية رسمية للعامل ضد رب العمل . فالعقود والاتفاقات سواء كانت فردية ام عمومية تحدد المسائل بالتفصيل حسب مندرجات القانون . فكل من تحدثه نفسه من ارباب العمل بترك عاملاً يومياً عليه ان يخبره بذلك ١٥ يوماً قبل صرفه . واذا كان العامل مستخدماً وجب اعلامه بالامر ثلاثة اشهر قبل صرفه . وكانت نقابات العمال المهنية تتمثل باحد نوابها كل ما دعت الحاجة الى تعديل او تنقيح عقود العمل .

اما المشاكل الحـادة التي تنشب فيستدعي حلها لجاناً خاصة للتحكيم يتولى تعيينها الوزير المسؤول اذا كان الامر يتعلق بمصير الاقتصاد الوطني . وهنالك محاكم العمل الخاصة تتولى النظر في القضايا القائمة بين العمال وارباب العمل ، وهي تتألف من قاض وعضوين آخرين يجري تعيينهما بقرارمن الوزير ينتخبهما من بين لائحة من الاشخاص ترفعها نقابات العمال واتحاد ارباب العمل .

اما نظام التفتيش فامر عرفته بولونيا منذ ١٩١٩ ، يقوم على رأسه مفتش عام للشغل يرتبط رأساً بالوزير ويشرف على من دونه من المفتشين الاقليميين الذين يراقبون عن كثب تنفيذ الاحكام التي ينص عنها التشريع الاجتماعي في البلاد ، وكيفية تطبيقها من قبل العمال والعاملات . اما صلاحية المفتش فتتناول :

١ — مراقبة المنشاءات الصناعية والتثبت من توفر الشروط الصحية فيها ،
٢ — المساهمة في اعمال اللجان المؤلفة للنظر في الامتيازات التي تتقدم بها المؤسسات الصناعية ،
٣ — رئاسة لجان التحكيم ،
٤ — التدخل للنظر في المشاكل التي تعترض العامل ورب العمل .

والقانون يعترف له بحق فرض العقوبات الادارية على كل من لا يرضخ لاحكامه . كذلك بذلت الدولة البولونية مجهوداً جباراً من الوجهة الصحية العامة والاسعاف العام للتسييج حول صحة العامل اسوة بما فعلته في سبيله من الوجهة الاجتماعية ، كما سبق وصفه اعلاه . وقد سارت الادارات البلدية على غرار الدولة في هذا المضمار والكل يشد ازر القانون لا تحدثه نفسه بالخروج عليه . وصُرفت العناية بنوع خاص نحو حماية الطفل . ولا نزيد مثلاً عـلى العناية الفائقة غير « مخيمات الصيف » فقد اشترك في هذه المخيمات ، عام ١٩٣٧ اكثر من ٤٠٠،٠٠٠ ولد ، بلغ ما انفق عليها اكثر من

١٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنكاً ذهباً معظمها للترفيه عن اطفال المدن ٠

وقد ساهمت بولونيا مساهمة جديرة بالذكر في الحقل الدولي واقرت اكثر من ٢٠ اتفاقاً من الاتفاقات الدولية التي تتعلق بتنظيم العمل . وقد سارت البلاد في مضار الاصلاح الاجتماعي شوطاً بعيداً كثيراً ما ظهر فيه التشريع البولوني رائداً تترسمه اللجنة الدولية للعمل ٠ وقد تمثلت بولونيا تمثيلا بارزاً في اللجنة الادارية لمكتب العمل الدولي . وتتولى ادارة مشاكل العمل والمعونة الاجتماعية في البلاد «وزارة الاشغال العامة والمعونة الاجتماعية» ، يعاونها في ذلك معهد خاص يعنى بدرس كل ما له علاقة بقضايا العمال ومشاكلهم .

اجازات العمال واجورهم — ينص القانون على ان لكل عامل الحق ان ينعم باجازة معدلها ٨ ايام لمن اشتغل سنة واحدة ، و ١٥ يوماً لمن عمل ٣ سنوات فما فوق ٠ اما العمال القاصرون والمحترفون منهم فيحق لهم كذلك اجازة ١٧ يوماً تدفع اجرتها بشرط ان يكونوا قد ادوا عملاً ، سنة كاملة . ويحق للمستخدمين اجازة اسبوعين عن ستة اشهر عمل واجازة شهر عن سنة عمل بدون انقطاع تدفع اجورها ايضاً . فاذا ما القينا نظرة على التشريع الدولي العام نرى ان هذا التشريع لم يحدد هذه الامور الا عام ١٩٣٦ محدداً الاجازة باقصر مما ذكرنا .

حماية المرأة والاطفال والاولاد في بولونيا — كان التشريع الاجتماعي الخاص بحماية النساء والاولاد والاطفال راقياً جداً في البلاد البولونية فلم يكن يسمح للاولاد تعاطي الاعمال الصناعية قبل الخامسة عشر من سنهم كما حظر القانون على من هم بين ١٥ و ١٨ من سنهم تعاطي الاشغال الليلية او تلك التي تضر بالصحة او تهدد سلامة الاخلاق والآداب ناصاً على وجوب تمتعهم براحة ليلية لا تقل عن ١١ ساعة . كذلك نص المشترع على تأمين الاسعاف الطبي وتوفير اسبابه لليد العاملة . فقد فرض على كل مؤسسة للعمل وجوب تيسير التعليم المهني والتربية المسلكية مدة ٦ ساعات في الاسبوع الواحد تعتبر من ضمن ساعات العمل ، وبالتالي تدفع اجورها ، لكل من لا يحسنها في المعمل . وقد بلغ سنة ١٩٣٦ — ١٩٣٧ عدد الذين يتلقون هذه التربية التكميلية ٩٧٦،٠٠٠ بين ذكور واناث . اما الدستور البولوني فيجعل التعليم الزامياً بين السنة ٧ — ١٥ من سن الفرد ٠

من المستحب جداً ان نأتي هنا على ذكر مؤسسة للشبان خاصة تعنى بالشباب العاطلين عن العمل تسمى « كتائب المتطوعين للعمل » وهي منظمة تضم الشبان الذين لا عمل لهم بين ١٨ و ٢١ سنة . فكانت فرقهم تعمل صيفاً في اشغال عامة كبناء الطرقات والاقنية والالعاب الرياضية ، وشتاء يتلقون دروساً تتعلق بالثقافة العامة او بالحرف المختلفة

وكان القانون يحمي النساء العاملات ويمنع تعاطيهن الاشغال الشاقة في بعض الصناعات الصعبة

ويخصهن براحة ١١ ساعة متتابعة في اليوم ، فينص على ان تعطى الحامل منهن اجازة ٦ اسابيع قبل الوضع و ٦ بعده . وكان على المؤسسات التي يعمل فيها ١٠٠ امرأة فمافوق انتنشيء الىجانبها دار حضانة للاطفال حيث تعطى لهم كل الاسعافات الطبية اللازمة الى ان يبلغوا ١٥ شهراً . في بعض الحالات مثلاً كان يقوم مقام دور الحضانة هذه « مراكز صحية » ينال الطفل فيها كما تنال امه ايضاً ، كل الاسعافات الضرورية باشراف الهيآت المختصة .

وجدير بالذكر التنويه بان قرارات المؤتمر الدولي للعمل التي لها علاقة بالامهات والاطفالهي على وجه الاجمال ، اقل سخاء من التشريع البولوني بهذا الصدد .

اما فيما يتعلق بالصحة والضمان الاجتماعي فاننا نرى معامل كثيرة تؤمن لعمالها حياتهم وصحتهم عملاً باحكام القانون البولوني . وكان الضمان الاجتماعي في بولونيا موضوع عناية الشارع البولوني نعمت به الطبقة الكادحة اذ نص القانون البولوني على وجوب الاهتمام بالعامل والتأمين علىحياته وراحته ومصالحه بطرق مختلفة ووسائل شتىمنها التأمينضد الامراض، وهو تدبير اجباري يتناول كل العمال على السواء الذين لا يقل مرتبهم الشهري عن ٧٢٥ فرنكاً بولونياً ، كانت قيمته تعادل ، عام ١٩٢٤ ، الفرنك السويسراني . ففي حالة المرض يحق للعامل المؤمن عليه جميع الاسعافات الطبية المجانية : من معاينة طبية وادوية ومستشفى ، كما يناله ٥٠ بالمئة من مرتبه الشهري مدة بقائه مريضاً ٢٦ اسبوعاً ، تتناول اثناءها عائلته تعويضاتها ايضاً مدة ١٣ اسبوعاً من مرضه . وكان معدل ما يقتطع من مرتب العامل لقاء هذا التأمين ٦ ، ٤ بالمئة بينما يقتطع من مرتب المستخدم ٥ بالمئة لا غير . يدفع هذا المبلغ مناصفة العامل المؤمن عليه وارباب الاعمال .

اما التأمين ضد حوادث العمال والامراض المهنية ، فكان القانون ينص على ان للعامل المصاب الحق بان ينال تعويضاً كافياً اذا كانت نقصت مقدرته على العمل ١٠ بالمئة اما في حال فقدانه هذه المقدرة تماماً فله الحق ان ينال ثلثي اجره السنوي او ١٠٠ بالمئـــة اذا كان لا يزال بحاجة الى الضمان عن حياته . وعلى ارباب العمل ان يؤدوا عوائد التأمين هذه دفعة واحدة بعد ان يصير تحديدها على اساس درجة الخطر على المهنة .

التأمين ضد الشيخوخة وفقدان المقدرة على العمل — كل عامل اومستخدم اصبح غير قادر على العمل لسبب من الاسباب او بلغ حدود السن المعينة وهي ٦٥ ، له الحق ان يتقاضى تعويضاً مناسبا على شرط ان يكون سبق له فدفع بدلا معيناً في مدة ما من حياته في العمل ينص عليها القانون (٢٠٠ اسبوع للعامل و ٦٠ شهراً للمستخدم) . ويبلغ معدل هذا البدل ٨ بالمئة من اجر المستخدم و ٢ ، ٥ بالمئة من مرتب العامل ، يدفع صاحب العمل من اصلها ، ما يتراوح بين ٤٠ — ٦٠ بالمئة ، اما التعويض المقطوع الذي يحق له فيبلغ خمسي معدل مرتب

المستخدم و ٨٠ بالمئة من معدل اجر العامل .

التأمين الالزامي ضد البطالة — التأمين ضد البطالة اجباري الزامي . كل عامل فوق ١٦ سنة من عمره يجب ان يكون مؤمناً ضد البطالة، ما عدا الذين يعملون منهم في النحالة او يستخدمون في المنازل . ففي حال البطالة يتقاضى المؤمن عليه اجراً مدة ١٣ اسبوعاً، على شرط ان يكون امّن على نفسه في السنة السابقة مدة ٢٦ اسبوعاً ، وان لا يكون هو نفسه سبباً لهذه البطالة وان يكون مستعداً لقبول شروط العمل الجديد الذي يعرض عليه . ويحدد الضمان على المستخدم على اساس ان يكون سبق له فدفع عوائد التأمين مدة ١٢ شهراً من اصل السنتين الاخيرتين التي قضاها في العمل . واذ ذاك يحق له تناول التعويض المامين بين ٦ و ٩ اشهر. اما عوائد التأمين فقيمتها ٢ بالمئة تدفع مناصفة بين المستخدم ورب العمل .

واليك الان بعض ارقام عامة تبين لك النتائج العظيمة التي حققها قانون التأمين والضمان الاجتماعي . فقد بلغ سنة ١٩٣٨ عدد المؤمنين ضد الامراض ٢٥٤٠٠٠ ، ٢ نسمة والمؤمنين ضد حوادث العمل في السنة نفسها ٢٧٣٠٠٠ ، ٢ نسمة . ففي عام ١٩٣٧ بلغ عدد العمال الذين استفادوا من احكام هذا القانون اي في ما يتعلق بالتأمين على الشيخوخة وفقدان المقدرة على العمل ٣٠٠٠٠ ، ٣٠ مستخدم و ٠٠٠ ، ٢٣٢ عامل تقريباً .

وقد تجلت منافع التشريع الاجتماعي الخاص بالعامل في نواح متعددة اخرى ، ولاسيما في الاحكام العامة التي تنص على وجوب تحرير عقود فردية واجمالية في العمل ، ولجان التحكيم واجراء التفتيش ومحاكم العمال، الخ . وقد مثلت نقابات العمال في هذا الصدد دوراً حاسماً ودئبت على شد اواصر الروابط بينها وبين الاعضاء . اذ كثيراً ما كانت تدعوهم الى عقد الاجتماعات العامة للبحث في كل ما يتعلق بمشاكلهم .

وكانت نقابات العمال هذه تعد الواحدة منها في عام ١٩٣٩، نحواً من ١٦٦٠٠٠٠ عضو . ومع ان هذه المنظمات كانت تمتنع عن كل نشاط سياسي فهي مع ذلك ، تعتبر من الوجهة الفكرية ، عضداً لبعض الاحزاب السياسية في البلاد : كالحزب الاشتراكي مثلا، والحزب الوطني والحزب المسيحي الديمقراطي . وما كانت الاعتصابات العامة لتقوم وتعلن الا بايعاز من هذه النقابات وهي سلاحها الماضي للجهاد في سبيل تحسين حالة العامل ورفع مستواه . فاذا ما قارنا بين حالة العامل في بولونيا وحالته في الدول الاجمالية المجاورة رأيناه اعلا مستوىً واحسن حالاً واكثر حرية من اخيه في تلك البلاد التي ترزح تحت وطأه الدكتاتورية الطاغية . وكانت منظمات العمال الكبرى في بولونيا تولي الناحية الادبية في العامل وثقافته العامة شطراً كبيراً من عنايتها . ولنا دليل على ذلك مثلا «جمعية كليات العمال» ، وكلها صادرة عن الحركة الاشتراكية .

ومن اهم القضايا التي تثيرها مسألة العامل السكن او المنزل . فقد قطعت بولونيا هنا، كما في غيرها من قضايا العمل، شوطاً قصياً في امر تحسين العامل والمستخدم والترفيه عنها . ومما كان يزيد هذه المشكلة تعقيداً هو اضطراد نمو عدد السكان سنة فسنة ولاسيا بين طبقة الفلاحين. فقام المصرف الاقتصادي الوطني يعنى قبل غيره بحل هذه المشكلة واخذ بانشاء مساكن صغيرة للعمال يبيعها منهم على آجال طويلة فكان بذلك عاملاً قوياً وعنصراً حاسماً في رفع مستوى العامل. وقد بلغ عام ١٩٣٨، مجموع الاعتمادات المخصصة لبناء المساكن للعمال ٨٤٠٠٠٠٠٠٠ زلوطي سنويا ووضع تحت تصرفهم ٤٥٣٠٠٠ غرفة صالحة للسكن . وكان المسكن يتألف على الغالب من غرفة او غرفتين مع منتفعاتها وما اليها من المرافق الحديثة . وكانوا يعمدون حسبما تسمح به ظروف الحال الى تشييد الابنية الضخمة او بيوت صغيرة مع حديقة الى جانب البيت .

وكان يشد ازر الدولة والبلديات في مجهودها هذا شركة خاصة تعنى بانشاء المساكن للعمال . وقد ساعد على ذلك الازدهار الصناعي في البلاد وانشاء «المنطقة الصناعية المركزية» التي كثيراً ما كانت تأخذ على نفسها ليس فقط انشاء احياء برمتها في مدينة ما، بل مدن برمتها بعد ان تضع خططها العامة حسب مقتضيات فن تجميل المدن الحديث .

ولكي نعطي القارىء الكريم فكرة صحيحة عن مستوى حياة العامل البولوني، نضع تحت انظاره جدولاً لميزانيته العامة ووجوه صرفها وانفاقها في السنة وتوزيعها على هذه الوجوه بالنسبة المئوية، مقارنين بينها وبين ميزانية العامل في بعض البلدان الاجنبية

	المأكل والشرب والتبغ	المسكن	التدفئة والنور	الكسوة والثياب	مختلف
بولونيا :	٦٦٫٢ بالمائة	٦٫٤٠ بالمائة	٤٫٥ بالمائة	١٠٫٩ بالمائة	١٢ بالمائة
بلجيكا :	٥٩٫٦ بالمائة	٦٫١٠ بالمائة	٥ بالمائة	١٥٫٨ بالمائة	١٣٫٢٠ بالمائة
المانيا :	٤٦٫٦ بالمائة	١٠٫٦ بالمائة	٣٫٨ بالمائة	١٣٫٥ بالمائة	٢٥٫٥ بالمائة
الولايات المتحدة	٣٦٫٧ بالمائة	٢١٫١ بالمائة	٤٫٩٠ بالمائة	١١٫١ بالمائة	٢٦٫٢ بالمائة

وبلغ معدل مقطوعية العامل الواحد في السنة كما يلي من الكيلو غراماً

خبز	مواد طحينية	بطاطا	خضراوات	حليب	لحم	زبدة وسمن	سكر	فاكهة
١٦٣٫٦	٢٨٫٩	١٩٫٦	٥٤٫٩	٦٤٫٨	٣٠٫٧	١١٫٥	٢٠٫١	٤

وكان العامل البولوني موضوع اعتبار الجميع. فالكل يثنون على مقدرته ويطرون صفاته الحسنى سواء في بلاده ام في المهاجر التي يهبطها . فاسمع ما يقوله بهذا الصدد احد كبار رجال المال والصناعة في الولايات المتحدة هو هنري فورد: «يمكن لنا ان نبدي على اضواء التاريخ حكماً عدلاً على مقدرة المزارعين البولونيين ونشاطهم اذ انهم نهضوا احقاباً متطاولة بجهود بولونيا التمديني

وشيدوا نهضتها الاقتصادية ولاسيا في تلك المنطقة الواقعة بين خط كيرزون ونهر الدنيبر »

وبالرغم من المجهود العظيم الذي نهضت به البلاد البولونية بين ١٩١٩ و ١٩٣٩ لتحقيق اهداف سياستها الاجتماعية فهي مع ذلك لم تستطع تجهيز المشاريع الكبرى التي وضعتها والخروج بها الى حيز الوجود الا بصورة جزئية . فقد بذلت الامة جهوداً صادقة لتحسين الظروف التي تلابس حياة العامل في الصناعة والتجارة والمهن الحرة ولاسيا في المدن الكبرى ، بينما كانت البلاد منصرفة برمتها الى انجاز مشروع جبار يرمي الى الترفيه عن العمال في الارياف كما يستهدف العاملين منهم في المزدرعات الكبرى ام كانوا من صغار الملاكين . وقد آل الاصلاح الزراعي في البلاد بنوع خاص الى النهوض ، عاماً بعد عام ، بذلك النظام الزراعي الاشوه الذي ورثته سنة ١٩١٨ وكان العزم معقوداً في جميع الجهات على الترفية عن حالة السكان في الارياف والتمتع هم ايضاً بما يتمتع به سكان المدن من نعم هذا الاصلاح ومنافعه الكبرى .

لامراء بان العمال الذين يعملون في الزراعة كان لهم ماللغير من الحقوق والحريات التي ينص عنها القانون كحرية التكتل ، والتحكيم والتعاقد والحماية والتفتيش ، الى غير ذلك . غير ان قضية الضمان والتأمين على الحياة لم تكن اتسعت بين المزارعين على قدر ما انتشرت معه بين الاوساط الصناعية .

وقد نص الدستور البولوني الذي صار اعلانه عام ١٩٣٥ ، في مادته الثامنة : « على ان العمل هو اساس تقدم الجمهورية البولونية ورقيها وعلى ان الدولة تؤمن حماية العمل ومراقبة حالاته » .

وقد جاء في المادة الثالثة منه ما نصه : « تؤمن الدولة لجميع المواطنين على السواء كل ما يؤول الى ترقية مؤهلاتهم الشخصية كما تؤمن لهم حرية الضمير والكلام والتكتل » .

هذه هي المبادىء العامة التي الهمت سياسة بولونيا منذ بعثها عام ١٩١٨ ، فكانت روحاً لتلك القرارات التي اصدرها رئيس الدولة جوزيف بلصدسكي بين ١٩١٨ — ١٩١٩ كما كانت اساساً لدستور البلاد المعلن سنة ١٩١٩ . وقد سارت الحكومات البولونية التي توالت على الحكم في البلاد بين ١٩١٩ — ١٩٣٩ على هذه المبادىء . القوية يشد ازرها الامة جمعاء في تحقيق ذلك الاصلاح الاجتماعي الذي استهدف النهوض بمقدرات البلاد ورفع مستواها ، فاذا ببولونيا تسير صعداً في مضمار الرقي والنجاح وتجلي على الكثيرين من الدول الكبرى في اوروبة جمعاء بل في العالم باسره

مظاهر الحضارة البولونية

اللغة



اللغة البولونية هي احد اللغات الغربية السلافية . فهي واللغات السلوفاكية والتشيكية شقيقات تكالب الالمان على محوها والقضاء عليها اثناء اجيال طويلة . فهي تبدو قديمة اذا ما قيست بالانكليزية والفرنسية اتبعت في تطورها نحو الكلاسيكية ما اتبعته اليونانية واللاتينية من قبل . ولعلها الوحيدة بين اللغات السلافية التي لها ماض مجيد يمتد الف سنة في امة مستقلة . وبفضل هذا التطور الالفي وتأثير اللغة اليونانية اكتملت خصائص هذه اللغة وصار في استطاعتها التعبير عن مناحي الفكر مهما دقت وعن منازع النفس مهما استرقت . تبلورت منذ عدة اجيال ولم يطرأ عليها تغييرات جوهرية هامة. وهكذا نستطيع ان ندرك دونما عناء او جهد اي نص من نصوص آثار القرن الثالث عشر الادبية .

نوهنا بأثر اللاتينية على البولونية . فقد كان عظيماً بالغاً منذ الاجيال الوسطى . وقد تفاعلت اللغة البولونية ايضاً في تلك العصور بالتشيكية والالمانية كالاتراك تتفاعل في عصرنا هذا بالفرنسية الحديثة تأخذ منها اوضاعاً جديدة واصطلاحات كثيرة . كذلك ان ما قام بين بولونيا من جهة والاتراك والتتر من جهة اخرى مكّن اللغة البولونية من اقتباس مفردات شرقية الاصل والمدلول مثل ميدان (Maydane) ومسجد(Metchète) عن العربية ،وباشا وجوبان عن التركية . كذلك نرى اللغة البولونية ينتقل كثير من الفاظها وتعابيرها الى ما جاورها من اللغات كالليتوانية والاوكرانية والبيلوروسية والرومانية .

هنالك لهجات متعددة تشتق من البولونية وآدابها ليس من العسير فهمها بل تحوي كثيراً من التعابير والاصطلاحات الحلوة التي كثيراً ما ترد تحت اقلام الكتاب البولونيين فتدخل على اللغة شيئاً من الجدة معنىً ومبنىً . ولعل اهم هذه اللهجات اللهجة الكسّوبية التي يتكلمها سكان بوميرانيا وشواطىء البلطيق ، واللهجة البودالية (Podhale) الرائجة في الكربات وكلاهما يذخر بثروة طائلة من الآدب الشعبية والاناشيد الوطنية والاقاصيص القومية تنتفض حياة تحت اقلام كتاب وشعراء مرموقين امثال دردوفسكي وميكوفسكي .

اما القلم والخط المستعمل في البولونية فهو القلم والخط اللاتيني . فالصوتية من حروفها الابجدية مبسطة هينة على عكس الحروف الاخرى التي يتطلب النطق بها حركات واشكالاً او جمع عدة حروف في مقطع واحد يبدو في الظاهر من الصعب التلفظ والنطق بها مجتمعة .

وقد عني العلماء البولونيون بفقه لغتهم وفلسفتها منذ عصر النهضة والانبعاث في الغرب . فضبط نحو اللغة وصرفها الاب كوبتشيفنسكي ووضع العلامة لنده (Lindé) اعظم معجم لغوي في البولونية وهو يشبه في كثير من وجوهه معجم ليتره باللغة الفرنسية. ونبغ في الألسُنيَّة البولونية وعلم اللغات المقارن العالم البولوني الاب مالينوفسكي الذي نبه في اواسط القرن التاسع عشر يوم ازدهرت المدرسة الرومنطيقية ، فقد كان يحسن كل اللغات الهندوروبية ولم تعتم جامعتا كراكوفيا ولفوف ان اصبحتا منائر الالسنية السلافية في الغرب نبه فيها العالم مالتسكي واشتهر بين علماء اللغات في بدء القرن العشرين بروخنر (Brukner) وبولدوين ده كورتناى وكرينسكي (Krynski) وكالوفتش (Karlowicz) وضعوا معاجم هامة للغة « كمعجم فارصوفيا » وآخر للهجات او لعلم الاشتقاق . ولعل اهم عمل علمي قام في بولونيا هو الموسوعة المشهورة التي وضعها العالمان استريخر (Estreicher) الاب والابن (وقد قتل الالمان الابن سنة ١٩٤٠) وهو مؤلف يبحث ليس فقط امور اللغة البولونية بل كل ما يتعلق بالآداب والعلوم.

اما المكتبة البولونية وحركة الطباعة والنشر باللغة البولونية فقد وضعها فهارس ببلو غرافية عامة احصت ما اخرجته المطابع من آثار الفكر سواء في بولونيا ام في خارج البلاد .

نظرة عجلى الى الآداب البولونية في القرنين التاسع عشر والعشرين

المميزات العامة — يتجلى الفكر البولوني ومساهمته في الحضارة العالمية ، في الادب اكثر منه في الفلسفة المجردة والابحاث الفلسفية المحضة . عالج الشعراء والكتاب البولونيون في آثاهم الكتابية ، اكثر ما عالجوا القضايا الانسانية الكبرى التي تمت الى الدين بسبب متين كما تتصل بمصير الانسان وقضاياه الشاملة ومصائر المخلوقات الاخرى . ان ما انتاب الوطن البولوني الام من المحن والويلات على ممر السنين والايام فازهق منه الاستقلال ، جعل حملة الاقلام البولونيين يعتكفون على دراسة مشاكل هذا الوطن ، وينظرون الى بعث الامة البولونية الشهيدة واقرار مستقبلها ، بنفس تذوب لوعة واسى . تلك هي السمة التي تميز طابع الآداب البولونية ، هذه الآداب التي كانت على سبب وثيق من الاتصال بالمجاري الفكرية في الغرب .

والنشيد البولوني الوطني الذي يدوي بين اعماق الصدور : «بولونيا لم تمت بعد » ألم يضعه المواطن ويبتسكي عام ١٧٩٧ ، وهو الذي رأى النور يوماً في دانتزيغ الالمانية وقام بتلحينه الموسيقار اومنسكي فكان عند ظهوره لحناً حماسياً ملأ اعطاف تلك الكتائب البولونية ، وهي تذرع اوروبة في خدمة الثورة الفرنسية تحريرا للامم وخلاصا للشعوب .

اما الادب في « دوقية فارصوفيا » اما النظرية الادبية في « مملكة بولونيا » احدى صنائع موتمر فينة ومبتكراته ، وكلا الوضعين الجغرافيين مرادفان لتلك المملكة التي عرفت الاستقلال ونعمت طويلًا بخيراته ، فهو الادب في عصوره الزواهي الزواهر : القديم منه وقد نسج على غراره الشعراء المحدثون ، والحديث ممثلًا بالقرن السابع عشر ، العصر الذهبي للاداب الفرنسية . فلم يبق من تلك الاثار سوى نشيد تتجاوب انغامه ضمائر الاجيال الناشئة .

المدرسة الرومانطيقية — بدأ الاشعاع الادبي في بولونيا منذ ظهور المدرسة الرومانطيقية . والمراد بهذا الاسم تلك النزعة التي كانت ترمي الى التحرر من قواعد «هوراس» والانعتاق من مقاييس «بوالو» المتحجرة ، هذه النزعة التي تدعو الى الفردية ، الى التجلي ، الى الانطلاق ، الى بعث روح الاجيال الوسطى ، وبعث الآداب والتقاليد الشعبية . فاحتلت العاطفة المقام الاول

الرفيع وغدت المخيلة ، سيدة مطلقة تترسم الادب الانكليزي في روائع بيرون وكاسيان ، كما تترسم غرر الادب الالماني ، وتعبّ من الشرق ووحي الشرق ، ما شاء لها الحب . ففي ظلال هذه المدرسة وتحت افيائها الوارفة انجب الادب البولوني خير من انجب من جبابرة الفن ونوابغ الفكر .

وفي مقدمة هؤلاء الخالدين الشاعر المبدع آدم متسكيوفتش (Mickiewicz) (١٧٩٨ — ١٨٥٥) الذي نشر ديوانه الاول سنة ١٨٢٢ ، فاذا به يحلق في العلاء يغنينا شعراً هو السحر الحلال . واذا باسلوبه الرائع كالقضاء المحتوم يدك « العصر الكلاسيكي » دكاً .

وبين المجلين ايضاً من رواد هذه المدرسة وقادتها الشاعر الملهم ملتشوفسكي الذي اختطه المنون وهو بعد لم يشب عن الطوق . فترك لنا قصيدته الرائعة « ماريا » (١٨٢٦) وما فيها من وصف ممتع .

وانجبت هذه المدرسة الناقد الفني موخناتسكي المتوفى سنة ١٨٣٤ ، اما متسكيوفتش فقد تناقلت عليه وطأة الاضطهاد من قبل السلطات القيصرية فأبعد منفياً الى روسيا ، وهو دوماً في اشتياق وحنين الى الحرية يغنيها بعبارة تذوب رقـة وتوطد بينه وبين الدعاة الى الثورة اواصر الصداقة الى ان أُفرج عنه ففرّ الى الخارج (١٨٢٩) . ومن آثاره الطيبة : « اغاني القرم» و مأساة «دزيادة» ونشيد آخر بعنوان « كونراد فالنرود » عبر فيه عمـا يختلج به قلبه من صادق الوطنية واضعاً تحت الانظار جهاد الاجيال الوسطى ضد الالمان الطغاة .

انطلقت الثورة الوطنية الكبرى ١٨٣٠ — ١٨٣١ فانطلق معهـا الحماس الوطني كالمرجل المتأجج . وكان من نتائج مصيرها المشؤوم ان قام البولونيون ينزحون عن بلادهم زرفات ووحدانا ووجهتهم فرنسا . فكتب متسكيوفتش القسم الثالث من ملحمته « دزيادة » التي تنتفض حماساً ووطنية وتسمو بالنفس على انغام من الرمزية كأنها وحي الانبياء . فتغنى ببولونيا ، هـذا البلد العزيز المضطهد الذي اشبه ما يكون بالسيد المسيح بين الامم ، اذ قضي عليه ان يتألم من اجل البشر ويموت ليبعث حياً يوم يبزغ فجر الحرية امام جميع الشعوب . هذه هي الفكرة الجديدة التي رددتها قيثارة الشاعر فاذا بها رجع صدى تتجاوبها النفوس الظمأى الى الحرية والانطلاق . وبامثال هذه الافكار يعبق جو ذلك الكتاب المشهور في الادب البولوني «دليل الحج الى بولونيا» الذي كان يملاء نفس الكاتب الفرنسي«لامنيه»غبطة وحبوراً .

وعلى نهج هذه الرمزية يسوق الشعر الرومانطيقي البولوني السفيانية البولونية . والمراد بهذا التعريف الايمان بذلك العصر المتميز بالروح المسيحية الذي سيشرق يوما ما ، وهو قريب ، على الشعب البولوني المختار من الله ليضطلع ، بعد نجاته من آلامه المبرحة ، برسالته المثلى في تحقيق

ذلك العصر المبارك العتيد .

فالبولونيون— على رأي الشعراء السفيانيين منهم — مهددون بفقدان رسالتهم الازلية اذا ما اقتصروا ، على السلبية ، ينتظرون صابرين بزوغ فجر ذلك العهد المرتجى . فعليهم ان يغادروا منازلهم مجدّين في اثر الشر لعلهم يقضون عليه الى الابد . فيقطعون دابره عن وجه الارض . ولذا وجب عليهم مجاهدة النفس وحملها على التجمل بالفضائل والمناقب السفيانية .

ويتجه متسكيوفتش مخاطباً ابناء وطنه المغتربين قائلاً : «كلما اقبلنا على النفس نستكمل فضائلها وننهض بها ظاهرنا هذا الجهاد في سنّ شرائعنا وبسط حدودنا المستقبلة .

فهذه الدعوة الملحفة الى العمل ، الى التكمل النفساني في الفرد، الى الوقوف في وجه البطل ومقاتلة الشر، هي ابرز صفات السفيانية البولونية فتطبعها بطابع خاص فارق يميزها عن المهدية اليهودية وعن سلبية تولستوي في روسيا الذي يدعو الى عدم مقاومة الشر .

في عام ١٨٣٤ نشر متسكيوفتش قصيدته الحماسية وعنوانها « السيد تداوس » اتى فيها على وصف الحياة الريفية في ليتوانية البولونية ابان ١٨١٢ ، معيداً الى الاذهان مـا كانت عليه تلك البطاح من مسرح فسيح وذكريات الملحمة النابوليونية . فالقصيدة صورة رائعة لما يعانيه اشراف البلاد من جهاد مضن مذيب، الهبت النفوس واذكت الحماس في الصدور . وقـد طلع طلع علينا فيما بعد بقصائد اقل توفيقاً مما ذكرنا ، منها « اغنية الشباب » « و نشيد الفارس » والقصيدة الاخيرة حياء لذكر الرحالة البولوني ريجوفكس الذي طاف في الشرق فلقب «امير الامراء» او « تاج الفخر». كذلك ترجم احدى روائع بيرون المسماة « جياور » .

وقد حلت بالشعر البولوني نكبة تأثر لها عندما هجر الشاعر متسكيوفتش الشعر في العشرين سنة التالية من حياته وانصرف الى العمل في حقل الصحافة . وعين بين ١٨٤٠ — ١٨٤٤ استاذاً للغات السلافية في كلية فرنسا . فوضع كتابه « تاريخ الادب السلافي » وهو كتاب عرف بدقة النقد وامتاز بتلك الاراء التحليلية الواسعة وبنزاهة احكامه ، فكـان اول كتاب من نوعه لفت اليه الانظار . وفي عام ١٨٤٢ اتصل بمواطنه توانسكي الذي كان ذا اثر سيء عليـه وبقي تحت تأثير نفوذه حتى سنة ١٨٤٨، عهد الثورة الفرنسية الثانية، فراح ينفخ في بوقها . ثم توجه الى روما وانصرف فيها الى تأليف فرقة تساهم في تحرير البـلاد من نير النمساويين ، ولم يلبث ان عاد الى باريس حيث ترأس تحرير مجـلة « منبر الشعوب » التي عرفت بنزعتها الثورية . وتوفي في استانبول خلال حرب القرم وقد جاءها مساهماً في الدفاع عن حرية بولونيا .

وعلى عكس ذلك جاءت حياة زميله ورصيفه الشاعر الملهم جول سلوفاتسكي (١٨٠٩— ١٨٤٩) الذي هاجر الى باريس ١٨٣٤ وهو يتأبط دواوين من شعره المتين الذي امتاز بالقوة مبنىً ومعنىً وارتفع الى اجواء من الفكر قلما ارتادها شاعر من قبل، متلاعباً باللغة والفاظها تلاعب الولد

بالكرة. وقد استلهم في كثير من موضوعاته الشعرية الشرق. من ذلك قصدته « الراهب والاعرابي » ووضع مسرحيتين، احداهما بعنوان « ماري ستيوارت » ابلغ فيهـا اسمى درجات التوفيق والنجاح فكان اكبر شاعر مسرحي على الاطلاق في بولونيا . ولعل اهم حادث في حياته رحلته الى ايطاليا والشرق سنة ١٨٣٦ — ١٨٣٧ ، زائراً نابولي واليونان ومصر حتى منطقة الشلالات . ومن هناك هبط القدس فزار لبنان واقام في بيروت ونزل مـدة في دير مار طانيوس في بيت خشبو بالقرب من غزير . وقد كان لليلة التي قضاها على مقربة من قبر السيد المسيح اثر بينٌ في نفسه ، فاصبح ورعاً وعـاد اليه ايمانه بفضل عناية المرسل الاب «ريلو» اليسوعي في بيروت . فكتب في بلدة العريش قصيدته المعنونة : « والد الموبوئين » وصف فيها حال ذلك الاب العاثر والمنكود الحظ الذي فقد كل عائلته وهو في الحجر الصحي . ووضع في بيت خشبو قصته المعنونة : « انهاليّ » رسم فيها بريشته الدقيقة صورة قاتمة من صور سيبيريا المظلمة حيث يقاسي المنفيون من البولونيين الامرين .

وبعد مكث وجيز الامد في فلورنسا عاد سلوفاتسكي عام ١٨٣٨ راجعاً الى باريس حيث بقي الى ان وافاه الاجل المحتوم ، مغادراً لها لوقت قصير ، فقصد بولونيا البروسيانية حيث اتيح له ان يرى ، سنة ١٨٤٨ ، امه الحنون . فنشر على التوالي آثاره الادبية التي سبق له ان وضعها من قبل ، منهـا ذلك النشيد المفعم بالحب وعنوانه : « الى سويسرة » ومسرحياته المشهورة « مازيبا » بلاديا وللا » . فيرينا في الاولى ، مشهداً مـن البطولة الرائعة في زعيم القوزاق . وهذه المسرحية هي من طرائف الادب الغوالي في الآداب العالمية امتازت بما فيها من وصف الالم المبرح والتحليل لاغوار النفس القصية

اما الروايتان الاخريان فترسمان صوراً مختلفة من الاساطير البولونية التي تغمر تاريخ بولونيا البدائي ، لا سيما رواية «للا» فتصور لنا مأساة شعب محتضر . يشير فيها من طرف خفي الى ثورة ١٨٣٠ الاليمة . وقد قابل النقد الفني هذه الآثار الرائعة بعداء ظاهر متجاهلاً مـا ينبض فيها مـن عناصر الفن والاجادة كما قابلها الجمهور بشي كثير من اللامبالاة وعدم الاكتراث . ففي المأساة من عناصر العقدة ما نجده منها في مسرحية «دون جوان» التي وضعها بيرون .

و عام ١٨٤٢ نجد سلوفاتسكي يسير في تيار تويانسكي . ففي هذه الحقبة مـن حياته نراه ينزع نزعة صوفية ساعدته على وضع خيرما عنده من آثاره الشعرية وهي عبارة عن عدة مسرحيات نشر منها اثنتين واخفى الثالثة منها منحى الشاعر الاسباني «كالديرون» في روايته « الامير الدائم » بعد ان اصبحت آثار هذا الشاعر اكثر الكتب مطالعة عنده بعد التوراة ، ولم يكد تظهر نظرية التطور والنشو حتى اقبل عليها سلوفاتسكي بكل جوارحه واضعاً نظريات المذهب الجديد

نصب عينه في روايته « تكوين الروح » فوصف فيها نشوء الحياة وتطورها ، وتجلت في هـذا الاثر الخالد علو مرتبة النفس . وقـد جرب ان يطبق المذهب التحولي الذي اعتنقه صادقاً في كتابه العظيم الذي وضعه شعرا عن تاريخ بولونيا . فنشر القسم الاول منه واتم وضع الباقي دون ان ينشره في حياته، اذ فاجأه الموت وهو في ابان نضجه الادبي . ولعل هذه المجموعة الشعرية هي اروع ما دبجته يراعة هذا الشاعر الخالد فامتازت بنصوع الاسلوب وسلاسة اللغة وسمو الشاعرية .

وبعد وفاة سلوفاتسكي بوقت طويل ظهرت طبعة كاملة لجميع مؤلفاته ومنها رسائله الى امه، ولعل هذه المجموعة هي اوفى مجموعة رسائل في الادب البولوني على الاطلاق .

فكلا الشاعرين متسكيوفتش وسلوفاتسكي يمثلان سدرة الكمال في الادب البولوني ، غنى احدهما العاطفة الملتهبة وامتطى الثاني اجنحة الخيال محلقاً في اجواء مـن النور والتسامي . ولا يزال الى اليوم اثرهما ظاهراً في الاجيال البولونية المرتفعة ، حياً في النفوس كما كان من مائة سنة خلت . وتبلورت تحت ريشتهما نفس بولونيا فأوصلاها مجلوة تتلألأ بالامجاد المشرقات الى الامة . وهما يرقدان اليوم بغبطة في الاقبية الملكية القائمة تحت كاتدرائية كراكوفيا .

ومن عباقرة الادب البولوني وأحد مفاخره المجيدة الشاعر المفلق سيجسموند كرازنسكي (١٨١٢ — ١٨٥٩) . من آثاره الخالدة مسرحيتان رائعتان ، احداهما « الملهاة بدون الله » فيهـا وصف آخاذ لاصطراع الطبقات والاخرى « اريذيون » وهو بطل يوناني من ابطال القرن الثالث قام يثأر لوطنه من الرومان . فكلا المطلبين : حرب الطبقات والانتقام، تنبي عنها اقوال السيد المسيح . امتاز كل منهما بقوة الابتكار ووصف رائع للاخلاق والبطولة وبتلك المشاعر الملتهبة التي يقتضيها سمو الموضوع . ولهذا الكاتب آثار كثيرة بين الشعر والنثر غير ان ما جاد به قلمه بعد هـاتين المسرحيتين يقصر جداً عن اللحاق بما اتصفتـا به من الابداع والابتكار . الا انه اعتنق في آخر عهده فلسفة «هيجل» وانغمس فيها حتى لفه النسيان او كاد .

اما في وقتنا الاخير هذا فزعامة الشعر غير المنازعة للشاعر البعيد الصيت «كبريانوس نورفيد» (٨٢١ — ١٨٨٣) . اقام معظم حياته في باريس وقام برحلة قصيرة الى اميركا سداها الفقر ولحمتها المصائب . ولم ينشر في حياته من آثاره الادبية سوى قسم ضئيل . وما اطل القرن العشرين حتى قام احد الناشرين ينشر معظم آثار هذا الشاعر بينها قصائد غنائية تغنى بها بذكر الامير عبد القادر وغيرها كثير امثال «بيانو شوبين» خلّد فيها ذكر الجنرال «بيم» (Bem) الذي توفي حلماً كان حلب في اواسط القرن التاسع عشر . وبين هذه الآثار قصص وحكايات ومسرحيات . ومجمل القول ان نورفيد امتاز بتفكيره العميق وفلسفته الشعرية . فهو كاثوليكي صميم ينظر الى الكون نظرة ملؤها الشمول ، لغته مشرقة دقيقة الفهم، ادخل التحليل النفسي على اشخاص مسرحياته وعني بكل ما يختص بالفن والعمل .

غني عن القول انه قام الى جانب هؤلاء الكتبة الاعلام فريق كبير من حملة الاقلام نذكر منهم الكاتب « شايكوفسكي» الذي كان قائداً في الجيش التركي باسم صادق باشا .

المذهب الحسي في الادب البولوني – هبت رياح الثورة على بولونيا ، عام ١٨٦٣ فقمعتها الحكومة الروسية بالدم وقضت معها على المذهب الرومانطي ، هذا المذهب الوجداني الذي سير الادب البولوني في القرن التاسع عشر ورفع به الى الاوج . فنجا ممثلو هـذه المدرسة بانفسهم ولاذوا بالمقاطعة البولونية النمساوية التي نالت ، عام ١٨٦١ ، شيئاً من الاستقلال الاداري، حافظت بالتالي معه على نظام التعليم البولوني كاملاً يقوده جامعتان هما جامعة كراكوفيا ولفوف .
وقد اصطلح المؤرخون للادب البولوني ان يسموا هذا العهد «المذهب الحسي او الوضعي» . والمقصود بهذه التسمية حركة ادبية اكثرها فلسفية تتمثل خير تمثيل في اكبر كاتب انجبته هذه المدرسة «سويتنوخوفسكي» وجريدته « الحقيقة » (١٨٤٩ — ١٩٣٨) . ففي ظل هذا المذهب الادبي الجديد نشطت حركة التأليف ولا سيما ادب القصة والرواية . وقد نبه في هـذا العهد بعض الشعراء يجمعهم بشعراء « البرناس » في فرنسا شبه ظـاهر امثال الشاعر اسفيك (+ ١٨٩٧) وكونوفتسكا (+ ١٩١٠) المشهور بنشيده الوطني المعروف ب « روتا » الذي ينبض بالحقد على الالمان، وغيرهم كثيرون ممن نضرب صفحاً عن ذكرهم لضعف شأنهم في تلك الحركة .

واول من نبه في ادب القصة في بولونيا خلال القرن التاسع عشر « رجفسكي» . ثم جاء بعده الكاتب القصصي المشهور «كراشفسكي» (١٨١٢ — ١٨٨٧) وهو من اخصب ادباء بولونيا في هذا العصر واطولهم باعاً واخصبهم انتاجاً . فقد اشتهر ناثراً وشاعراً ومؤرخاً وصحافياً لبقاً وروائياً لا يجارى، عني بنبوع خاص بالقصة الاخلاقية والادبية . وقد لمع كمؤرخ: فصور لنا مختلف عصور تاريخ بولونيا تصويراً رائعاً .

ولعل اكبر كاتب بولوني في الادب القصصي هو الروائي بروس (**Prus**) (١٨٤٧ — ١٩١٢) .
ومن آثاره الخالدة : « العبيد » « والدمية» والنساء المتحررات » تولى فيها وفي غيرها، مما نضرب صفحاً عن ذكره، وصف الطبقة البورجوازية في فارصوفيا مع ميل ظاهر للعظة والارشاد .
واشهر رواياته التاريخية رواية « فرعون » التي يستعرض فيها مدنية مصر القديمة وحضارتها الاولى ، فيصور لنا فرعون مصر مناضلاً ضد طبقة الكهان والعرافين معتمداً في جهاده على تجار فينيقيين، فيسقط في الجهاد، الا ان افكاره تتغلب اخيراً .

كذلك نرى الكاتب «اورجكوفا» (١٨٤١ — ١٩١٠) يناضل في سبيل النزعة التقدمية في الاخلاق والآداب مطالباً بتحرير المرأة والترفيه عن الفلاحين والمرهقين ، ومن ابقى آثاره روايته الموسومة : « على ضفاف النيمن »

ومن اعلام الادب البولوني في هذه الحقبة الكاتب المشهور « سينكافتش » ١٨٤٦ — ١٩١٦) فقد تعدت شهرته حدود بولونيا واتجهت اليه الانظار في الخارج ولا سيا بعد ان نشر اثره الخالد « التريلوجيا » ، وهي رواية مثلثة الاجزاء تعود حوادثها الى القرن السابع عشر ، وروايته الثانية « الفرسان التوتونيون » التي تعود بجوادثها الى القرن الرابع عشر ، وروايته الاخيرة « الى اين » ضمنها وصفاً رائعاً لما نال المسيحيين من اضطهاد في عهد الطاغية نيرون . وقد رمى في روايته الاخيرة الى مؤاساة النفوس المنكودة واضعاً نصب اعينها امجاد الجدود وحروبهم الدامية للذود عن الوطن والدفاع عن حياضه . وقد اثارت روايته « التريلوجيا » عاصفة من الحماس الهبت الصدور في الشبان والفتيات . واستطاع وهو مقيم في سويسرة ، خلال الحرب العالمية الاولى ان ينظم حركة واسعة للاسعاف زادته رفعة وشهرة.

بولونيا الفتاة — هبت على بولونيا ، في اواخر القرن التاسع عشر حركة تحريرية تدعو الى التجدد والانبعاث الروحي شبيهة بالحركة الرمزية في الادب الفرنسي اذ ذاك سيطرت على الشباب وسيرتهم .وما عتمت ان اخذوا يتحدثون في البلاد عن «بولونيا الفتاة» او المذهب الروائي الجديد فشقت طريقها اولا على يد الكاتب رجمنسكي (+ ١٩٤٣) الذي اشتهر فيما اشتهر به باكتشاف آثار الكاتب البولوني «نورود» ونشرها على الملا . كما تولى نقل بعض آثار الشعراء الفرنسيين والانكليز المعاصرين : كرامبو الفرنسي مثلا . ونشر في مجلته « لوكس » التي كانت تصدر في فارصوفيا ، كثيراً من الابحاث الشيقة التي امتازت بالنقد والتحليل .

كانت كراكوفيا مركز هذه الحركة الجديدة المتجلية .تمركزت اولاً حول نخبة مختارة من الشباب الناهض ثم اصدرت مجلة عرفت بمجلة «الحياة» . وهل من الغريب ان تصبح عاصمة البلاد القديمة نقطة الدائرة في هذه الحركة التجددية ، وفيها يقوم الى جانب مدرسة التصوير الكبرى ، اجمل مسرح في البلاد ، وجامعة هي اقدم جامعات بولونيا واكاديمية للعلوم ؟ كل هذا جعل المدينة تعبق بجو من الحرية المنطلقة لم تر له اثراً في غير هذه المقاطعة اذ ذاك. فلمع رهط كبير من الشعراء والادباء والكتاب ولا سيا في فن القصة امثال جيرومسكي (١٨٦٤ — ١٩٢٥) وريمونت (١٨٨٦ — ١٩٢٥) الذي نال جائزة نوبل كما نالها سنكيافتش من قبل . وانشأ وسبيانسكي مسرحاً وطنياً كما قام الكاتب ناتوشفسكي بنقد الادباء المعاصرين وتعريف آثارهم .

وكان سبق للشاعر البولوني ان نشر وهو في برلين في الشعر المرسل المهموس قصائد باللغة الالمانية ، فعاد الى كراكوفيا عام ١٨٩٨ وتولى رئاسة تحرير « الحياة » ممهداً لعمله هذا بنشر بيان ظهر في حلة قشيبة من الفن الرائع بعنوان : « اعترف » . ومن آثاره باللغة البولونية رواياته التمثيلية ولعلها خير ما انتجته قريحته الخصبة . وبلغ كسبروفتش في مجموعته المعنونة : « الى العالم الزائل » الذروة من البيان الناصع وتلك الشاعرية المشوبة بشيء من الحلولية المتشائمة التي تملك

على الانسان مشاعره وتثير احاسيسه . وقد عرف ان يزج فيها تلك الاناشيد الدينية القديمة مثيراً على اوتار قيثارته الحب والتقوى متغنياً بمحبة القريب في ديوانه : «كتاب المسالكين» .

ويتكشف انتاج جيرومسكي عن بعض مسرحيات وروايات عصرية مثل روايته «حكاية خطيئة» وتظهر شخصيته في روايته التاريخية « الرماد » التي تعيد الى الاذهان ذكريات نابوليون ، او في قصائده كأغنية النبيل »،« والنهر الامين » وكلاهما يرويان مآتي ثورة ١٨٦٣ ويصفان ما رافقها من فظائع تقشعر لهولها الابدان، . وله قصة اخرى في ثلاثة اجزاء عنوانها «الجهاد ضد الشيطان » تفردت بين آثاره كلها بعمق اغوارها وبما فيها من تحليل دقيق ووصف رائع جعلت منها تحفة فنية . وله فوق ذلك مقطوعات شعرية فيها الوصف الجميل منها « نسيم البحر » تغنى فيها بجمالات بحر البلطيق ومفاتنه المغرية كما رددت نفسه المتلهبة صدى رجوع مقاطعة بوميرانيا الى الوطن الام .

اما زميله ومعاصره الكاتب ريمونت فله عدة روايات اشهرها «المزارعون » رسم لنا فيها صوراً رائعة لفصول السنة الاربعة واصفاً اعمال الحقل وافراح الفلاح البولوني واتراحه وهناءه واوصابه ، فكأن كتابه هذا والكتاب الاخر «السيدناده» الذي مر معك ذكره على موعد يصف احدهما الفلاحين كما يصف الآخر نبلاء الريف .

اما « بيرنت » فلعله بين الادباء المحدثين اشهر من عني بجزالة انسجام العبارة . فهو اشبه مايكون بفلوبير عند الفرنسيين وبالشيخ ابراهيم اليازجي في الادب العربي الحديث . يصف لك البيئة الجغرافية فتبدو جلية واضحة تنتصب امامك من خلال وصفه فترى وتسمع ما اليها من مظاهر الحياة وكان بالجماد يتحرك فيها ، متناولاً على التوالي بالوصف بوهيميا في روايته المعنونة « Vermoulu »والطبقة البورجوازية في فارصوفيا قبيل الحرب الكبرى الاولى في روايته الاخرى : « قمح الخريف » والحياة في المدن خلال القرون الوسطى في قصته « الحجارة المتمايلة»٠ وتولى على الاخص ترجمة مؤلفات نيتشه الى البولونية ، ولعلك لا تجهل ان هذا الفيلسوف الالماني متحدر من اصل بولوني .

بين حربين او في نعمة الاستقلال ١٩١٨ — ١٩٣٩ — عقب « بولونيا الفتاة »

فترة انتقال جلى فيها الكاتب ماتوشفسكي رئيس تحرير «الاسبوع المصور»٠ ومن آثاره كتابه الموسوم : « سلوفاتسكي والفن الحديث » يتناول فيه شخصية هذا الاديب والشاعر اورمنايقيي اللامع الذي يعد بحق رائد المدرسة الجديدة المعروفة « بولونيا الفتاة »

كانت بولونيا قبل الحرب العالمية الاولى مقيدة الروح ، محرومة الحرية ،مكبوتة النفس ، فلا عجب ان تتطلب الامة من ادبها القومي ،متنفساً لها في هذا الضغط الخانق وقوالب مثالية تكون قواماً لهيكلها الانشائي اذا ما دقت ساعة الخلاص ٠هذا هو ،طلب الامة : فقام الكتاب يسعون الى تحقيقه من كراسيتسكي ، في القرن الثامن عشر ، الى جيرومسكي ، في القرن العشرين

وهم اشد ما يكونون عقيدة بان الادب لا ينطلق ولا يتفجر الا في جو بلد حر مستقل

هذا هو المثال الذي اخذ في ترميمه واحيائه ذلك الفريق المختار من الشباب الناهض الذي التف حول جريدة « سكافندر » امثال « ج. توبم » المولود سنة ١٨٩٤ و ا. سلونمسكي (١٨٩٥) ولكخون (١٨٩٩) وغيرهم كثيرون . فادخلوا على الشعر واغراضه القديمة الجدة في التعبير والتجدد في القوالب ووصف مظاهر حياة العصر، وهو عمل قام به على الاخص «توبم» الذي رأى النور في المدينة الصناعية الكبرى لودز . وقد ساهموا في هذه الحركة على ما بينهم من فوارق بارزة واتجاهات فنية . فبينما كان الواحد منهم تهتز اوتار صناجته للعاطفة المتشائمة كان الثاني تغني قيثارته مباهج الحياة بادية في الربيع ، في الارياح، في الشمس، في لذة الحياة .

قام الى جانب هذه النخبة من شعراء الشباب نخبة اخرى من شاعراتهم اشهرهن على الاطلاق بوليكوفسكا (١٨٩٥) التي عرفت بالفن القصصي والشعر الغنائي والمسرحي . فقد كانت تؤثر الوجيز من القصيد ولها رباعيات تفيض قوة وتنبض بالعاطفة الملتهبة ، كما يبدو ذلك في مجموعتها الشعرية عن باريس غنت فيها مباهج عاصمة النور ومغرياتها ومشاعرها وخفتها . وقد تمازجت المجاري الادبية في هذه الفترة وتفاعلت، شأن الادب في بولونيا شأنه اذ ذاك في فرنسا حيث كنا نرى المدارس الرمزية واتباعها تتقاطع والمدارس الادبية الاخرى . وقد نبغ في هذه الحقبة الشاعر والناقد الادبي بيهر (١٩٨١) . ومع ذلك امكن لنا ان نؤكد انه لم يقم في هذه المدرسة ما قام في سابقتها « بولونيا الفتاة» حتى في الرواية والمسرح .

ومن اشهر ادباء هذه الحقبة الكاتب الاديب «كادن باندروفسكي» الذي يعد بين كبار المجاهدين في سبيل استقلال بولونيا ليس فقط باعماله السياسيّة بل ايضاً بآثاره الادبية . امتاز بعقله الصائب ورأيه السديد وقوة الملاحظة وشخصيته البارزة تعرض للنقد والهجوم في كثير من افكاره الجريئة ودعوته الى التجدد . آثاره كثيرة منها « القوس » و « متى مجدا » رسم فيه صورة ساخرة للسياسي المعروف بهذا الاسم ، و « الاجنحة السوداء » استوحى مادته من حياة المعذبين وعمال مناجم الفحم ، و« مدينة امي » .

اما زميله ومعاصره «اندريه ستوريج» وهو كاتب له منزلته المرقومة ومجاهد في سبيل استقلال البلاد وتحقيق العدل الاجتماعي في الامة فقد تولى بالوصف ابطال هذه الحقبة ولا سيا الاعمال التي قام بها دعاة الاصلاح الاجتماعي .

ونرى في هذه الفترة اديبتين كبيرتين تتلقف الشبيبة آثارهما وهي من خير انتاج العصر . فالاولى الكاتبة دمبروفسكا المولودة ١٨٩٢ والثانية الكاتبة شوشتسكا التي رأت النور عام ١٨٩٠ فوضعت الاولى روايتها الموسومة : « الليالي والايام » رسمت فيها صورة لاحدى العائلات النبيلة في الارياف بين ١٨٦٣ — ١٩١٤ ، باسلوب قصصي يلهب النفس حماساً يفيض حياة مشعة

من خلال حركات ابطال الرواية، وقد اضفت عليهم غلالة من الاحساسية السيكولوجية الدقيقة . وكتبت الثانية روايات تاريخية يمت معظمها الى عهد الصليبيين ولعل اكثرها تدقيقاً روايتها المعنونة « القديس فرنسيس » نقلت الى الانكليزية وراجت جداً في اميركا .

اما الكاتب الروائي «خورومانسكي» المولود سنة ١٩٠٤ فقد تناول في روايته «الغيرة والطب» موضوعاً عادياً طرقه فلوبير من قبل في روايته « مدام بوفاري » فجعل منه مأساة عنيفة . فبرزت بحلة قشيبة من الانشاء الرفيع والبيان الناصع وحبكها حبكا فنياً لا يتعدى مدى وقائعها ثلاثة ايام . اما عقدتها فتدور حول عاصفة هوجاء تسحر من تصيبه وتقضي فيه على كل اثر للارادة .

ومن الادباء الذين يجب التنويه بذكرهم « بوي جيلنسكي » (١٨٧٤—١٩٤١) وهو شاعر غنائي انصرف الى الانشاد في المقاهي والحانات، وقد قتله الالمان عام ١٩٤١، اما عمله العظيم فيقوم بانه تولى نقل عدد كبير من آثار الفكر في الادب الفرنسي الحديث بين شعر ونثر الى اللغة البولونية وقد مهد الاديب المترجم له بدراسة عامة يوضح فيها مقامه ومنزلته في الادب وخصائص شخصيته وظروف البيئة التي عمل فيها فاغنى بعمله هذا الادب البولوني بدراسات ادبية يتجلى فيها النقد والتحليل النفساني الدقيق .

ذكرنا اعلاه النقد الفني . وقد اشتهر في هذا المضمار المفكر البعيد الغور « إرجيكوفسكي » المشبع بالفلسفة الالمانية ، كما جلى فيه ايضا كل من « بيزنسكي وزودنسكي » وقد عنوا على الاخص بقيمة الاثر الادبي من الوجهة الفنية واللغوية اكثر من عنايتهم بسيرة المؤلف وترجمة حاله .

وقام في هذه الحقبة مؤرخون بولونيون وضعوا في الادب البولوني تاريخاً شاملاً عالجوا فيه الناحية اللغوية والتاريخية والفنية على السواء . وقد جلى في هذا العلم كل من «بروخن» الذي تولى نشر عدد كبير من آثار كتبة القرن السابع عشر ووضع تاريخاً مشهوراً للحضارة البولونية ، ولمع ايضاً المؤرخ «كاينر» فخص سلوفاتساسكي بدراسة مخدومة، كما قام بورنبوفنتش بترجمة كاملة لدانتي وللشعراء الفرنسيين والايطاليين القدامى، واختص «لدنيتسكي» بالادب الروسي .

ومن نوابغ الادب البولوني في هذا العصر الكاتب البولوني المشهور جوزيف كويجفسكي الذي كثيراً ما قرأ له الانجليز باللغة الانجليزية باسم « كونراد » فنال شهرة واسعة . تحمل كتاباته خصائص الروح والنفس البولونية . عرف بتفكيره العميق وباسلوبه الرائع وبنفوذه العظيم على الناشئة البولونية الحديثة .

الحرب الاخيرة (١٩٣٩) والهجرة الجديدة — كانت هذه الحرب وما جرته من ذيول وخيمة اكبر نازلة حلت ببولونيا . كيف لا وقد رمى الالمان الى محق الامة البولونية واستعباد ما تبقى من عناصرها، بعد ان وجدوا من يشاركهم في جنايتهم النكراء ذاهبين بدون

شفقة النخبة المفكرة في البلاد مشردين شرقاً وغرباً من بقي منهم في قيد الحياة . حاكمين على بعضهم بالاشغال الشاقة . فركنت الامة جمعاء، شيبها وشبابها، الى الكهوف والدهاليز او الى الفرار ملتجئة الى الشعوب الصديقة المجاورة. وقد تكونت منهم في انكلترة واميركا جاليات ضخمة كما جاء الشرق المتوسط منهم زهاء ١٠٠،٠٠٠، استطاعوا في ربيع ١٩٤٢ اجتياز الحدود الروسية الايرانية وطوّف معظمهم في ايران والعراق وفلسطين ومصر الى ان حطوا عصا الترحال عام ١٩٤٤ في ايطاليا، حيث انشأوا لهم ثالثة جالية كبرى في الخارج، ليس فقط بين فيها من الجنود والعساكر بل من المدنيين ايضاً، ونظموا حياتهم الفكرية والعقلية وما تستلزمه مظاهرهـا من مدارس وصحافة ومسارح .

ومن دواعي الغبطة ان يتمكن عدد كبير من اعيان الادب البولوني من النجاة بانفسهم الى الولايات المتحدة، وبينهم عصبة «سكافندر» فينصرفون الى تقاليدهم الحرة، يدعوهم حب الوطن والشرف الى رؤيته حراً مستقلاً، والنفس تئن جريحة منهوكة لما سال من دماء زكية بريئة . فالقلم مهما دق واسترق، ومهما استشرى واستمد، يبقى عاجزاً ويرتد كليلا عن وصف ما عانت البلاد من استشهاد كادت تزهق معه روح الامة . فاستجمعت كل هذه العناصر الناجية ما تبقى من رمق واخذت تكفكف الدمع بمحاولة السير الوئيد، وضمد الجراح والعود بهيآتها ومنظماتها الفكرية والادبية، الى كانت، الى ربط حاضرها بماضيها الرتيب المجيد .

من العسير جداً ان نبدي رأياً في حيوية المتخلفين في البلاد ولا سيما من حيث نشاطهم الفكري . فليس فيهم على ما يبدو لنا ما يلفت النظر من نبوغ وابتكار وتجديد ادبي، شأنهم في ذلك الآن شأن المغتربين المشردين من اهل البلاد . فلا يزال الجو العلمي والادبي هو هو، قبيل الحرب وبعدها : الوجوه واحدة والمجاري واحدة والافكار واحدة . فلا نلمح عند التفرس بامور الادب غير قسمات الشاعر «بيفوفر» الذي قتل عام ١٩٤٠ تاركاً لنا قصائد مثيرة استودعها قصاصات من ورق اللفائف .

فالهجرة الكبرى سنة ١٨٣١ ادت بنا الى المذهب الرومنطيقي في الادب . فماذا من هذه الهجرة الان يا ترى ؟ وما عساها ان تجود به ؟

لا مراء ان الطابع البارز الذي يميز الادب البولوني هو القومية وحب الوطن هاك ما يقوله المؤرخ جول ميشله بهذا الصدد . « نحن مدينون لليهود بوحدانية الله وللبونان بالجمال الفني، وللرومانيين بفكرة الدولة والنظام القضائي، وللبولونيين بفكرة الوطن، باعتباره هيكلاً قدسياً يحشد فيه الانسان خير ما فيه من قوى يسيرها في خدمة البشرية ممثلة في شعب ما . فالوطن في نظر البولوني، امثل الطرق لخدمة الانسانيــة، فيه الناموس كله . فهو الف الدين وباؤه وبابه ومحرابه ودفته ومصراعه .

العلم في بولونيا

الفلسفة — ان ما اصاب بولونيا من دول الدهر ، وما توالي عليها من المحن والاحن حال دون انصراف الناس فيها الى الفلسفة والابحاث النظرية المجردة . ان هذه الاعتبارات نفسها جعلت مظاهر الادب والعلوم الاجتماعية فيها ، تتجه على الاخص ، شطر بحث كيان البلاد والنظر في استقلالها ، وهي القضية الكبرى التي سيطرت على الاذهان واستأثرت بالتفكير البولوني . وكان تطور الاراء واجتلاء الفكر في بولونيا ، مظهراً من مظاهر المجاري الفكرية السائدة في الغرب .

وتتمثل المدرسة الحسية ، في بولونيا ، في مطلع القرن التاسع عشر ، بالكاتب «ستاشتس» (Staszic) + ١٨٩٤ وبرصيفه شيادتسكي المتوفى سنة ١٨٣٠ ، والذي كان اخوه اندريه ، من كبار المعجبين بفلسفة « كانت » . اما بين ادباء المدرسة الرومنطية البولونية فقد نبهت تعاليم كراستسكي الذي اتيح له الحصول على احسن اعداد فلسفي . وقد كان مع صديقيه تشيكوفسكي (Cieezkowski) + ١٨٩٤ وليبلت + ١٨٧٥ من القائلين بفلسفة هيجل . وحاول هؤلاء الوصول الى التأليف بين الهيجلية والتعاليم الكاثوليكية . ويجب التنويه ، بنوع خاص بذكر هيني فرونسكي + ١٨٥٣ الذي كتب باللغة الفرنسية ، سار من « كانت » حتى افضى به المسير الى الثيوصوفية .

اما ابو الفلسفة الوضعية في بولونيا فهو « كروبنفسكي » + ١٨٩٨ . وقد انصرف كثيرون الى الفلسفة العقلية (المنطق) وعلم النفس الاختباري والاستتيكا وتاريخ الفلسفة ، منهم الاب بالتسكي ومسيو سترشوفسكي (+ ١٩٢١) . ولعل اشهر ممثلي الفلسفة في الادب البولوني الجديد بروجوزفسكي (Brojozowski) (١٨٧٨—١٩١١) ولوتسلوفسكي (Loutoslowski) الذي مات سنة ١٩٣٥ . ابتدأ الاول بماركس وانتهى بنيومن ، وترك لنا بين آثاره الادبية ابحاثا فلسفية وادبية بينها بعض روايات امتازت بدقة التحليل ، منها روايته « اللهيب » التي تصف لنا وصفاً رائعاً ، الحركة الثورية في روسيا . اما اشهر كتبه وابقاها فكتابه الموسوم : « اسطورة بولونيا الفتاة » فبعد ان اخذ فيها على الروائيين المحدثين جحودهم للحياة وتهربهم منها عالج قضية العمل وما يثيره من مشكلات معقدة انتهى من معالجتها بتحبيذ العمل ورفعه الى اعلى ذرى التمجيد . اما الثاني منهما فقد كتب بالفرنسية والانكليزية وحاول التأثير على الشباب مجرباً التوفيق بين فكرة التجدد والكثلكة .

وقد قام الاستاذتواردفسكي (Twardowski) احد اساتذة جامعة لفوف بتأثير عظيم على تطور الدروس الفلسفة في بولونيا ، بعد البعث ، ادى فيهـا الى انشاء « كلية المنطق » في فارصوفيا . ويتمثل تاريخ الفلسفة في الاجيال الوسطى ، في شخصي بيركنماير (Birkenmayer) والاب نيخالسكي (Nikhalski) الذي انصرف الى نقض النظرية الهتلرية وتجريحها وتهديمها . وهنالك مفكران حديثان لمع نجمهما في الابحاث الفلسفية هما الاب بوخانسكي والاب يعقوبسياك الذي توفي ، في باريس ، عام ١٩٤٥ ، وكتب بالفرنسية ، رسالة عن الزمن الوجودي نالت جائزة الاكاديمية الفرنسية .

التاريخ — يعود الفضل في احياء علوم التاريخ في بولونيا ، كما احيا علوماً اخرى غيرهـا الى الملك ستانسلاس اوغسطس ، الذي اوعز الى الاسقف ناروخفتش (+١٧٩٦) الاهتمام بهذه الدروس . وقد وضع هـا المطران العلامة فهارس مبسطة في علم المصادر والمراجع لاتزال الى اليوم ، مرجعاً هاماً من مراجع التقميش . اما المدرسة الرومنطيقية فقد انجبت المؤرخ «لاويل» (Lelewel) (١٨٦١) الذي وضع « تاريخ بولونيا » كما وضع باللغة الفرنسية مؤلفات هامة في علمي الجغرافية والنميَّات (المسكوكات) . ومما يؤسف له جداً ، ان يحرق المؤلف البولوني متسكيافتش التاريخ الذي وضعه لبولونيـا ، وهو لا يزال مخطوطاً ، هذ التاريخ الذي قدّر له الكثيرون ، وبينهم المؤلف نفسه ، انه سيكون في مستوى المولف الذي وضعه من قبل ميشليه ، بما فيه من دقة النظر ورشاقة العبارة ونصوع البيان وسلاسة اللغة . وقد باشر المؤرخ « ستراتجو » نشر مجموعة هامة بعنوان : « مصادر تاريخ بولونيا » (Monumenta Polonae Historica) وهي مـن الاصول الهامة في هذا المضمار بلغت ٤٠ جزءاً .

وقد نشطت الدروس التاريخية في بولونيا بعد ان تم « تأميم » جامعتي كراكوفيا ولفوف ، فانصرف المؤرخون الى درس الاسباب والعوامل العديدة التي ادت الى زوال الدولة البولونية ، تلك العوامل التي شغلت انتباه المفكرين . فرجحت مدرسة كراكوفيا ان ذلك يعود ، قبل كل شيء ، الى انحطاط نظام الحكم فيها ، خلال القرنين السابع عشر والثامـن عشر ، بينما عزا آخرون ذلك الى عوامـل اخرى . ومهما يكن مـن الامر فقـد ازدهرت مباحث التاريخ في جامعات البلاد وكلياتها الكبرى ولا سيما في فارصوفيا وفيلنو وبزنان ، بعـد ان شقت اكاديمية العلوم في كراكوفيا الطريق ومهدت الى انشاء جمعيات علمية ومؤسسات ادبية تعنى بهذا الحقل . وقد ظهر في مدينة لفوف اكبر مجلة تعنى بالعلوم التاريخية في البلاد ، هي « المجلة الفصلية » التي كانت تفتح حقولها للابحاث المبسطة المختصة بمختلف ادوار البـلاد التاريخية ، كتاريخ الاجيال الوسطى ، والاصلاح الديني واقتسام بولونيا المتعددة كما تولت نشر ابحاث هامة تتعلق بالتاريخ

العسكري ، والفقه والحضارة والتاريخ الكنسي .

وقد شرعت اكادمية العلوم بنشر مؤلف هـام في التراجم والسير البولونية ، نشر منه قبل الحرب الاخيرة ، اي حتى ١٩٣٩ الى حرف D . وقدجاءت الحرب فاطاحت بهذا النشاط الجم. غير ان المهاجرين البولونيين تابعوا جهادهم ، فقام الاستاذ هلتسكي ينشيء في اميركا معهداً علمياً بولونياً ، كما انشيء حديثاً ، على غراره معهد آخر في القدس الشريف وثالث في بيروت .

علم الآثار ـــ اما دروس ما قبل التاريخ وعلم العاديات فلهـا ايضاً ، خير من يمثلها . وقد ابطل هؤلاء العلماء النظرية الالمانية القائلة بان السلافيين الضاربين بين نهري الفستول والالب في العصور الاولى ، لم يحتلوا هذه البطاح الا على اثر مغادرة القبائـل الجرمانية لها ،بعد ان طمعوا في غزو الامبراطورية الالمانية . وما تقوُّلهم هذا الا ليبرروا استباحتهم لهذه المناطق والعودة اليها بعد ان يستأصلوا منها شأفة السلافيين . من الثابت ان بعض قبائل « القوط » وغيرها من القبائل الجرمانية كانت في فجر النصرانية ، في هذه البطاح . غير ان السلافيين من علماء ما قبل التاريخ ، يذهبون الى القول بان هذه القبائل الجرمانية هبطت بولونيـا من الشمال ، اي من سكندينافيا وقيّض لها ان تخضع السلافيين الآمنين ثم امتزجت تدريجياً بسكان البلاد الاصليين . وقد ايّدت هذه النظرية ، بصورة علمية لا ترد ، المؤلفات الهامة والابحاث الدقيقة التي قام بها كسترجفسكي ، اذ عثر على قرية سلافية ، هي قرية بسكوبين(Biskupin)التي تعود الى القرن السادس قبل المسيح . وقد قتل الالمان الاستاذ كسترجفسكي ، سنة ١٩٣٩

الاستشراق في بولونيا ـــ عنيت بولونيا بالدراسات الشرقية منذ عهد بعيد . ويدخل في هذا الحقل الرحلات الى الشرق . ولعل اقدم رحلة قام بها بولوني تعود الى القرن السادس عشر ، واشهرها على الاطلاق الرحلة التي قام بها دوق رادزفيل (Radziwill) وقد ترجمت الى اللاتينية كذلك ، هنالك وصف دقيق للسلطنة العثمانية وضعه رحالة غفل لم يذكر اسمه . اما الاستشراق بالمعنى الحصري، فالمراد بهدراسة اللغات الشرقية ومـا الى الشرق من حضارات وما تركته هذه المدنيات من آثار فكرية وعلمية وادبية . وعلى هذه الصورة فهمته اوروبة منذ النصف الاول من القرن التاسع عشر . وقد كتب العلماء البولونيون ابحاثهم الاستشراقية على الغالب باللغة الفرنسية وبعضها باللغة الروسية. ولعل اشهر المستشرقين البولونيين قاطبة هوكزيمرسكي الذي قام بترجمة القرآن الكريم الى الفرنسية كما وضع معجما عربياً فرنسياً ، طبع ثلاثمرات ، آخرها عام ١٨٧٥، في مصر باربع مجلدات .

ومن عداد المستشرقين البولونيين الاعلام الاستاذموخيلنسكي(Moukhilinski)الاختصاصي بالدراسات العربية والتترية ، والاستـاذ لدزكو الخبير بالدراسات الايرانية . ويقوم في معظم

الجامعات البولونية فروع لتدريس العلوم الشرقية،وتوفرت هذه الجامعات حتى سنة ١٩٣٩ ، على نشر دليل خاص بالدراسات الاستشراقية،في بضع مئات من الصفحات . ومن اعلام هذه الدراسات الاستاذ كوفلسكي الذي يعود الفضل في خلاصه ونجاته من احد المعتقلات الالمانية الى وساطة الحكومة المصرية بشأنه وتدخلها بامره ومن البولونيين الاخصائيين بالدراسات الايرانية غوفرونسكي (Gawronski) كاان الرياضي الشهير ناتنسون انصرف لدرس التصوف الاسلامي . وقد خص الكاتب المشهور سوستسكي عدة اجزاء من مؤلفه الكبير عن التاريخ العام للادب اثبت فيها ترجمة مقتطفات ومختارات ادبية شرقية . ومن الذين نقلت آثارهم باكراً الى اللغة البولونية الشاعر الفارسي عمر الخيام . ومن احسن ما كتب بالعربية عن الدراسات الشرقية في بولونيا مقال للاستاذ يوسف اسعد داغر امين دار الكتب اللبنانية ، في بيروت ، نشره في مجلة الاديب ، ج ٥ ، عدد ١٢ (١٩٤٦) .

الحقوق — الاقتصاد السياسي — علم الاجتماع — ان الحقوق وما اليها من علوم فقهية وشرعية اخرى،لايمكن لها ان تزدهر الا في ظل دولة مستقلة . والحال ، ان بولونيا ، التي فقدت استقلالها وعاشت متجزئة بين ١٧٩٥ — ١٩١٨ ، لم تذق نعمة هذا الاستقلال ، الا ما قام في بعض اجزائها من ظلاله ، في تلك الانشاءات السياسية التي عرفتها حينا ، مثال دوقية فارصوفيا (١٨٠٦ — ١٨٣١) واستقلال غاليسيا الذاتي (١٨٦١) . ومن اهم الاثار الفكرية التي نشرت ، اذ ذاك المجموعة الفقهية المعنونة : **(Volumina legum)** ، وهي تدور حول العلوم الشرعية في جمهورية بولونيا القديمة .

وقد قام في الآونة الاخيرة ، بين البولونيين ، فقهاء اعلام مثل الاستاذ فسيوسكي صاحب المؤلف الشهير : « التشريع عند الشعوب السلافية » وغيره كثيرون تولوا التدريس في كليات الحقوق ومعاهد التشريع في البلاد حيث انصرفوا الى الدراسات المتعلقة : بالشرع البولوني القديم، والفقه الروماني والحقوق الدولية .

وبعد ان بعثت بولونيا من جديد واسترجعت استقلالها ، انشأت الحكومة اللجنة التشريعية وعهدت اليها امر اعداد قوانين البلاد . ومن الاعمال الحقوقية التي تمت في هذا العهد الدستور البولوني المعلن عام ١٩٣٥ . فبعد ان كان الدستور البولوني الاسبق ، المعلن سنة ١٩٢١ ، نسخة طبق الاصل عن الدستور الفرنسي للجمهورية الثالثة، اذ بالقانون الدستوري الجديد ، محاولة جد موفقة ، للتوازن بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية ، روعيت فيها تقاليد البلاد التي تعود الى القرن السادس عشر .

ويتمثل الاقتصاد السياسي في بولونيا بعلماء اعلام ،منهم «تسياكوفسكي» الذي وضع باللغة

واقواها وادقها جهازاً في اوروبة على الاطلاق بحيث يمكن العلماء العاملين فيه من الانصراف الى معالجة تحطيم الذرة .

الكيمياء — ولم تتخلف الكيمياء قط بل لحقت بالفيزياء وسارت معها على خطىء حثيثة من الازدهار . وفضلاً عن المختبرات الجامعية كان معهد الكيمياء في فارصوفيا مركزاً هاماً من مراكز البحث العلمي المجدي . كذلك جهزت الصناعات المختلفة في البلاد كالفحامة والتعدين وصناعة الصلب والفولاذ والنفط والسكر وغيرها ، بما يلزم من المختبرات الفنية التي ضاهت بجهازها العصري احدث المختبرات في الخارج ، فادّى ذلك الى تحسين الاقتصاد الوطني والنهوض به سريعاً الى مستوى الدول الكبرى . فان صناعة الاعمدة الكيماوية قامت على خير الاسس وامتن الاساليب الحديثة التي وضعها الاستاذ موشتسكي الذي اصبح ، فيما بعد ، رئيساً للجمهورية ، فجاءت خير جهاز علمي من نوعها في اوروبة على الاطلاق . ومن الكيمويين البولونيين الذين لمعوا حديثاً يحلو لنا ان نذكر الاستاذ (Switostanski) وزير التربية الوطنية والتعليم العام .

في عـام ١٩٣٩ ، المشهور بنظرياته العلمية في الكيمياء الحرارية ، والاستاذ بيالسيوفتش (Bialasiewicz) المشهور بارائه العلمية في نظرية (Métabolisme) « الأيض » اي صيرورة الشيء غيره وتحويله من حالته وقلبها غيرها ، والاستاذ بارناس (Parnas) المعروفة ابحاثه في الكيمياء الحيوية .

الجيولوجيا — وكانت الابحاث المتعلقة بعلم الجيولوجيا (اوعلم الهلك) كثيراً ما تتم خارج المختبرات العلمية القائمة في الجامعات او في اكاديمية المعادن ، اذ استأثر بها عـلى الغالب ، معهد فارصوفيا الجيولوجي . وقد انصرفت مباحث هذا المعهد الى جمع اقصى ما يمكن جمعه من المعلومات العلمية الدقيقة عن موارد البلاد الطبيعية . وكان المتحف الجيولوجي القائم في هذا المعهد امثل المتاحف من هذا النوع في اوروبة قاطبة . ولذا كنا نرى خريطة بولونيا الجيولوجية دوماً في تعديل وتحوير مسجلة بصورة حسية ، إكتشافات علماء الهلك البولونيين العلمية ونشاطهم الزاخر . ومن العلماء الاعلام في هذا المضمار الاستاذ «نوفاك» (Novak) الاخصائي بدراسة التركيب الطبقي لجبال الكربات من الوجهة البترولية .

العلوم الاحيائية — اما العلوم الاحيائية فقد نشطت جداً ، هي ايضاً في بولونيا واتسعت مباحثها • فالابحاث الدقيقة التي تتعلق بالمملكة النباتية والمملكة الحيوانية ادت الى ترقية دراسة المواليد الطبيعية • وقد انشىء في بعض النقاط مراكز خاصة لدراسة الاحياء المائيـة ، جهزت بجميع وسائل البحث الحديث ، منها واحد بجوار بحيرة « فيغري » (Vigry) وآخر في بنسك على مقربة من مستنقعات « بوليزيا » • وهنالك مركزان آخران ، احدهما في شبه جزيرة «هل»

(Hel) والآخرافي مدينة جدينيا امتازا بنشاط الابحاث في هذا الحقل العلمي الدقيق .

وكذلك كانت ناشطة الدروس المتعلقة بعلمي النبات والحيوان في بولونيا ، فأدت الى نتائج باهرة بلغ صداها العالم . وقد انصرف احد العلماء البولونيين الى تتبع معالم الحياة على شطآن البحيرات وتقصى مظاهرها الدقيقة فكانت ابحاثه فتحاً جديداً من هذه الناحية . ولم تكن هذه الابحاث نظرية او مجردة فحسب بل عملية وتطبيقية ، تمكن العلماء البولونيون ولا سيما الاحيائيون من توجيهها في خدمة الزراعة وفن الحدائق والجنائن واستثمار الثروة الحرجية في البلاد ووصولا لهذه الغاية نشأ في طول البلاد وعرضها مؤسسات علمية من الطراز الاول ، منهــا المعهد العلمي الاعلى للابحاث الزراعية في بولاوي (Pulawy) ، ومعهد تربية الاسماك في «بدغستش» (Bydgoszcz) الخاص بالمياه العذبة ، ومعهد تربية الاسماك في جدينيا للمياه المالحة . كل ذلك ضمن نطاق دقيق من التعاون بين العلماء والمزارعين ، وتبادل الاختبارات والمعلومات التي تؤول الى صيانة النباتات وحفظها من الامراض والاعداء التي تفتك بها ، مما ادى الى خير النتائج في ترقيــة اقتصاديات البلاد وازدهارها السريع .

وانشأت الحكومة دائرة علمية خاصة ، نظرية وتطبيقية في آن واحد ، ترمي من ورائها الى صيانة الطبيعة البدائية والمحافظة على مظاهرها الرائعة تعرف بلجنة صيانة الطبيعة يرأسها وزير المعارف نفسها ويشترك فيها اشهر العلماء الطبيعيين في بولونيا . وقام على غرار هذه اللجنة جمعية شعبية دعيت « عصبة حماية الطبيعة » امتدت فروعها في البلاد وانتسب اليها عدد كبير من علية القوم . وعلى الاجمال ، نرى ان الدعوة الى المحافظة على مظاهر الطبيعة في البلاد ليست الا صدى ذلك الحب الذي يملأ صدور افراد هذا الشعب وهو ينبض بحب الوطن وسعي جهده ان يضمن للاجيال الطالعة لذة التمتع بمباهج الطبيعة على فطرتها البدائية .

وكان من حسن نتائج هذه العناية تبديها البلاد حكومةً وشعباً لصيانة ثروتها الطبيعية ان اختطوا متنزهات وطنية قومية عديدة لها طابعها الخاص وصفتها الخاصة ، تعرف بـ (Reservat) وبولونيا هي اول من فكر وحقق بين الدول انشاء متنزه دولي مشترك بينها وبين شيكوسلوفاكيا ، يقوم في جبال « تاترا » (Tatra) الواقعة بينهما .

ومن هذه النتائج الخيرة التي حصلت عليها البلاد بفضل هذه العناية الرشيدة ، تحسين زراعة الاعشاب الطبية وترقية وسائلها العالمية والفنية . وما ذلك الا بفضل التعاون المثمر والمشاركة العلمية التي ربطت بين علماء النبات والصيدلة في البلاد . ومن الاعلام المشهورين في عالم الطب الطبيب الجراثيمي « فيجل » (Weigel) الذي يعود اليه الفضل في اكتشاف لقاح ضد التيفوس ساعد كثيراً على تخفيف وطأة هذا المرض الخبيث .

الرياضيات — اما الرياضيات وما اليها من فروع العلوم ، فقد كانت العناية بها من امجا بولونيا القدمية ، اذان مدرسة الرياضيات الحديثة في فارصوفيا هي من ابرز المراكز العلمية المرموقة في اوروبة . ويعود الفضل في انالتها هذا المركز الممتاز لشهرة اساتذتها ولا سيما « لسيربنسكي » (Sierpinski) ومازوركيفتش (Mazurkiewicz) .

علم الرصد — وكان علم الهيئة ، على عكس ماتقدم وصفه يسير وئيداً في حالة صعبة لافتقاره الى الاجهزة العلمية الحديثة ووسائل البحث وادوات الرصد من مكبرات ومجاهر ، ومراقب ومناظر ، ومضخمات ومكشفات ، وغير ذلك من عدة العلم الحديث ، لغلاء هذه الاجهزة وارتفاع اثمانها . ومع ذلك ، وبالرغم من عدم تكافؤ هذه الوسائل من الوجهة العلمية ، نبه ذكر العالم «والك» (Wilk) اذ اطلق العلماء اسمه على المذنب الذي اكتشفه ، وهو في ذلك يسير على امجاد التقاليد العلمية البولونية الماضية التي انجبت الفلكي المشهور كوبرنيكوس ، احد واضعي علم الفلك الحديث وقد تم في خلال سنة ١٩٣٩ . بناء ، مرصدين كبيرين جهزا بما يلزم لرصد الاحوال الجوية ، قام احدهما في جبال تاتري وقام الآخر في جبال تشارنوخورا (Czarnohora) .

العلوم الطبية — وكان الاهتمام بالعلوم الطبية بالغاً جداً في بولونيا ، قام فيها مراكز هامة نشطت فيها الابحاث الطبية نشاطاً عظيماً في جميع مناحي الفروع المتشعبة منها او المتعلقة بها . ومن الخدمات الجلى التي اداها علم الطب في هذه البلاد ان حال دون انتشار الاوبئة الواردة من الشرق التي كثيراً ما هددت الصحة العامة في اوروبة . وقد اشتهر ، بعد الحرب العالمية الاولى ، الاستاذ ويزل لاختراعه اللقاح ضد التيفوس ، كما ان معهد فارصوفيا الصحي كسب شهرة عالمية لابحاثه الدقيقة المتعلقة بعالم الجراثيم وتهيئة المصول . كذلك وجه عناية خاصة لدراسة بعض الامراض الخبيثة التي تفتك بالانسانية فتكاً ذريعاً كالتدرن الرئوي والسرطان والامراض التناسلية .

الجغرافية — وقد نبه في الجغرافية وما اليها من علوم اعلام هم شهرتهم العالمية امثال الاستاذ «رومير» في جامعة لفوف والاستاذ إيونسكي في جامعة فارصوفيا وغيرهم كثيرون ، لم يقتصر نشاطهم العلمي على بولونيا فحسب ، بل تناول دراسة بلدان اخرى قريبة او بعيدة . وقاموا برحلات علمية وبعثات استكشافية في بلاد نائية في جافا وسبتزبرغ والهند وجبال هملايا . وافريقية ، الخ .

الفنون

الفن المعماري — لم تعرف بولونيا الوثنية سوى البناء بالخشب . اما العمارة الحجرية فلم تبرز فيها الا بدخول المسيحية الى البلاد في القرن العاشر ، اي في عهد الطراز الروماني ، ولم يصلنا من آثارها شيء . وهنالك بعض الكنائس التي شيدتها في القرن الثالث عشر الرهبانيات الدينية تنم عن تطور الفن وانتقاله تدريجاً من طراز الى طراز بنسبة تطور مواد البناء وتنوعها . فنشأ من ذلك ابنية ضخمة تتجلى في معالمها خطوط الهندسة البنائية الرائجة اذ ذاك في اوروبة الغربية وهو الطراز القوطي . وقد سيطرت هذه المدرسة الفنية الى اوائل القرن السابع عشر حتى ان خطوطها الكبرى دخلت الكنائس الارثوذكسية التي احتفظت الى ذلك الحين باسلوبها البيزنطي الروسي .

ومن آثار الطراز القوطي المعماري كنيسة السيدة في كراكوفيا وكتدرائية غنيزنو في القرن الرابع عشر ، وكنيسة السيدة في غدانسك وهي اكبر كنيسة في بولونيا ومن اكبرها في العالم ، انشئت في القرن الخامس عشر وكنيسة القايسة حنة في فيلنو ، في القرن السادس عشر ، ودار المحافظة في طورن ومكتبة ياجلون في كراكوفيا .

لم يعط عصر النهضة او عصر الانبعاث (Renaissance) سوى كنائس قليلة . فهو يتجلى على الاخص بتلك المباني الرائعة الفخمة ، مثلاً في القصر الملكي بكراكوفيا المعروف ب «Wawel» وفي دار المحافظة في غدانسك وبوزنان ، وقد هدم الالمان الاخيرة منها في هذه الحرب . اما الطراز الهندسي المعروف ب «Baroque» فقد راج في البلاد مع دخول الرهبنة اليسوعية اليها ، متجليا في مباني بوزنان وفيلنو ، وفي القصر الملكي في فارصوفيا الذي هدمه الالمان في هذه الحرب . وقصر الملك سوبيسكي في فيلانوف بجوار فارصوفيا ودار الصناعة في غدانسك ، وكلها تنطبع بطابع هذا الطراز . ولا يزال قائمة الى اليوم ، منتشرة من الغرب الى الشرق ، صروح النبلاء وقصور الاغنياء ، تشير بوضوح الى المراحل البارزة التي قطعها سير المدينة البولونية . كما اقتبس ذلك ايضا بعض الكنائس الارثوذكسية .

ودخل الى البلاد في عهد الملوك السكسونيين الطراز البنائي المعروف ب «Roccoco» . لقد عزم الملك اوغسطس الثاني على بناء قصر جديد له يقوم على اصول الهندسة الكبرى . فترك لنا صرحاً هو اليوم مقر وزارة الشؤون الخارجية في فارصوفيا ، كما ترك طرازاً جديداً في فن الحدائق يعرف « بالحديقة السكسونية » وقد عم استعمال هذا الطراز في العاصمة وفي الارياف .

واشتهر ستانسلاس اوغسطس آخر ملوك بولونيا برهافة ذوقه ودقة شعوره الفني وابتكاراته التجديدية في الفنون الرفيعة . فكان عهده فجر نهضة في الطريق الكلاسيكية الحديثة تجلت في كثير من الروائع التي قامت حتى في اواسط القرن التاسع عشر . وعلى اصول هذه المدرسة الجديدة قام القصر الملكي في فارصوفيا وكان لا يزال قائماً فيها حتى ١٩٣٩ وقام على مبادىء هذه المدرسة ايضا قصر آل لازنكي **Lazienki** الذي يعد هو ايضاً من روائع الفن المعاري في هذا العصر ، ولا يدانيه في الجمال والروعة الاصرح تزارتورسكي (**Czartorysk**) في مدينة بولاوي . والى هذا العصر يعود ايضا قصر بلفيدار (**Belvédère**) ، مقر الرئيس بلصدسكي ، والمسرح الكبير الذي هدمه الالمان ايضاً . وهكذا اصبحت فارصوفيا مجلى رائعاً من مجالي الفن والاستتيكا المعارية في اوروبة قاطبة تتوالى فيها القصور والصروح بانسجام تارة غوطية الطراز في « المدينة القديمة » وطوراً كلاسيكية الاسلوب والخطوط مما يعود عهده الى القرن الثامن عشر ومابعده . وتعاقب على العاصمة بعد هذا التجلي الفني الرائع طور من الانحطاط بدت طلائعه في الثورة التي نشبت في البلاد ، عام ١٨٤٠ ، ظهرت معه فارصوفيا وكانها مدينة من مدن الارياف ، لفها البلاء الاكبر بوشاح قاتم وعبس مظهرها وتجهمت طلعتها بعد ذلك الرواء الذي اثار فيك من قبل هزة من الاعجاب .

وقد ظهرت في مطلع القرن العشرين بوادر مدرسة معارية جديدة استمدت اصولها البنائية من الصروح البولونية التي يعود عهدها الى القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، او من تلك الهندسة الريفية المتجلية في الابنية الخشبية . وقد ساعد على الترويج لهذه المدرسة المهندس فيتكيافتش (**Witkiewicz**) .

وبقيت الحال في بولونيا على هذا المنوال من الفن الهزيل حتى بعثت الدولة البولونية من جديد واستقر الحكم في فارصوفيا ، عاصمة البلاد التي رأت نفسها بحاجة ماسة الى تجديد مظهرها الخارجي بتشييد ابنية عصرية معظمها من الطراز المدرسي الحديث . وخير مـا يمثل هذه المدرسة الحديثة المتحف ومكتبة كراسنسكي (**Krasinsski**) في فارصوفيا . وكان شعار الجيل الحاضر هو البناء والبناء بكثرة . ولعل مدينة جدنيا المقابلة لدانتزيغ هي اليوم احدث مدينة عهداً في اوروبة قاطبة .

وكما انصرفت الجهود الى البناء والتشييد كذلك بذلت عناية فائقة لترميم ما تصدع من الابنية الاثرية القديمة ، وهكذا رمم القصر الملكي المعروف بقصر « فايفل » (**Wawel**) وقد عثر في بولونيا على قسم من اسوار المدينة القديمة التي يعود عهدها الى الاجيال الوسطى ، كما اهتمت الحكومة بصيانة « الحي القديم » في المدينة بعد ان اجريت فيه الاصلاحات المرجوة . وانصرفت جهود المهندسين في بولونيا الى العناية بنجاح بهندسة تجميل

المدن وتحسينها .

ويتناول هذا الفن ليس فقط وضع التخطيط الفني للمدن بل يعنى ايضاً بتنسيق المظـاهر الريفية في الاقاليم والمناطق . من ذلك مشروع تحسين ساحل البحر البلطيق وتصنيف بعض الاقاليم الجبلية ولا سيما في المنطقة الوسطى الصناعية .

الحفر والتصوير — برز النبوغ البولوني في الآداب اكثر منه في الفنون الصناعية . ولعل مرد هذه الظاهرة يعود الى خصائص الاقاليم وطابعه . ومن روائع الفن الصناعي في العهد الروماني الباب النحاسي لكاتدرائية غنيزنو حيث تبدو سلسلة من النقوش البارزة تعود الى سيرة القديس ادلبرت ، وهي من مخلفات القرن الثاني عشر (١١٣٠) . ونبغ في كراكوفيا في القرن الخامس عشر الحفار المشهور وت — استوتش (Wit Stwosz) الذي قام بحفر مذبح كنيسة السيدة في كراكوفيا تم الفراغ منه سنة ١٤٧٩ ، ومن الاشغال الفنية التي قام بها هذا الرسام نقش قبر الملك كازيمير ياجلون . اما الكنائس التي يرجع عهدها الى هذه الحقبة فغنية بزجاجها الملون يبرز فيها معاً مؤثرات الفن الايطالي والبيزنطي .

ونرى في عهد الجمهورية البولونية القديمة كثيراً من الرسامين والحفارين الاجانب يهبطون البلاد للعمل فيها ، فينافسون الصناع الوطنيين في عقر دارهم ، كذلك نرى الفنيين البولونيين يذهبون للعمل في الخارج ، منهم زيارنكو (Ziarnko) (القرن السادس عشر) ، ومورافا الحفار (القرن السابع عشر) . ومن روائع النقش تمثال الملك سيجمون ، القائم فوق عمود ، امام القصر الملكي في فارصوفيا . ومن الامور الجديرة بالذكر ما تزدان به الكنائس الكبرى القوطية الطراز من النقوش والرسوم البديعة الحفر ، وكلها يعود الى القرن الثامن عشر ، معظمها من الخشب . كذلك يجب ان لا نغضي من ذكر فلك (Falk) (القرن السابع عشر) وخوفيتسكي (القرن الثامن عشر) وكلاهما نبغ في التصوير والحفر في مدينة دانتزيغ . وقد عني كل من المصورين غروتغر (Grottger) (١٨٣٧ — ١٨٦٧) وزميله ماتيكو Mateyko (١٨٣٦ — ١٨٩٣) باعمال فنية رائعة تخلد ذكرى البطولة في ثورة ١٨٦٣ ولا سيما في ليتوانيا ، ووضع الثاني منهما صورة تمثل «سوبيسكي في فينة» هي اليوم في الفاتيكان . ومن المصورين اللامعين في بولونيا ، خلال القرن التاسع عشر ، جيريمسكي (Gierymski) احد اساتذة الظلال والانوار المشعشعة .

ومن الذين جلّوا في النقد الفني حسب المقاييس التي يقتضيها علم الاستيتكا وفلسفة الجمال المصوّر فتكيافتش (Witkiewiz) المتوفى سنة ١٩١٥ وهو من اتباع المدرسة «بولونيا الفتاة» وقد نبغ في اواخر القرن الماضي وبدء القرن العشرين نخبة ممتازة من المصورين تلقى بعضهم اصول الفن في الغرب (باريس) او في الاكاديميات البولونية (كراكوفيا او فارصوفيا) وقد لمع فسبينسكي

Wyspianski بشعره الرائع كما نبغ بفنه كمصور ولا سيما بالزجاج الملون . وقد نبغ في المدرسة الرمزية المصور ملتشفسكي (Malczewski) .

وقد أرهف الذوق الفني في البلاد بفضل النقاد الفنيين والجمعيات الفنية التي قامت في بولونيا وساعد على صقل الذوق وارهافه تلك المعارض التي كان الشعب يتذوقها جداً ويقبل عليها اقبالاً عظيماً . ولهذا كنا نرى الكثيرين في المدن والارياف يتسابقون للحصول على الروائع الادبية التي انجبها الفن البولوني في الرسم والحفر والنقش والتصوير ليزينوا بها منازلهم ودورهم او كنائسهم . واضطر فنانون كثيرون الى مغادرة البلاد والهرب من جو الضغط والارهاق مجتازين روسيا الى الاقطار الشرقية فوجدوا انفسهم وجهاً الى وجه امام مناظر طبيعية جديدة لم يألفوها من قبل تفيض نوراً وجمالاً وتبعث في نفس الفنان هزة شعورية حفزها صوراً ورسوماً تزيد النفس متعةً وحبوراً . وقد اقام هؤلاء الفنانون البولونيون في عواصم الدول العربية معارض مختلفة لما جادت به قرائحهم من الالواح الفنية ، وكلها مشبعة بالمؤثرات الشرقية تشع بالانوار البهية والخمائل الظليلة .

وقبل ان نختم هذا البحث يجب ان لا نغضي من ذكر ما طبع عليه ابن الشعب البولوني من التذوق الفني للجمال ممثلاً في الطبيعة ، ساعدته هذه الحساسية المرهفة على تكوين صناعة للتزيين خاصة به امتازت بجودة مصنوعاتها وبما تتجلى به من ذوق جعل الكثيرين ممن يقدرونها في بولونيا وفي الخارج يرغبون فيها . وقد تجلى هذا الفن على الاخص في الازياء وفي فن التحلية والوشي وحفر الاخشاب وفي صناعة السجاد والطنافس وفي المصنوعات الخزفية . واهم المناطق البولونية التي اشتهرت بهذه المصنوعات الفنية مقاطعة بودوليا في منطقة جبال تاترا ، ومقاطعة « خوتسول » (Hontzoules) في منطقة جبال تشارنوخورا (Czarnohora) ومقاطعة لوفيتش (Lowicz) بالقرب من العاصمة فارصوفيا .

الموسيقى — البولوني موسيقيٌ بالفطرة . فحب الموسيقى من المميزات الخاصة التي تطبع هذا الشعب بطابع يتفرد به عن كل ما سواه . فالغناء خير ما يترجم به البولوني عن عواطفه الزاخرة . فعمله ولعبه واوقات فراغه تصطحبها الانغام الشجية ، هذه الانغام التي تملأ النفس بهجة وتحمل الموسيقار على ان يحيّزها قطعاً فنية .

ولعل اقدم الاناشيد البولونية هذا النشيد المعروف ب « Bogurodzisa » الذي يشابه في الطقس البيزنطي « نشيد الثيوطوكن » يعني مديح العذراء مريم ام الله ، وهو نشيد قديم جداً يعود وضعه الى القرن الثالث عشر ، كثيراً ما يتغنى به الفرسان في حروبهم ومغامرات البطولة التي يقدمون بها ، امتاز بالرقة وسمو الايحاء . وقد وضع بعده مدائح دينية اخرى لا يزالون لليوم ينشدونها في الكنائس والمعابد . وقد كان عصر الانبعاث في اوروبة مجلى نهضة موسيقية

رائعة في بولونيا من مظاهرها العظيمةفي كراكوفيا كنيسة «الرورنتيست» Rorantistes . ومن مظاهر الفنون الموسيقية في بولونيا الرقص البولوني الذي انتشرت اصوله في الغرب خلال القرن السابع عشر . واول اوبرا بولونية نشأت تعود الى القرن الثامن عشر .

وقد انجبت المدرسة الرومنطيقية او الوجدانية نابغة الموسيقى في بولونيا ف . شوبين ١٨١٠— ١٨٤٩ (Chopin) وهو من اعلام الموسيقى ومن اشهرهم على الاطلاق ، وتعطي اناشيده المسماة مازوركا (Mazourkas) صورة رائعة للاناشيد الشعبية البولونية . وقد غنى في اناشيده المعروفة « بالاناشيد البولونية » امجاد الامة البولونية واعمال البطولة فيها . وقد استلهمت الامة البولونية ما لديها من روائع الموسيقى وطرائف الشعر الوجداني الذي نفخ صدور كتابها وشعرائها الوجدانيين لتتابع سيرها المجيد في الجهاد سعياً وراء حريتها ودفاعاً عن استقلالها .

ومن مشاهير الموسيقيين في بولونيا منيوشكو (Moniuszko) الذي نبغ في اواسط القرن الثامن عشر واليه يعود الفضل في امجاد « المغناة » ومن آثاره الرائعة الاناشيد Cantates وخدمة القداس Messes .

وقد انجبت المدرسة المعروفة ب«بولونيا الفتاة» ، القرن العشرين ، في الموسيقى فنانين مشهورين منهم روجتسكي (Rozycki) ولا سيما شيمانوفسكي (Szymanowski) ويتجلى النبوغ الموسيقي بنوع خاص في بادارفسكي (Padarewski) ١٨٦٠— ١٩٤٠ الذي عرف بفنه ملحناً ومؤلفاً وهو اكبر المؤلفين الموسيقيين انجبته بولونيا الحديثة . وقد عرفت آثاره بما فيها من إتساق وايقاع انسجمت معه اصول الموسيقى الكلاسيكية في الغرب والموسيقى البولونية . ولذا كان اثره بالغاً على الاجيال الصاعدة .

وقد امدّت بولونيا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين العالم بنخبة ممتازة من مديري الاجواق الموسيقية والمطربين الغنائيين والمؤلفين تعدت شهرتهم وطنهم فبلغت الاقطار القصية في الخارج . ولاتزال الاوساط البولونية على اختلافها تعنى كثيراً بالفنون الموسيقية وامتازت به على الاخص مدينة فارصوفيا التي عرفت بما عرفت به من اسباب الشهرة ، بالمعهد المعروف Philharmonie ، وبمعهد الموسيقى الوطني .

المسرح البولوني — لم تمكن بولونيا المستعبدة ، الخاضعة لاستبداد السلطة القائمة اتصلح كثيراً لازدها التمثيل وانطلاق المسرح . وشاهدنا على ذلك ان ليس بين آثار سلوفاتسكي وكراسنسكي المسرحية من رأس النور من قبل اوجرى تمثيله في احدى دوار التمثيل القائمة في قواعد البلاد الكبرى كفارصوفيا ولفوف وكراكوفيا وبوزنان مثلاً ، حيث كان يمثل على عكس ذلك بعض الروايات الرخيصة او المقتبسات المسرحية من روائع الادب الاجنبي .

الفرنسية مؤلفات هامة عن الاعتمادات المالية ونظام الصرافه كانت ذا اثر ظاهر على النظام الذي اتبعه البنك العقاري الفرنسي . وقد تولى بعض علماء الاقتصاد البولونيون وزارة المالية في النمسا اصلحوا كثيراً من النظم المتبعة فيها، كما ان الخبير المالي والاقتصادي بيلنسكي (Biligniski) تولى تدقيق ميزانية روسيا في العهد القيصري . وقد نبغ في بولونيا العروسيانية الاب «فورجنياك» الذي تولى وضع نظام التعاونيات في هذه المنطقة .

وقد اتسم علماء الاقتصاد البولونيون ببعدهم عن تلك النظريات الجوفاء والمذاهب الفارغة التي اثارتها الماركسية حول رأس المال، محبذين على الاكثر رأي «جيد» (A. Gide) في التعاونية الدولية . وقد اتجهت الدولة، في بولونيا المستقلة في سياستها المالية، شطر «التأميم» بالرغم من النقد الذي اثاره البعض .

اما علم الاجتماع، هذا العلم الحديث المستجد، فقد انتقل الى بولونيا المستقلة من خلال تعاليم سبنسر وبوكل (Buckle) فعني به كل من غومبلوفتش وزنانتسكي المعروف بنظرياته في الولايات المتحدة الاميركية . وتتمثل دراسة اللغات والعلوم الالسنية الاخرى بعالم مشهور بهذه الابحاث هو الاستاذ زيتلنسكي (Zyolignski) الذي الف بالالمانية والروسية .

العلوم — بعد ان فقدت بولونيا استقلالها وقُطِّعَت اوصالها، لم يعد جو البلاد فيها صالحاً لازدهار العلم والانصراف الى سباحثة والعناية بطلبه . فلا عجب، والحالة هذه، ان يفضل كثير من العلماء البولونيين اذ ذاك هجر البلاد والنزوح عن ربوعها الى حيث يستطيعون الانصراف الى نواحي اختصاصهم .

وما كادت تبعث هذه الدولة من جديد وتسترجع استقلالها السليب، حتى وجهت الحكومة جُلّ اهتمامها للعناية بالعلم وارباب . فاسست عدداً كبيراً من المختبرات العلمية التي تحتاج اليها الجامعات والكليات وامدتها بجهاز علمي حديث، مها بلغت كلفته، واستقدمت من الخارج العلماء البولونيين الاعلام وعهدت اليهم، كل بحسب اختصاصه، بمراكز التعليم في جامعات فارصوفيا وكراكوفيا، وبوزنان ولفوف، وفيلنو ولوبلين .

الفيزياء — وبعد ان هُيِّء الجو واخذ للامر عدته دب النشاط العلمي في كل مرافق العلم . فالفيزياء النظري والاختباري سار سيرته المحمودة الاولى، معيداً الى الاذهان امجاد مدام سكلودفسكا كوري، ونشط المختبر الذي انشىء في فارصوفيا على اسمها، حيث اتيح للعالمين البولونيين فروبلوفسكي واولزفسكي اسالة الغاز لاول مرة، وذلك سنة ١٨٨٣، وقد احرزت كلية العلوم في جامعة فارصوفيا شهرة عالية بما قطعه علم الفيزياء فيها من مراحل التقدم والرقي .

كان معهد الفيزياء الاختباري في بولونيا، قبل الحرب الاخيرة، من ارقى المعاهد الفنية

يعد بوغوسلفسكي بحق خالق المسرح البولوني ١٧٥٧ — ١٨٢٩ ، فقد كان، دوراً فدوراً، ممثلاً ومخرجاً ومديراً فنياً ومؤلفاً روائياً . فانشأ في فارصوفيا نفسها مسرحاً دائماً للتمثيل واقتبس بعض الروايات المسرحيات عن اللغة الفرنسية . ونبغ في اول عهد المدرسة الرومانطيقية الروائي الشهير فريدرو (١٧٩٣ — ١٨٧٦) اذ ينظر اليه البولونيون نظرهم الى مبدع الملهاة في الادب البولوني، نشأ في المقاطعة النمساوية . فبينه وبين «ماريفو» شبه كبير . وقد مثلت رواياته ولاسيما « الانتقام » على مسرح فارصوفيا لخلوها من روح الثورة، كما مثلت على مسرح كراكوفيا ايضاً . ولعل اشهر ممثلي هذا العصر الممثل هو جوكلوفسكي الكبير . وبين كبار الروائيين الغربيين الذين ترجمت آثارهم الى البولونية باقتباس ومثلت على مسارح البلاد شكسبير وموليير وسادو . ومن الممثلات الشهيرات اللواتي نبغن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الممثلة توجسكا التي لها الفضل الاول في تمثيل رواية سلوفاتسكي المعنونة «مازيبا» على مسارح فارصوفيا .

تولى مسرح كراكوفيا في اواسط القرن التاسع عشر الحركة التمثيلية في البلاد فمثل تباعاً روايات ارستوفانس وكالديرون وابسن وموليير وساردو . تولى اداراته كثيرون اشهرهم على الاطلاق بوليكفسكي . وقد نعم فن التمثيل في بولونيا ببعض النشاط على اثر الثورة الروسية التي نشبت عام ١٩٠٥ . ومن اشهر المؤلفين الروائيين «زابولس» التي توفت ١٩٢١ ، لها عدة مسرحيات اهمها : « ادبيات السيدة دولكا » وهي نقد لاذع لبعض العادات الاجتماعية .

وقد انجبت مدرسة « بولونيا الفتاة » احد مشاهير الروائيين فاعاد الى الاذهان ذكر السلف وامجاده الحية هو الروائي فسياتسكي (١٨٦٩ — ١٩٠٧) . كان في آن واحد شاعراً ومصوراً نابهاً قام لوحده بالمسرح في كراكوفيا مستلها مادته ، حيناً من تاريخ اليونان الاقدمين وحيناً من تاريخ بولونيا في الماضي السحيق واخرى من الحوادث الجارية . ومن رواياته المشهورة : «اخيلوس» ، «وليلةنوفمبر»، «والزفاف والخلاص» محولا اليه انظار الملأ. ولا سيما بروايته « الزمان » التي تميزت بوصف اخاذ . وقد اتسمت روايته بكونها خلواً من الابطال . ففي روايته اخيلوس نرى مدينة طروادة تسير نحو الهلاك ؛ وفي رواية « الزفاف » نرى كل الحضور يشتركون بالرقص مدفوعين اليه بتأثير سحري .

وموجز القول كان انتاج المسرح خصباً وافراً وقد شغف النظارة بالحوار التاريخي الذي كان يحسنه جداً نوفتشنسكي معطياً الى كبار الممثلين ادواراً رئيسية هامة . وبين الروايات المسرحية التي وصفها فرجنسكي يجب ان نخص بالذكر روايته المعنونة : بازيليا تيوفانو . ففيها استحضار شائق لمدنية بيزنطية .

وبعد ان استردت البلاد استقلالها السليب اخذت تشجع المسرح فازدهر في فارصوفيا تحت ادارة شفمان وأسترو وغيرهما من كبار الممثلين . كذلك نرى النهضة التمثيلية تعم المدن الكبرى

الاخرى حيث كانت تمثل روائع الادب الفرنسي والايطالي والانكليزي امثال مؤلفات برنارشو ، وبيراندلو ، وجيرادو ، وبنيفانت .

وقد نبغ في هذا العصر المؤلف الروائي المشهور رستفوروفسكي **Rostworowski** فنشر بالتتالي رواياته : يهوذا ، وكاليغولا ، والمفاجأة . وكلها تمتاز بالوصف الدقيق والتحليل النفساني والخلقي الرائع ، كما ان جيروسكي وضع روايات عالج فيها القضايا الخلقية والاجتماعية وذلك في روايتيه : السلوى والهاربة ، وعالج زفودزفسكي في ملهاته بعض مشاكل العلوم الطبيعية كنظرية اينشتين ، ونظرية الاحلام لفرلين .

وتسهيلا لرسالته التهذيبية نرى المسرح البولوني يقوم هو نفسه كما يقوم في البلدان الاخرى باعداد الممثلين والمخرجين ، مجرباً ان يشجع كل من انس فيه ميلا الى ذلك . وقد عم المسرح الطبقات الشعبية . فأنشىء لها مسارح خاصة تسعى الى ارهاف الذوق الفني في الشعب واغنائه وشحذه . ووجه المسرح عناية خاصة الى المدارس ودور التعليم كيف لا والتمثيل له خاصيات تعليمية لم ينكرها المربون منذ اواسط القرن السادس عشر ، فقد اخذ بها الاباء اليسوعيون وعمموا استعمالها في كثير من مدارسهم .

وقد اخذت صناعة السينما في بولونيا تزدهر في المدة الاخيرة ، كما نشطت ايضاً الاذاعة العلمية توجهها مصلحة الراديو وادارتها توجيها يرمي الى رفع مستوى الثقافة في الشعب .

الصحافة

عرفت بولونيا النشرات الدورية في عهد الجمهورية القديمة ،غير ان ظهورها في عهد المجلس الوطني الكبير (١٧٨٨ — ١٧٩٢) طرأ عليه فتور عظيم ، كيف لا والصحافة تزدهر وتنتشر يوم تنعم البلاد بالحرية والاستقلال ، وتصاب بالشلل والضمور يوم تخضع للضغط والارهاق . وهكذا نرى الصحافة البولونية تنشط بنوع خاص اثناء الثورة الكبرى ١٨٣٠ — ١٨٣١ في قواعد البلاد الكبرى ولا سيما في فارصوفيا ،كما تزدهر جداً ببوزنان ابان ثورة ١٨٤٨ . وبعد ان تم الغاء الرقابة في بولونيا الالمانية سنة١٨٤٨،وفي بولونيا النمساوية عام ١٨٦١،نرى الصحافة في المقاطعتين تستقبل عهداً جديداً من الرواج ، بينما بقيت تعاني الارهاق والضغط في المقاطعات الروسية حتى قامت ثورة ١٩٠٥ فالغيت المراقبة وقضي على كل اثر لها .

وما نالت بولونيا استقلالها حتى عرفت الصحافة فيها عهداً من الحرية لم تعهده من قبل حتى ان النظام الدكتاتوري الذي قام في البلاد عام ١٩٢٦ لم يتعرض لحرية الصحافة بشيء . وقد قام في البلاد جرائد عمرّت اطولها حياة :

بريد فارصوفيا	ظهر سنة ١٨٢٥	وطني معتدل
الطان في كراكوفيا	ظهر سنة ١٨٤٨	محافظ
النهار في بوزنان	ظهر سنة ١٨٥٩	محافظ

واليك اهم الجرائد التي قامت بين ١٩١٨ — ١٩٣٩ ما عدا المذكورة اعلاه

« العامل » — جريدة اشتراكية اسسها بلصدسكي سراً منذ العهد القيصري .

« بريد الصباح » — جريدة يسارية راديكالية — « غازيت بولونيا » وهي جريدة حكومية وكل هذه الجرائد كانت تظهر في فارصوفيا . اما في فيلنو فكنا نرى «البارول» ، محافظة — و«بريد بوزنان»جريدة وطنيــة . وكانت اكثر الجميع انتشاراً « العريد المصور » وهي جريدة مستقلة امتازت بحسن ادارتها وجودة تحريرها في كراكوفيا ، و« البتي جورنال » يتولى اصدارها الاباء الفرنسيسكان في فارصوفيا . اما خارج البلاد فكنا نرى « الكوتيديان » في دانتزيغ ، والصحافة البلطية » وكلاهما باللغة الالمانية .

تلك هي اهم الجرائد اليومية في البلاد . وكان هنالك بعض جرائد تظهر ثلاثة ايام في الاسبوع منها مثلاً في بولونيا الالمانية « غازيت جردز يونتس» التي بلغ عدد مشتركيها ١٤٠،٠٠٠ ساعدت كثيراً على صيانة اللغة في تلك المقاطعة والمحافظة على القومية .

ا.ا المجلات فكان عددها عظيماً يربطهـا بالمجلات الفرنسية كثير من الشبه تخصص حقولها للسياسة والفنون والادب والعلوم والدين ، معالجة كل القضايا التي لها مساس بالوطن او تمت بصلة الى الحياة العامة في الامة .

وقد كان للمجلات التالية اثر ظاهر في حياة الامة ، منها : « مجلة بولونيا » محافظة، ومجلة «الجامعة البولونية » قومية وطنية، ظهرت كلتاهما قبل الحرب العالمية ١٩١٤ ، وقام في اثناء الحرب المذكورة « العالم البولوني » اتصفت بعدائها الظاهر للالمان . اما في العهد الاخير فقد رأينا « المجلة العصرية » التي سارت على غرار « مجلة باريس » — وقد نهجت نهج « مجلة العالمين » الفرنسية المجلة المدعوة « مكتبة فارصوفيا » التي عمرت اكثر من ٨٠ سنة ، كذلك ســارت « المجلة العمومية » على نهج مجلة المباحث «Etudes» الفرنسية ولم تقصر حياتها عن سابقتها . وظهر في فارصوفيا مجلة فلسفية عرفت كيف تساير النظرية الوضعية هي مجلة «أتينايوم» . كذلك نشطت الاقليات العنصرية الاخرى الى تشجيع صحافتها فمنها ما كانت تصدره الجالية الاوكرانية ومنها الاقلية الالمانية التي كانت تمكنها وسائلها المادية الغنية وتشجيع الريخ لها من العناية بصحافتها ولا سيما بمجلاتهـا . كذلك هنالك مجلات هامة تنفق على نشرها الجالية اليهودية .

وهكذا نرى ان الصحافة في بولونيا كانت في مستوى رفيع كما يظهر من هذا الجدول ، تتراوح نزعاتها من اليسار الاشتراكي الى المحافظين المعتدلين، الى اليمين المعروف بصلابة العقيدة . اما الصحفيون فهم على فئتين : فئة الصحافة الحزبية وفئة المستقلين اي اصحاب الافكار المستقلة. واشهر اعلام الصحافة في المدة الاخيرة : بوَخنسكي و مشيتسكي و كلاهما محافظان، وسترنسكي وربسكي ونوفتشنسكي وطنيون، وبراكوير اشتراكي، وروبل مستقل، وسنكيلد يهودي .

نال الصحافة في عهد الاحتلال الالماني من الارهاق والعسف ما محتها فاضطرت الى الاختفاء والتستر في الدهاليز والسراديب حيث انتشرت بصورة لم نشاهده في بلد آخر ، بالرغم من صنوف الاضطهاد والتضييق الذي انزلها المغتصبون برجالها . فكانوا يقتلون بدون شفقة كل من اساؤوا الظن بهم، حتى الاولاد الصغار فانهم كانوا يعدمونهم عند رؤية السلطة لهم ناقلين شيئاً من الجرائد السرية . وقد استطاعت الصحافة السرية من تأدية اكبر خدمة للامة في محنتها مشجعة لها على الصبر والثقة بالمستقبل والامل والنصر القريب . وقد فكر المساهمون في تحرير هذه الصحافة بامور مستقبل البلاد فوضعوا نصب اعين الشعب منهاجاً مثالياً يصح ان يكون دستوراً للبلاد من الوجهة الاجتماعية والروحية . ففي هذه المختبرات الخفية التي كان يهدد القائمين عليها خطر العذاب والموت الشنيع ، بثّت الصحافة في الامة هذه الشخصية المتميزة التي تتفق كل الاتفاق وتلك المثل العليا المشبعة بروح الحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة الذاتية وقيمة العائلة وتفوق الروح التي كانت خير ميراث تركته الاجيال السابقة . فاذا بها تنجلي في ثورة ١٨٣٠ ، وفي حركة الهجرة الواسعة

التي رافقتها ، فجعلت من الامة البولونية وحـدة متميزة تبتعد جداً عن المنجهية الالمـانية والشيوعية الروسية .

وقد احدثت الهجرة الجديدة صحافة قوية تميزت اجمالًا بحسن ادارتها وقوة تحريرها، باعثة في في ابناء الوطن المهاجرين الامل بالبعث القريب والاستقلال . فكان لاقل جالية بولونية في الخارج صحافتها الدورية . ومن الجرائد الجديرة بالذكر « العالم الجديد» ظهرت في اميركا، و « الاخبار» في لندن وبروكسل ، و «النسر الابيض » للجيش ، وجريدة «باسم الله » الواسعة الانتشار . اما في الشرق فقد ظهر من الجرائد البولونية « بريد بولونيا » في بغداد ، وصحيفة « بولونيا» ومجلة « بولونيا » والنشرة الاسبوعية » المنتشرة بين الجيش ، في القدس . وقد ظهر في بيروت جريدة : «الخط العامودي» ، و « الطائر والاخبار الكاثوليكية . »

اما الصحافة ، اليوم ، في بولونيا المحررة كما يدعون ، فحالتها تدعو الى الاسف ، فهي تحت الكابوس الشيوعي حيث لا يمكن ان تقوم صحافة مستقلة . فالحكومة القائمة في بولونيا تتولى نشر بعض وريقات بغيضة ينظر اليها الشعب ازدراء واحتقاراً ، لغثتها السقيمة . وهنالك بعض صحائف اخرى كاثوليكية النزعة لا تجرؤ على معالجة الامور الا بصورة عامة ولا سيما ما تعلق منهـا بالاخلاق والاجتماع والادب والفن . واهم هذه الصحائف ينشر اليوم في مدينة كراكوفيا بعنوان: « الاسبوع العام » وهو خاص بالامور الدينية، وهنالك مجلة شهرية تدعى « فارس العذراء » .

*

التربية والتعليم والتنظيم العلمي

المدارس — قامت بولونيا ، بعد ان بعثت دولة حرة مستقلة ، بجهود عظيم لتسد الثلمة التي تركتها الدول المغتصبة في نظامها التعليمي املاء لهذا الفراغ الشاغر في امورها التربوية . فقد جعل الدستور التعليم الابتدائي الزامياً لجميع الاولاد ، كما نص على جعل التعليم الابتدائي والثانوي الرسمي الزامياً مجانياً ايضاً . وكان يقوم الى جانب مدارس الحكومة مدارس خاصة كثيرة تتولى التعليم الابتدائي والثانوي يتولى العناية بها الخاصة او تقع عهدتها على البلديات او مراكز الاقضية . وقد رافق النجاح التام هذه الجهود الطيبة ، ودليلنا على ذلك ان معدل الامية هبط بين ١٩٢١ — ١٩٣١ بنسبة ١٠ بالمئة كما زاد عدد المدارس الابتدائية مائة بالمائة .

يذهب الاطفال قبل السابعة من عمرهم الى مدارس الحضانة « او ما قبل المدرسة » التي بلغ عددها سنة ١٩٣٦ نحواً من ١٧٠٠ مدرسة ضمت ٨٧٠٠٠ طفل . وعندمايبلغ الولد السابعة يدخل التعليم الابتدائي ومدته سبع سنوات . وقد كان في بولونيا من المدارس الابتدائية ، عام ١٩٣٩ ، نحو من ٢٨٨٨١ مدرسة تضم ٥٠٠٠٠٠٠ تلميذ . وللتدليل بجهود الحكومة البولونية في هذا الصدد يطيب لنا ان نضع تحت انظار القارىء الكريم بعض الاحصائيات المقارنة في البلدان الاوروبية . فمن الاولاد الذين هم بين ٧—١٤ من سنهم يبلغ عدد من يذهب منهم الى المدرسة الابتدائية المعدل التالي : ٥٧ في رومانيا ، و٦٢ في ايطاليا و٧٢ في روسيا ، واكثر من ٩٠ في بولونيا .

ينتقل الطالب بعد الدراسة الابتدائية الى التعليم الثانوي حيث نرى الجناز (٤ سنوات) والليسيه او الكلية (ومدتها سنتان) والمعاهد المهنية الثانوية . وكنا نرى في بولونيا في عام ١٩٣٧ نحواً من ٧٨٤ معهداً ثانوياً يؤمها ٢٢٠٠٠٠ طالب كما تضم المعاهد المهنية الاخرى ١٨٠٠٠٠ منهم .

ما بعد الدراسة — اما التعليم غير الرسمي فقد كان ناشطاً جداً باشكاله المختلفة كالدروس التكميلية المهنية ، والدروس العامة للكبار وللشباب ، والدروس الليلية والدروس الاحدية ، والجامعات الشعبية . ففي عام ١٩٣٨ كان عدد الاساتذة الذين يقومون باعباء هذا التعليم ١٢٠٠٠ استاذ يتولون ٦٠٠٠ درس تلقى على ١٣٠٠٠٠ تلميذ ، كما كان يعطى ١٣٠ درساً آخر في كليات العمال و ٢٢٠ مدرسة ليلية اخرى . وقام في الجيش شيء شبيه بما ذكرنا حيث كان الجندي يتلقى مع التعليم العسكري دروساً تكميلية في الثقافة العامة او خاصة بالثقافة المسلكية والمهنية .

التعليم الجامعيــ قام في بولونيا ، قبل الحرب الاخيرة ٢٩ مدرسة عالية ، منها ٦ جامعات حكومية : جامعة كراكوفيا المؤسسة سنة ١٣٦٤ — وجامعة فيلنو (١٥٧٨) — وجامعة لفوف (١٦٥٨) . وجامعة فارصوفيا (١٨١٧) —وجامعة بوزنان(١٩١٩)وجامعةلوبلين الكاثوليكية (١٩١٨) . ومنها مدرستان بوليتكنيك : اي معهدان عاليان لتخريج المهندسين : احداهما في فارصوفيا والاخرى في لفوف . وجامعة حرة مستقلة في فارصوفيا تتمتع بسائر امتيازات وحقوق جامعات الدولة . وكليتان : احداهما للطب البيطري في لفوف والاخرى للمعادن في كراكوفيا . وكليتان للفنون الجميلة (فارصوفيا وكراكوفيا)،وكلية للاقتصاد الريفي(فارصوفيا) واربع معاهد عليا للتجارة (فارصوفيا — كراكوفيا — لفوف — وبوزنان) ، وكليتان للعلوم السياسية (فارصوفيا — فيلنو) . ومعهد للصحافة (فارصوفيا) ، ومعهد للدروس الشرقية (فارصوفيا) ، والمعهد الاوكراني للفلسفة واللاهوت (لفوف) .

وكان يؤمن التعليم الجامعي العالي في سنة ١٩٣٩ ، نحو من ٢٨٥٠ مساعداً او معيداً و٩٠٧ اساتذة . يحق الانتساب للجامعة لكل من حاز شهادة البكالوريا . وبلغ عدد الطلاب الجامعيين ٥٠٠٠٠طالب بينهم ١٣٦٠٠ طالبة . وهنالك معاهد عليا للرياضة البدنية ، اذ كانت الدولة تحرص جداً ان توفر للشبيبة عقلاً سليماً في الجسم السليم . اما العناية بالتعليم الجامعي الخاص فقد كانت شديدة ولا سيا في المدارس التي يشرف عليها الجيش .

المكتبات وخزائن الكتب ــ المكتبات العامة هي الاسس التي ترتكز اليها الابحاث العلمية والركن الوطيد الذي تقوم عليه الثقافة العامة في الامة والتربية الحديثة ، والسبيل الوحيد الى تيسير العلم ونشره بين مختلف الطبقات. وكانت خزائن الكتب في بولونيا موضوع عناية الجميع منذ أمد بعيد ، اذ كانت الأسر الكبيرة في البلاد تتبارى فيا بينها لانشاء خزائن الكتب ودور المحفوظات . فلا عجب بعد هذا ، ان نرى المكتبات في جامعات بولونية التاريخية تتباهى بما فيها من الغرر والدرر وروائع الفكر والادب. فالمكتبات الكبرى في بولونيا هي مؤسسات وطنية ومعاهد اهلية تتولى ادارتها الدولة او منظمات حكومية . فالدولة تحرص الحرص كلها على ان تؤمن لهذه المكتبات ادارة فنية وتنظياً علمياً حديثاً يتفق ومقتضيات الثقافة والعلم الصحيح ، كما انها لا تتقاعس قط عن ان توفر لها ما يلزم من المجاميع العلمية ، مهما غلت او بلغت اثمانها . وكانت هيأة ادارة هذه المكتبات موضوع نظر الدولة وعنايتها الشديدة ، فلا تولي ادارتها الا من كان يحمل شهادات جامعية وشهادة تخصص بفن تنظيم المكتبات الحديث لئلا يأتي العمل فيها مضيعة للوقت والمال ومفسدة لاهدافها الثقافية . وكان امناء المكتبات البولونية يؤلفون فيا بينهم اتحاداً يرتبط باتحاد امناء المكاتب الدولي .

واكبر المكتبات البولونية على الاطلاق واعظمها شأناً هي مكتبة فارصوفيا الاهلية اذ يربو ما فيها من الكتب على ١٢٥٠٠٠٠ مجلداً وتضم مجاميعها فيما تضمه من كنوز العلم والمعرفة نسخة كاملة من كل ما نشر او طبع في بولونيا الحديثة .

ويلي هذه المكتبة شأناً واهمية مكتبة ياجلون في كراكوفيا اذ تضم اكثر من ٦٠٠٠٠٠ مجلد . وبلغ عدد ما يوجد في بولونيا من المكتبات ، عام ١٩٣٩، نحواً من ٢٢ مكتبة علمية كبرى تحوي جميعها ثلاثة ملايين ونصف من المجلدات، و١٥ مكتبة اقليمية تابعة للدولة يزيد ما فيها على نصف مليون مجلد ، و٢٢ مكتبة اخرى للعلوم الدينية فيها ٥٧٩٠٠٠ كتاباً ، و١٤ مكتبة علمية للجيش فيها ٢٧٠٠٠٠ مجلد . وقد كان لكل مدرسة مكتبتها الخاصة، ولهذا بلغ عدد المكاتب في المدارس الابتدائية ٢٥٠٠٠ مكتبة تضم خمسة ملايين مجلد . وكان يقوم لدى المكتبة الاهلية في فارصوفيا معهد خاص يدعى « المعهد البيبليوغرافي » ، يعنى بكل ما له علاقة بالكتاب ومادته وتسهيل متناوله وتنظيم معارضه وفن تنسيق الكتب واحصائيات النشر والطباعة في البلاد . وبالاختصار بلغ ما حوته المكتبات في بولونيا، من الكتب والمؤلفات ٢٠٠٠٠٠٠٠، مجلد .

وقد بذلت الحكومة البولونية جهداً طويلاً لتعويد الاهلين على القراءة والمطالعة وحملهم بكل ما لديها من وسائل التشويق على حب الكتاب ومعاشرته وملازمته والاستفادة مما فيه من كنوز العقل والفكر والعلم . فانشأت ، علاوةً عن المكاتب التي اتينا على ذكرها ١٨٦٠٠ غرفة للمطالعة . وكان فضلاً عن ذلك كثير من المكاتب النقّالة او السيّارة تنتقل بين الارياف والقرى ، فتعير الفلاحين والقرويين ما يرغبون في مطالعته .

المتاحف — واكملت الحكومة جهاز التعليم واتمته بانشاء المتاحف . واشهر هذه المعارض متاحف كراكوفيا وفارصوفيا ولفوف وفيلنو . وكثيراً ما كان المتحف مركزاً نشيطاً للبحث العلمي . وكنت ترى في بولونيا ، عام ١٩٣٩ نحواً من ١٧٥ متحفاً منها ٣٠ في العاصمة فارصوفيا، و١٧ في لفوف ، و١٣ في كراكوفيا ، تتوزع من حيث صفاتها ومميزاتها الى ٥٨ متحفاً عاماً و٢٤ للفنون وما اليها و١٨ للتاريخ وعلومه ، و١٤ للاثنوغرافية ، و١٣ للعلوم الطبيعية ، ومتحفان للعلوم الحربية والامور العسكرية .

المؤسسات العلمية — للجمعيات العلمية في بولونيا شأن واي شأن . فخطرها عظيم جداً في بث روح الثقافة العلمية ورفع مستواها بين الاهلين على اختلاف طبقات الامة . يأتي في مقدمتها جميعاً اكاديمية العلوم في كراكوفيا التي تأسست عام ١٨٧٢ ، وساهمت على قدر واسع في ترقية العلوم ولا سيما في عهد الضغط والارهاق الذي اجتازته البلاد بصبر واناة . ان ما تضعه الاكاديمية من البحوث الشيقة وما تنشره من المطبوعات العلمية المخدومة جعل لها شهرة عالمية ، يذكيها ما يقوم

فيها من متاحف ومكاتب وما لها من فروع في رومة وباريس .

وعلى غرار هذه الاكاديمية يقوم في فارصوفيا ولفوف منظمات علمية تساهم هي ايضاً ، وعلى نسبة عالية ، في نشر المعرفة والعلم . فالجمعية العلمية التي اعيد تنظيمها في فارصوفيا ، عام ١٩٠٧ ، ليست بالواقع سوى بعث جديد للجمعية الملكية العلمية التي قامت فيها منذ القرن الثامن عشر .

وكان يقوم في كل من حواضر البلاد الكبرى امثال : فيلنو وبوزنان وغدانسك وكاتوفيتش ، ولوبلين وبلوك ، وطورن وبرزمسل جمعية تعرف بجمعية اصدقاء العلم . وفضلاً عن هذه المنظمات العلمية نرى جمعيات اخرى ، كالجمعية التاريخية والفلسفية والطبية وجمعية العلوم الطبيعية ، الخ . وقام في مدينة غدينيا « المعهد البلطيقي » يتولى النظر في قضايا الشعوب البلطيقية على اختلافها ، كما قام في بوزنان « المعهد السلافي » ، وفي فارصوفيا « المعهد الشرقي » . ويبلغ عدد الجمعيات العلمية في بولونيا ٣١٩ جمعية مختلفة ، تستأثر فارصوفيا منها ب ١٤٣ جمعية . ومن الجدير بالذكر في هذا المضمار ، المؤسسة المدعوة : « صندوق الثقافة الوطنية » ، يعود فضل ايجاده الى اقتراح تقدم به المارشال بلسدسكي . وهي منظمة لها استقلالها الذاتي : ادارياً ومالياً ، تعهدت الدولة ان ترصد لها سنوياً في صلب موازنتها العامة ما يزيد على مليون زلوطي . ومن اغراض هذه المنظمة والاهداف التي ترمي اليها تنشيط البحث العلمي في البلاد ومساعدة القائمين به مالياً ، والنظر في الاقتراحات العلمية الجدية ومناصرة اصحابها ، ومد يد المساعدة للمطبوعات العلمية ، والعطف على نوابغ الطلبة الذين ليس في مقدورهم اكمال دراستهم العالية ، ومؤازرة البعوث العلمية في الخارج .

وقام على غرار هذه المنظمة منظمتان جديدتان : « معهد اوسولنسكي » في مدينة لفوف و « معهد ميانوفسكي » في فارصوفيا . وكانت الحركة العلمية في بولونيا على اتصال وثيق العلمية في العالم قاطبة ، تقتبس منها كل ما هو مفيد خليق بتنمية الروح العلمية في البلاد ورفع مستواها الثقافي . ولذا رأينا كثيراً من المؤتمرات العلمية الدولية تنعقد في بولونيا منها سنة ١٩٣٣ ، المؤتمر العام للتاريخ ، وسنة ١٩٣٥ ، المؤتمر العام للجغرافية .

التربية البدنية — ولما كانت بولونيا تشعر بما للرياضة البدنية من عظيم الشأن والخطر من الوجهة الاجتماعية والصحة العامة واعداد النشء الطالع اعداداً يتلاءم والمسؤولية العديدة المنوطة به انصرفت الى تعزيز هذه الناحية والنهوض بها الى مستوى الامم الراقية . فقامت في طول البلاد وعرضها منظمات علمية واجتماعية وجهزت باحسن ما يكون الجهاز العلمي الحديث لتتمكن من الاضطلاع بتنشئة الاجيال الطالعة جسمانياً وصحياً وتسليحها للحياة .

وكانت عمدة التربية البدنية تتألف من كبار الشخصيات العلمية التي تعنى بالبيداغوجيا والامور التربوية او تشرف على منظمات الشبيبة الخاصة ومن الوزراء الذين يعنيهم الامر وغيرهم ممن انصرفوا الى بحث القضايا التوجيهية وجعلها في منسق واحد يؤول الى رفعة شؤون الدولة .

وقد قام في فارصوفيا بنوع خاص « المعهد المركزي للتربية البدنية » ، وهو معهد ينتظم فيه كبار الاساتذة والمربين لاتمام ثقافتهم وتحصيلهم الجامعي من هذه الجهة . وكان يقوم الى الكليات والجامعات في كراكوفيا وبوزنان فروع خاصة تنصرف الى تنشيط الامور الرياضية وتنظيمها في البلاد .

وكان هنالك منظمات خاصة ونواد مختلفة لتشجيع الرياضة البدنية . كالملاعب والمنسرحات والمتنزهات والاحواض ومناطق للتزلج على الجليد وغير ذلك من المنشآت التي تنشط الحركة الرياضية والتربية البدنية .

وعلاوة على هذه الاعمال المتعلقة بالتربية البدنية والتي نرى معظمها منتشراً في جميع اقطار العالم قام في بولونيا نوع خاص بالرياضة البدنية على الطيران والتحليق في الجو في طائرات لا محرك لها واعمال الفروسية ، وركوب الخيل والصيد والقنص والتزحلق على الثلج والسباقات الدولية في عبور الاطلانتيك . وهكذا نرى ان الحركة الرياضية البدنية كانت جداً ناشطة في بولونيا ولا سيما بين طبقات الشعب العاملة .

الحالة الحاضرة — رأينا من هذه العجالة المجهود الجبار الذي قامت به الامة البولونية ، خدمة للعلم الصحيح والتمكين للثقافة الحقة في البلاد ، والنتائج الباهرة التي اسفرت عنها هذه الحركة العلمية الرائعة . ومن دواعي الاسف المرير والاسى المضني ان الحرب الاخيرة قد قوضت هذه الاركان ودكت صروح العلم وزعزعت اصوله في طول البلاد وعرضها ، بصورة وحشية بربرية تقشعر لهول فظائعها الابدان . فالعلماء قتلوا وكبار الاساتذة شرّدوا في مهاب الارياح الاربعة ، كما بعثرت روائع الفن في المتاحف وديست الطرائف الغوالي في المكاتب ، وتعطلت وسائل العلم وادواته في المختبرات وأقفلت المعاهد الكبرى وأغلقت الجامعات، وفُضت الجمعيات الثقافية وحُجر على الكثيرين من اعضائها الاعلام . كل هذا ، تنفيذاً لمشروع تهديمي وضعت تفاصيله الدقيقة العبقرية الالمانية عن سابق قصد وتصميم ، قتلاً للامة البولونية ومحواً لها . ولم يثبت لدينا ان الاحتلال الحاضر قد حسّن كثيراً من هذه الحالة : فلم يعد الى العلم حريته والى الاساتذة طأنينتهم . ولا يزال الجو متجهما مثقلاً، اذ ان البلاد لم تتمتع بعد باستقلالها الصحيح وسيادتها الحقة .

*

القضية البولونية اثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها

المسؤولون عن هذه الحرب

سياسة الدول العظمى ــ كانت سياسة الدول العظمى تستهدف في الفترة التي فصلت ما بين الحربين الاخيرتين المحافظة على السلام كما اقرته المعاهدات بعد الحرب العالمية الاولى . ويؤسينا ان نقول بان الطرق التي سلكتها في هذا السبيل كانت ملتوية ، كثيراً ما كنا نستشف من خلالها تفرقها رأياً وكلمة ، وتهربها مستخذية من الصمود في وجه المعتدي ، مؤثرة استرضاءه بسلسلة لا حد لها من التراضي والتنازل ، اشباعاً لاطماعه الاشعبية . وكان من جراء هذه السياسة ، سياسة الاسترضاء والتهدئة ، ان جرفت بالعالم الى الهوة السحيقة .

فمؤتمر مونيخ (ايلول ١٩٣٨) يعد الذروة من هذه السياسة التي انتهجتها المانيا للتغرير بنيات دعاة السلم في العالم . وقد تكشفت سياسة الارضاء هذه عن افلاس مريع اذ ادت في اذار ١٩٣٩ الى ابتلاع تشيكوسلوفاكيا من قبل المانيا الهتلرية .

فكان هذا الحادث نقطة التحول في السياسة الدولية اذ ادركت الدول العظمى آنئذ ان لا محيص لها عن الحرب وان لا بد لها من اللجوء الى القوة الغاشمة لصد التعدي وايقافه عند حده . فرأت نفسها في استعداد كلي لتؤلف من بعضها البعض جبهة الدول المسالمة الدفاعية . الا ان هذه السلسلة المتتابعة من التراجع والتقهقر امام الاطماع الالمانية كانت ضربة شديدة توجه ضد ضمير الانسانية المسالمة فقوضت الثقة في العالم واصبح الجميع يعتقدون ان الوقوف في وجه التيار لا بد له ان يؤدي الى هزة سياسية عنيفة . وقد خطت الخطوة الحاسمة في هذا السبيل الحكومة البولونية نفسها فكان موقفها الحازم النواة الاولى التي تمركز حولها الصمود في وجه المطامع الالمانية .

الاهداف الالمانية وفي شتاء ١٩٣٨ — ١٩٣٩ وجدت بولونيا نفسها وجهاً لوجه مع الاهداف الالمانية التي اثارت قضية دانتزيغ . وقد رأى هتلر ان يلوّح اذ ذاك امام انظار المسؤولين في بولونيا بتعاون حربي بين المانيا وبولونيا ضد روسيا مغرراً بهم بامكانيات معسولة تؤدي الى توسيع رقعة بلادهم في الشرق على حساب الاتحاد السوفياتي . وقد ابى قطعاً وزير خارجية بولونيا الكولونيل بيك (Beck) ان يعير هذه العروض لفتة ما ، وذلك تأييداً منه لسياسة السلام التي اخذت بولونيا دوماً بمبادئها العالية وبراً منها بالعقود والعهود المقطوعة للاتحاد السوفياتي وحفاظاً على حسن الجوار معه .

وقد ادركت الحكومة البولونية بجلاء ووضوح اللعبة التي تبيّت لها الدعاوة الالمانية ومـا تخفيه من مناورات بعيدة وراء هذه الالاعيب . فتبدت لها وراء قضية دانتزيغ الدفعة الالمانية نحو الشرق واخضاع بولونيا . فيكون استسلام بولونيا والخضوع لمشيئة هتلر ، والحالة هذه ، في هذه المطفة الهامة، اشد وبالاً واشد اثراً من انكسار الديمقراطية في مونيخ، الامر الذي سيؤول الى توطيد التوسع الالماني .

وقد بدا التوتر الالماني البولوني وبرز على اشده في النصف الثاني من اذار ١٩٣٩ ، فلم تخف الحكومة البولونية ان كل ما من شأنه ان يلحق الاذى بمصالح بولونيا الحيوية في دانتزيغ او في اي ناحية اخرى سيؤدي حتماً الى النزاع المسلح بين الدولتين .

الجمهور لمنع المغامرة — وقد كان هذا الموقف الحاسم تقفه بولونيا امام المطامع الالمانية تُكأةً استندت اليها الدول المسالمة لتركيز سياستها وتكييفها نحو الاعتداء الالماني . فقد بدت للجميع شدة الضرورة لافهام كل حكومة دكتاتورية تود تحقيق اغراضها بالقوة والعبث بمصالح العالم انها ستصادف قوة خليقة بان تصمد لها وتقف حجر عثرة فيسبيل طريقها . ففي اوائل نيسان اعتزمت بريطانيا العظمى ، مخالفة في ذلك تقاليدها الدهرية ، ان ترتبط بالتزامات جديدة ترمي الى تبادل التعاون المشترك بينها وبين بولونيا . وقد قطعتا بهذا الصدد عهداً صريحاً وقعته كل منهما بتاريخ ٢٥ آب ١٩٣٩ اما فرنسا وهي مرتبطة من قبل مع بولونيا بتحالف يشدهما منذ ١٩٢١ وبميثاق عسكري يعضده ويؤيده ، فقد رأت اذ ذاك لزاماً عليها ان تعلن عن تضامنها من جديد وان تؤكد امانتها واخلاصها للعهد المقطوع . ففي هذا الموقف ما فيه من انذار صريح لهتلر فلعله يرعوي .

وقامت الدول الغربية تسعى من جهة اخرى مع بولونيا لحمل المانيا على تصفية هذه الازمة بالتي هي احسن وبوسائل مسالمة . فقامت بولونيا تصرح عالياً عن حسن استعدادها للدخول في مفاوضات من شأنها تخفيف الشدة وتفريج الكربة تجنباً للحرب وويلاتها، وقد رأت لزاماً عليها ، تقوية لروح التعاون السياسي والفني بينها وبين الدول المسالمة، ان تواجه بحث مقتضيات عسكرية يتطلبها الوضع الراهن وحرج الحالة وتوترها . وقد تمكنت من اقناع الحلفاء بالخطر الداهم باذلة جهدها بالا تتكرر في هذه المطفة الخطرة من مصير العالم مأساة مونيخ . وقد شقت الحكومة البولونية في هذا الجو الذي اخذت على نفسها تنقيته سياسة لها اتسمت بالحكمة والروية والدربة ، وهي جداً حريصة بان لا تستهدف حكم التاريخ باثارة الحرب، فينسبون اليها مسؤولية اعلانها .

كذلك اخذت الدول الغربية الكبرى على نفسها حتى الدقيقة الاخيرة ردع هتلر بما لديها من الوسائل الديبلوماسية المعروفة .

هتلر ووسائله — لم يكن هتلر يقتنع قط ، بان انكلترا وفرنسا تدخلان الحرب الى جانب بولونيا . وكيف به يقتنع وامثولة مونيخ ماثلة امامه ؟ . فلم يسقط من حسابه ان بولونيا تستسلم حتماً اذا ما تخلتا عنها . وفي هذه الحالة يعتقد ان الحرب بينهما تنحصر فيها فيتاح له اذ ذاك سحق عدوه منفرداً . وتحقيقاً منه لهذه الاحلام اخذ يشن نوعاً من حرب الاعصاب للتأثير على الرأي العام العالمي .

ففي اواخر نيسان ١٩٣٩ قام هتلر يلغي ميثاق عدم الاعتداء المعقود بين المانيا وبولونيا . وقام الكولونيل بيك يفند باسم الحكومة في جلسة هامة من جلسات المجلس النيابي عقدت بتاريخ ٥ ايار الادعاءات الالمانية التي تهدد في وقت واحد سيادة بولونيا وسلامتها . واخذت الدعاوة الالمانية ترفع عقيرتها عالياً ملوحة امام الرأي العام باضطهادات مزعومة تصيب الاقلية الالمانية في بولونيا ، وهي ترمي من وراء هذا وغيره من الاساليب التي تتذرع بها الى القاء مسؤولية الحرب على بولونيا . وقد رأت بولونيا نزولاً منها عند رغبة الدول المحبة للسلام ان تمتنع ، بالرغم من حرج الموقف وتأزم الحالة حتى عن اخذ الاستعدادات الحربية الاولية التي يتطلبها امر الدفاع عن سلامتها كالدعوة الى حمل السلاح مثلاً . وهكذا لبث السلام يتأرجح بضعة شهور بين كفتي القدر الى ان حم القضاء ووقع المقدور على قطاع آخر من السياسة الدولية .

دور الاتحاد السوفياتي — كان هتلر واركان حرب الجيش يرغبان جداً في الحرب على شرط ان يتفاديا على جبهتين معاً . وهنا يبدو لنا الدور الذي قام به الاتحاد السوفياتي اذ لم يكن احد من الجانبين فطن له من قبل . فقد حملت حكومة موسكو مصير السلام بين راحتيها . وقد كان من الطبيعي ان يتنكب هتلر وعصبته عن الحرب فيما لو اعلنت موسكو تضامنها مع الدول الغربية وصرحت بانها ستشد منها الازر في حال نزاع مسلح . وقد كان يكفي لمنع الحرب وصد الالمان عن العدوان ان يعقد الاتحاد السوفياتي مع فرنسا وبريطانيا العظمى وبولونيا نوعاً من الاتفاقات العامة ينص على التعاون معها ، كيف لا وقد حق لهذه الدول ان تعتمد على مثل هذا التعاون من الجانب الروسي بعد التصريحات السابقة التي اعلنها من قبل . وقد ارتدت العلاقات الروسية البولونية اذ ذاك طابعاً مرضياً . وقامت الحكومتان الروسية والبولونية تعلنان متفقة مشتركة ، بعد مونيخ ، في كل من موسكو وفارصوفيا ، عن علاقاتها الودية التي لا تنفصم عراها ، هذه العلاقات القائمة على المعاهدات المعقودة . وقد صرح السيد بوتيومكين (Potiomkine) المندوب الخاص للحكومة الروسية باسم حكومته انه في حال نزاع يشجر بين

بولونيا والمانيا فان روسيا تقف من بولونيا موقفاً مشبعاً بالعطف .

ففي اواخر نيسان ١٩٣٩ ، شرعت كل من موسكو ولندن وباريس بمفاوضات بينها كما ان بولونيا اعربت عن حسن استعدادها للتعاون عسكرياً مع الاتحاد السوفياتي على شريطة ان لا يمس هذا التعاون باذى سيادة بولونيا وسلامة اراضيها . كل هذا والمفاوضات بين الدول الغربية وروسيا قائمة الى اواخر آب . وكم ألحق السوفيات بالدول الغربية من خيبة مريرة بفرضهم مطالب جديدة كلما كانوا يرون ان امل الاتفاق معها اصبح على قاب قوسين وادنى .

مردّ ذلك الى انه بينما كانت المفاوضات دائرة بين حلفاء بولونيا وبين الاتحاد السوفياتي كانت مفاوضات سرية تدور من جهة ثانية بينه وبين هتلر . لم تكن بالطبع اهداف الدول الغربية العامة لتأتلف كثيراً مع الاهداف العامة التي ينشدها الاتحاد السوفياتي : كانت فرنسا وانكلترا ترغبان بحرارة اجتناب الحرب وتوفير ويلاتها على البشرية بمنع الاعتداء الالماني ، بينما كان الاتحاد السوفياتي يستهدف من ناحيته البقاء بمعزل عن الحرب والوقوف منها على الحياد على شريطة ان يعود عليه هذا الموقف بانبساط رقعته غرباً باقتطاعه من جديد بعض الاقاليم اذ تمكنه من تحقيق اغراضه البعيدة المدى .

ليس من يجهل بعد اليوم الخاتمة المفجعة لهذه اللعبة الخطرة ، اذ شهد العالم وهو مشدوه توقيع معاهدة جديدة تقر وتكرس اتفاقاً روسياً المانياً ابرم بتاريخ ٢٣ آب ترك فيه لالمانيا حرية العمل والتصرف على هواها . وقد نصت المادة ٢ من هذه المعاهدة على انه في حال قيام نزاع مسلح يتعهد الاتحاد السوفياتي بالاّ يؤيد ، باية صورة او كيفية كانت ، خصوم هتلر . وتنص المادة ٤ منها على عهد قطعه الاتحاد السوفياتي بان لا يشترك ، لا من قريب ولا من بعيد ، باي اتفاق موجه ضد المانيا .

ونعرف اليوم ان ثمة ملاحق سرية الحقت بهذه المعاهدة السرية المعرمة بين الطرفين السوفياتي والالماني تنص على وجوب اعطاء الاتحاد السوفياتي اراضي واسعة على حساب بولونيا . وهكذا تسلح هتلر بتأكيدات جازمة ان الاتحاد السوفياتي يبقى محايداً في حالة نزاع مسلح بين المانيا من جهة وبين بولونيا وحلفائها من جهة اخرى . وهكذا باء بالفشل ذلك النشاط الجم الذي اضطلعت به ديبلوماسية الدول الغربية في الاشهر القليلة التي سبقت انفجار الحرب مباشرة ، بعد هذا الدور المسرحي الذي شهده العالم . فما كادت الاعيب هتلر تحبط مساعي السلم وتبطل مفعول المفاوضات السياسية حتى قام في غرة ايلول ١٩٣٩ يعلن الحرب على بولونيا في ٢ ايلول ١٩٣٩ .

المبادرة وخطة العمل ايلول ١٩٣٩ ـــ وضع هتلر في جيبه اتفاقه الاخير مع الاتحاد السوفياتي الذي أمّن لالمانيا حرية العمل وحرية التصرف وترك لها الخيار في تعيين الوقت الميمون للانقضاض والشروع بالاعتداء اينما شاء .

يتبين اليوم على انوار محاكمة مجرمي الحرب في نورمبرغ بعد ان كشفت الستار عن نيات هتلر كيف ان هذا اخذ يوضح لمعاونيه ومستشاريه انه في حال هجومه على فرنسا لا بدّ لبولونيا ان تهب لنجدتها فتهاجم المانيا من الوراء ، بينما هو يرى العكس في العكس ،اي يرى ان الجيش الفرنسي سيبقى مكتوف الايدي اذا ما هاجمت المانيا بولونيا .

فخطة هتلر تقوم بدءاً بحشد معظم قواه ضد بولونيا ، بينما يترك في الغرب اي على الجبهة الفرنسية الانكليزية ،بضعة عشر فرقة ترتكز الى تحصينات خط سيغفريد المنيع . وهكذا يتيسر له على الجبهة البولونية سبعون فرقة على غاية الاهبة الحربية يظاهرها من الوراء احتياطي لا حصر له ، يستطيع معها فوراً الانطلاق الخاطف في الميمنة والميسرة والتغلغل بعيداً ،من خلال القاعدتين الحربيتين اللتين اقامتهما له معاهدة فرسايل واتفاق مونيخ ،احداهما في بروسيا الشرقية والثانية في سيليزيا وما اليها من اعمال تشيكوسلوفاكيا المحتلة .

القوى المتقابلة ـــ الدعوة الى حمل السلاح والحشد ـــ دخل في روع الحلفاء من تقديرات اركان الحرب عندهم انه كان لالمانيا في ربيع ١٩٣٩ ، من الجيوش ما مقداره ١٢٠ فرقة تحتشد عند اعلان النفير . فهي تزيد في مجموعها على ثلاثة او اربعة اضعاف مجموع ما لبولونيا من القوى،وتعادل او تكاد ما لدى فرنسا من الوحدات . وكانت الفرق الالمانية تزيد الفرق البولونية مرتين على اقل تعديل باسلحتها النارية : كالمدافع ومدافع الهاون . اما التفوق الالماني بالطيران وبالوحدات المدرعة فكان ظاهراً اذ انه كان يزيد على ما لبولونيا منها عشرة اضعاف .

لا شك بان الدولة البولونية قامت بجهود جبار للنهوض بدفاعها الحربي وتأمين وسائله المختلفة . ولا يجب ان يغرب عن البال ان امكانياتها الصناعية بعد ان حققتها الحرب العالمية الماضية كانت لا تزال في مستوى وضيع اذا ما قيست بالجهاز الالماني الصناعي لا سيما وقد اتخمت المانيا بعد الحرب بروؤس الاموال الاجنبية . وبعد ان ادركت بولونيا ما يعترض تسلحها من الصعاب في حال استكمال عدتها من الخارج ولما رأت الصعاب التي تحول دون ذلك اذا ما ارادت ان تعتمد فيه على الخارج ايقنت انه لا محيص لها عن انشاء صناعة حربية تسدّ مطلبها من العتاد الحربي الحديث . وكانت النتائج التي بلغتها مرضية للغاية وموضوع ثناء عاطر من الخارج . الا ان الحرب فاجأتها كما فـاجأت حليفاتها وهن في سبيل تجديد ما تحتاج اليه جيوشهن من العدة حسبما يقتضيه الفن الحديث

والستراتيجية العصرية . وقد بلغ التدريب العسكري في بولونيا من جهة اخرى درجة رفيعة من الاتقان والمران ، كما كانت معنويات الجيش على احسن ما يكون روحاً عالية .

ولما كان دور المبادهة بالهجوم من الامور التي قررت المانيا الهتلرية الاحتفاظ به فقد امر هتلر جيشه قبل ايلول ان يكون على اتم اهبة للحرب . واوعز الى اركان حربه في ربيع ١٩٣٩ ان يكون مستعداً للحرب ضد بولونيا في مطلع آب القادم . وان ننس فلا ننس بان معظم الجيش الالماني كان قائماً عـلى ساق وقدم منذ ازمة تشيكوسلوفاكيا ومهاجمة هتلر لها . ونزولاً عند رغبة كل من فرنسا وانكلترة رأت بولونيا نفسها ان تؤجل اعلان النفير العام ، ولم توجه الدعوة للحشد الا في اليوم ذاته الذي باشر الالمان فيه غزو بولونيا . وبين الثلاثين فرقة التي يتألف منها مجموع القوى البولونية كان بعضها لا يزال محتفظاً الى ساعة الهجوم الالماني بعددو حداته في ايام السلم . وقد قام الجيش الهتلري من قبل ذلك بكثير بنقل عتاده الحربي الضخم الى مناطق الحشد التي انطلق منها الهجوم ، بينما الحشد البولوني لم يباشر به الا بعد انطلاق الرصاصة الاولى ، وقد تعرضت نقلياته لقصف الطيران الالماني وضرباته القاصمة .

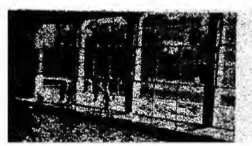
حملة بولونيا — جابه الجيش البولوني الهجوم الالماني وهو في مستوى من الضعف لا يمكن تصوره . فقد حيل بينه وبين الحشد وفاقاً للخطة المرسومة ، وترك وشأنه وحيداً اعزلا يواجه قوى ساحقة لا طاقة للحلفاء على تخفيف ضغطها المرهق . وقد شهد القادة الالمان في نورمبرغ بان الحرب كانت سائرة سيراً غير سيرها واستحالت الى وجه غير وجهها المعروف لو قـامت الجيوش الفرنسية اذ ذاك بهجوم حاسم عام ، والجيش الالماني محتشد معظمه على الجبهة البولونية يتربص في معارك طاحنة تدور رحاها على الاراضي البولونية محاولا حسم الامور بمعارك فاصله وبالرغم من ضآلة عدد الجيش البولوني وعُدده وتفوق آلة الحرب الالمانية، فناً وجهازاً وعدداً، استطاع الجيش البولوني الصمود والوقوف متشبثاً بمراكزه موقعاً بالغزاة خسائر فادحة ، كاسراً حدة الهجوم ومضعفاً لروحه بمعارك دامية .

ومع ان العدو تمكن من خرق الجبهة في بعض النقاط فقد استطاع البولونيون الصمود طويلا في بعض القطاعات والحاق ضرر جسيم بكثير من الوحدات الالمانية من جراء الهجمات المعاكسة التي قاموا بها . ومن المرجح جداً ان الوضعية الحربية كانت في غير ما اتت لو قام الجيش الفرنسي في الغرب بهجوم كامل . وبانتظار القيام بشيء من هذا من الجانب الفرنسي ، كانت القيادة العسكرية البولونية تعيد تنظيم دفاعها في الجنوب الشرقي معتمدة في ذلك على مستنقعات بولزيا وجبال الكربات والحدود الهنغارية الرومانية .

التربيه الرياضية



المعهد المركزي للتربية البدنية في فارصوفيا



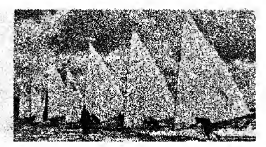
حوض مسقوف للسباحة في الغرف



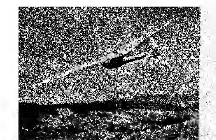
سباق الخيل



مباراة التزلج على الثلج



التزلج على الجليد في البحيرات



الرياضة في الجو



ترام هوائي معلق يعمل به في الجبال

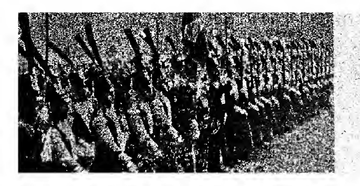


ملجأ في جبال تاتري الشاهقة

الجندي في بولونيا



النسور الصغيرة في لفوف تساهم في الدفاع عام ١٩١٨



المدرسة الحربية بالبزة التاريخية



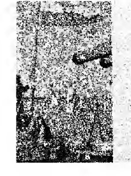
الجيش البولوني في معركة ١٩٣٩



جيش المقاومة في ثورة فارصوفيا (١٩٤٤)



بعد استيلاء الفرقة البولونية على مونت كاسينوا ١٩٤٤



علم الاسطول البولوني الحربي

الاعتداء الروسي — وفي هذه الغضون، وبينما كان الجيش البولوني يعد عدته للصمود حدث ماليس في الحسبان فشل كل مجهود . ففي ١٧ ايلول تلقت بولونيا ضربة نجلاء من الوراء اذ تخترق الجيوش الروسية حدودها الشرقية . وقامت الوحدات البولونية الموكول اليها امر التغطية في تلك القطاع بما عليها من واجب الدفاع، ولكن وما عساها ان تعمل امام مائة فرقة سوفياتية؟ فصمدت امام هذا الهجوم ما استطاعت الى ذلك سبيلا محتجة والسلاح بيدها ضد العدوان السوفياتي . ومع ذلك استمرت الحرب ضد الالمان ونالت الجيوش البولونية بعض النجاح في الهجوم المعاكس الذي قامت به في منطقة لودز (الوسط) حيث تم لها اتلاف الوحدات المدرعة غربي لفوف (الجنوب) كما صمدت وحدات بولونية كثيرة في وجه الهجمات الالمانية (مودلين ، فارصوفيا وبيل) .

جلاء الحكومة البولونية وخروجها من البلاد — كان من جراء حركات الجيوش الروسية في القطاع الجنوبي الشرقي من بولونيا ان فصلت ما بين الحكومة البولونية والقيادة العليا وبين الجيش البولوني والاقسام الاخرى من البلاد . وقد اتضح بجلاء ان المقصود من مناورات الجيش الروسي في ذلك القطاع انما هو القاء القبض على السلطات البولونية العليا . فلم تفكر الحكومة امام هذا الخطر المداهم ان تستسلم وتلقي السلاح بل قررت متابعة الحرب وهي بعيدة عن الوطن .

ولكي يؤمن الاستمرار القانوني للسلطة الشرعية في بولونيا في هذه المحنة قرر رئيس الجمهورية والحكومة البولونية الانسحاب من الاراضي البولونية بعد ان اصبح الخطر الروسي مداهماً عبر الاراضي الرومانية ، بعد ان وافقت رومانيا على مرور السلطات البولونية في طريقها الى البلدان الحليفة .

واذ ذاك قامت رومانيا ، خلافاً للحق العام وللعرف الدولي، باعتقال السلطات البولونية . ومع ذلك استطاع رئيس الجمهورية وهو الاستاذ مُسْتِرتسكي (Moscicki) وفاقاً لاحكام الدستور البولوني المعمول به من تفويض كل السلطات والصلاحيات التي يتمتع بها الى نائبه مسيو رتشكيفتش (Raczkiewicz) الذي عمد للحال الى تعيين حكومة جديدة عهد برئاستها الى الجنرال سيكورسكي (Sikorski) بعد ان رفع له استقالته رئيس الوزارة السابق الجنرال سكلادكوفسكي (Skladkowski) . وقد استطاع قسم هام من القوى البولونية المسلحة النزوح عن البلاد في الوقت المناسب ، الامر الذي اتاح اعادة تنظيم الجيش البولوني في الخارج . ونجا رجال الطيران بكاملهم تقريباً وبرهنوا عن مهارتهم الفنية في معركة بريطانيا العظمى .

تأثير معركة ايلول ونتائجها — استمر القتال في بولونيا حتى تشرين الاول . ومن الاعمال الحربية الباهرة التي تمت اذ ذاك الدفاع المجيد الذي قامت به العاصمة فارصوفيا بقيادة بطلها ستارزنسكي (Starzynski) وهي من الاعمال التي سيخلد التاريخ ذكرها مدى الاجيال .
تمّ للجيش الالماني بفضل مساعدة الروس وتدخلهم المفاجيء الغلبة على الجيش البولوني ، هذا الجيش الذي فاجأته الحرب قبل ان يتم حشده ، على ما هو عليه من الضعف في العدد والعدد الفنية والآلية ، دون ان يتلقى اية مساعدة من حلفائه . وقد صمد البولونيون بجرارة صموداً كان دونه بكثير صمود فرنسا عام ١٩٤٠ وروسيا عام ١٩٤١ ، اذ ان معدل تقدم الوحدات الالمانية المدرعة كان بنسبة ١٠ كيلو مترات في اليوم الواحد ، بينما بلغ معدل هذا التقدم في فرنسا ٢٢ كلم . في الشوط الاول من معركتها ، و٤٨ كلم . في اليوم، في الشوط الثاني .
كلف هذا النصر المانيا غالياً وغالياً جداً والحق بها خسائر فادحة في الرجال والعتاد . ويقدر الحياديون ان الالمان خسروا في بولونيا ، عام ١٩٣٩ ، نحواً من ١٠٠٠٠٠ قتيل ، و ١٥٠٠٠٠ جريح وفقدوا ٥٠٠ طائرة و ٦٠٠ دبابة .
فلم يكن باستطاعة هتلر بعد ما حلّ به من خسارة فادحة في معركة بولونيا ان يبادر فرنسا وانكلترا بالهجوم . فارجأ مضطراً تنفيذ خطته الى الربيع القادم، وهكذا تمكنتا من تقوية وسائل دفاعها وشحذ آلتها الحربية .

بولونيا من خلال الاحتلال الالماني السوفياتي

مميزات هذا الاحتلال — جرّ تواطؤ المانيا والاتحاد الروسي على برلونيا ليس فقط ضربة قاصمة في حرب اجماعية شاملة بل صبّ عليها جاماً من المكاره والفظائع التي تقشعر لهولها الابدان . فقد كان اتفاقها المعقود في آب وايلول ١٩٣٩ اساساً لتعاون متبادل مشترك ، لعله اول مظهر عملي لهذه السياسة الجديدة التي تطالب بمناطق نفوذ تتخذ منها الدول الكبيرة تحت ستار من التمويه والتعمية، سبيلا لاقتطاع ما تشاء من أوصال الدول المستضعفة . عقدت الدولتان اللتان اشتركتا من قبل ،في القرن الثامن عشر باقتسام بولونيا، اتفاقاً جديداً حددا بموجبه مناطق نفوذهما في تلك البلاد ، نزل ببولونيا من جرائه سيل من الارهاق وصنوف العنف على يد الالمان والروس . وفاقت هذه المظالم التي نزلت ببولونيا بمرارتها وبؤسها كل ما نزل بها من قبل على اثر الاقتسامات التي بليت بها في القرن الثامن عشر، لم يبزها هولاً واستباحة الا تلك المذابح والاهوال التي يرويها التاريخ عن الغزاة الطغاة من الاشوريين والمغول .

نص القانون الدولي والعرف المنبثق من ضمير تاريخ الانسانية وتطورها في مراقي المدنية على مراسيم وقواعد عامة تحدد الظروف والحدود والالتزامات والحقوق التي تترتب على الجيوش المحتلة فتمنعها عن اتيان الضغط والارهاق والعبث بالسكان ، كما توجب عليهم المحافظة على حياة الاهلين ومقتنياتهم المادية والروحية . والحال فاننا نرى كيف ان الدولتين المحتلتين لبولونيا نهجتا نهجاً تنافى تماماً واوليات الحقوق الدولية والعرف المتبع في العالم المتمدن .

النشاط الالماني — ما كاد الغزو الالماني يكتسح الاراضي البولونية حتى شرعت السلطات الالمانية في اعتقال وقتل المدنيين في نواح كثيرة تقع في بولونيا الغربية · فراح ضحية هذه المذابح عدد كبير من الشخصيات البارزة في عالم السياسة والاجتماع قبل الحرب والمانيا ترمي من وراء ذلك كله كان لم يكن الى القضاء على معنويات الامة البولونية وقواها الروحية ، فعلى الاقل الى اضعاف هذه القيم الروحية وإساحتها .

وقد كشفت محاكمة نورمبرغ فيما كشفت عنه ، عن خطة مدبرة من قبل الالمان قبل مباشرتهم الحرب ، ترمي الى ابادة الامة البولونية وافنائها . وقد اخذوا بتنفيذ هذه المآثم طيلة الاحتلال والافاعي معنى تلك الجرائم التي اقترفوها في المعتقلات وتقتيل الرهائن وتهديم القرى والاحياء برمتها مع من فيها من الابرياء ، واجلاء الاهلين جماعات وزرافات وزجهم في المعتقلات واخضاع الكثيرين للاشغال الشاقة في المانيا ، وتوقيف الآخرين وزجهم في غياهب السجون من قبل الجستابو ، والتشنيع والتشويه الذي ذهب فريسته الوف الضحايا بعد ان اشبعت تعذيباً ؟ · وهذه المنكرات هي حديث المجتمعات والنوادي في جميع اطراف العالم . كل هذا ادى الى القضاء على الملايين من البشر بينهم ثلاثة ملايين من اليهود .

وقد قام الالمان بتنفيذ خطتهم الاثيمة وهي « جرمنة » بولونيا الغربية . وتحقيقاً لاغراضهم هذه ، استباحوا مئات الالوف من البولونيين وجردوهم من ممتلكاتهم واغتصبوا املاكهم وقد اجلوا سكان المدن والقرى في الارياف عن مساكنهم وطوحوا بهم كالساغة لا تلوي على وجهها وقد الهبتها السياط ، وسيموا صنوف العذاب فحل محلهم المان اتوا بهم من قلب المانيا . وقد استثمروا الى اقصى حدود الاستثمار واستغلوا مرافق البلاد ومواردها وابتزوا خيراتها دون ان يلتفتوا الى ضروريات البولونيين او يراعوا لهم مطلباً في الحياة .

وقام الالمان الى جانب هذا التهديم والتقتيل للقضاء على الامة البولونية يمدون ايديهم الاثيمة ويعبثون بتراثها الروحي والفكري والعلمي . وقد سارعوا الى القضاء قضاء تاماً على الخطط والمؤسسات العلمية في البلاد فاقفلوا المدارس واوصدوا ابواب الجامعات ونهبوا ما فيها من مجاميع العلم وطرائف الادب وروائع الفن ، وعبثوا بالمعارض والمتاحف والخزائن والمكاتب من عامة وخاصة وداسوا ما فيها من قيم روحية وفكرية وفرقوه كل مفرق ومزقوه شر ممزق .

الاساليب السوفيانية — ما كادت الموجة الروسية تكتسح بولونيا الشرقية حتى قامت اعاصيرها تقتلع الاخضر واليابس ، وهبت على البلاد ريح صرصر من الارهاب والتقتيل والاستباحة والنهب والسلب والاعمال الاجرامية قامت بها عناصر غير مسؤولة . ولم يكن الا القليل حتى قامت السلطات السوفياتية تنهج فيها نهجاً من الاضطهاد المسير استهدف اكثر مما استهدف العنصر البولوني المعروف بنشاطه كما لحق اذاه الاوكرانيين حتى اليهود وغيرهم من القوميات . واخذوا يعتقلون مئات الالوف من المواطنين البولونيين ،من اصحاب الفكر والفلاحين والعمال ويزجونهم باالسجون او يبعدونهم الى الاصقاع القطبية او الى مجاهيل سيبيريا او سهول آسيا ، عرضة للتجويع ولزمهرير البرد والاشغال الشاقة ولقسوة المناخ وغير ذلك من الحالات المريرة التي اودت بحياة مئات الالوف من البشر .

والى غرة ايلول ١٩٤٢ بلغ عدد الذين توفوا ممن صار اجلاؤهم عن مقاطعات بولونيا الشرقية ، عام ١٩٣٩—١٩٤٠ اكثر من ٤٠٠،٠٠٠ كما يقدر العارفون ، وذلك من اصل ١،٧٥٠،٠٠٠ شردوا عن اوطانهم ومساكنهم . وقد تمكن زهاء ١٧٠،٠٠٠ منهم ان ينجوا بانفسهم بعد ان اتيح لهم دخول احدى بلدان الشرق الاوسط . وبينهم بضعة الوف آثروا العودة الى بلادهم ، بينما لا تزال نجهل مصير مليون ونيف اصابهم التشريد .

ولم تكن هذه الاعمال خاتمة سلسلة العذابات التي المت بالاهلين . فما كادت تعود الادارة السوفياتية الى الاراضي البولونية حتى عادت اساليب الارهاق والتضييق سيرتها المعهودة من التشنيع والترهيب والتخويف اذ ان الاعتقالات واعمال التشريد تثاقلت وطأتها على الجماعات الشعبية وتناولت على الاخص عناصر المقاومة الوطنية التي اصلت المحتلين الالمان حرباً لا لين فيها ولا هوادة .

وقد استغل الاتحاد السوفياتي موارد البلاد ومرافقها الاقتصادية حتى تعرقوا منها المعظم واستحلبوا امكانياتها واعتصروا ما تبقى من مقدراتها بعد اجلاء الالمان عنها . وقد نزل بمعالم المدنية والحضارة البولونية القومية ما تركها اثراً بعد عين . وقد رأت بعض الاوساط مما طوح بها الظن وغرر بها الامل وعلقت على رجوع الروس ما قد يتأتى عنه التاج فجر الحرية والسلام فاذا بالواقع الاليم يهزهم هزاً . ولا تزال ترقص امام العيون قضية مذابح « قطين » (**Katyn**) وما يكتنفها من غموض مريب وظلام دامس حالك مذيب ، تلك المذابح التي اودت في داخل الاراضي السوفياتية بحياة عشرة آلاف من اسرى الحرب البولونيين ، معظمهم من الضباط ورجال الفكر والقلم . فالقضية لم يفصل بها بعد بصورة يرتاح اليها العدل والضمير الانساني . ان وسائل الجستابو الالماني لا تزال هي هي مع البوليس السياسي السوفياتي .

حرب الافناء ضد بولونيا _ لا يسع المراقب الحيادي الذي ينظر بتجرد الى هذه الويلات المترعة تنهال على بولونيا الا ان يجد بيسر وبدون عناء الجواب الشافي اذا ماتساءل عما عساها ان تكون الدوافع التي تبعث على هذا الارهاب المخوف والاسباب الموجبة لهذا الارهاق بالجملة . فاذا ما حلل الامور والواقع تحليلا مجرداً تبدت له الحقيقة الرائعة وعرف ان سبب هذا الطغيان يكمن اصلًا في النظم النظرية التي تضعها الدكتاتوريات الطاغية والاساليب التي تتمشى عليها المانيا الهتلرية والاتحاد السوفياتي لبسط نفوذهما وسيادتها . فبينما كانت هاتان الامبراطوريتان تهدفان من ناحيتها الى بسط سيادتها على العالم القديم ، لم يريا ما يعترض تحقيق اهدافها سوى بولونيا وما تمثله من اخلاص وامانة لقضية السلام وما تحلت به من امجاد قومية جعلتها بحق حامية الديمقراطية والحرية والحضارة الغربية .

ولكي تؤمن المانيا الشوط الاول من تبسطها نحو الشرق عبر روسيا والشرق الاوسط رأت انه لا بد لها من ازالة ما يعترض هذا السير من عقبة كؤود بوقوف بولونيا في وجهها فقررت سحق الامة البولونية والقضاء قضاء مبرماً على ما يكمن فيها من قوة حربية وقيمة ستراتيجية والانحدار بشعبها الى حضيض الشعوب المستعبدة الجائعة التي ترضى من العيش بخدمة الغير لاشباع جوفها الخاوي فتمسي ارضها معيناً غزيراً لليد العاملة الرخيصة . وما كادت تطلق الرصاصة الالمانية الاولى حتى شرع هتلر في سبيل الاخذ بحرب الابادة والافناء التي وضع تصميمها من قبل .

وادركت روسيا من جانبها انه في زحفها على اوروبة لا ترضى اية حكومة بولونية ان تجعل من بولونيا تكأة لهذا الاندفاع نحو الغرب وقاعدة ستراتيجية لتوطيد اركان النظام الاجتماعي الروسي . ولهذا رأى المسيطرون فيها انه لا بد لهم من اعتماد الطرق التي تؤول الى « تصفية » كل عنصر «مشبوه او غير مخلص» اسهم بنشاط ، قبل الحرب ، بحياة سياسية واجتماعية او مظنون عليه او موصوف بروحه القومية وحب الاستقلال .

ولذا قام المحتلان يحثان الخطى ويلهبان السير في حرب الافناء ضد الامة البولونية ويقومان بعمل شامل يتناول الشعب البولوني برمته للقضاء على معنوياته وقتل روحه المتوثبة .

وانطلقت في الجو دعاوة هوجاء نفوث سموم ، تسلق بألسن حداد ماضي الامة البولونية وما فيه من قيم وامجاد . وقد كان نشاط العناصر الروسية وعمال السوفيات امضى سلاحاً وافعل ، وافتك واقتل ، من الوسائل التي استعملتها الدعاوة النازية التي لم تنفذ الى اعماق الحياة الاجتماعية ولم تتغلغل بين ثنايا الامة وحناياها .

*

جهاد بولونيا المستميت

تنظيم المقاومة — لم تجد فتيلاً سياسة الافناء التي عمد اليها الالمان ولا وسائل الترويع التي اعتمدها السوفيت ولم تلن لها او تنِ رغبة البولونيين في استرجاع حريتهم السليبة ولم يمر قط في اي وقت من اوقات الحرب في خلد هذا الشعب ان يلقي السلاح ويستسلم للقضاء المحتوم . فقد ناصبت الالمان الجهاد واصلتهم العداء وهي لا تزال ترفع عقيرتها عالياً احتجاجا على استقطاع الروس بعض مقاطعاتها وضمها الى ممتلكاتهم .

وعلى اثر سقوط فرنسا واستسلامها عام ١٩٤٠ اقامت الحكومة البولونية في بريطانيا العظمى واخذت تدير من لندن الجهاد في سبيل تحرير البلاد وتنظم من بعيد وسائل تدعيمه سواء من الخارج ام من الداخل . فكانت مقاومتها المزدوجة هذه خير شهادة لها بعدل مطلبها ومشروعية حقوقها، رافضة بإباء وتعالٍ وانفة الدخول في مساومة مع الغزاة، محتجة عالياً على الاهوال المريعة التي يقوم بها الغريب المجتاح .

وقد كان من شأن قرار رئيس الجمهورية المسيو مستز تسكي ان يصون كيان الدولة الشرعي ويؤمن استمرار بقاء الحكومة البولونية الشرعية وفاقاً لاحكام الدستور المعلن سنة ١٩٣٥ ، وذلك باعتزاله الرئاسة ، معيناً مكانه اتولي مهامها ، مسيو رتشكيافتش . فسار على خطة الجهاد كل من رئيس الجمهورية الجديد وحكومته الجديدة التي تألفت برئاسة الجنرال سيكورسكي (Sikorski) وانتظمت شؤون المقاومة في بولونيا وارتدت طابعاً سرياً . وهذه امور احسنها البولونيون فيما مضى ، ابان جهادهم في سبيل استقلال البلاد واستخلاصها من ربقة الاعداء يوم كانت ترسف في سلاسل الاستعباد . ولا تزال قائمة تلك الاجيال من الناس التي شهدت منذ عشرين سنة ونيفاً الجهاد الذي انتظم امره بقيادة بلصدسكي وحكمته المدبرة . ولم يقل دور المجاهدين في المقاومة اليوم ، بطولةً وروعةً ، عن دورهم المجيد اذ ذاك ، وقد اسهموا ، منذ خريف ١٩٣٩ ، بقسم وافر من النشاط في حقل المقاومة وتنظيمها من جديد ، بعد ان تولى الاشراف على تنظيمها وتوطيدها مجاهدان كانا رفيقين للمارشال بلصدسكي وتلميذا له . وقد عمت روح المقاومة في بولونيا كل الاوساط السياسية وتغلغل تيارها في كل الطبقات الاجتماعية حتى بدا شأنها خطيراً واخذ يتعاظم ، يوماً بعد يوم ، في طول البلاد وعرضها ، وتكشّفت حقيقة حال المقاومة في بولونيا عن قيام حكومة متخفية وجيش مستتر ، تشعر بوجودها اينما حلت واينما اتجهت . وكان من حسن

نتائج هذه المقاومة وفعاليتها ان جعلت بولونيا في مقدمة البلدان صموداً في وجه الباطل ، مترعمة الدول الثائرة في وجه طغيان النظم الدكتاتورية الاجماعية .

الحكومة المختفية — لم تلبث البلاد ان عمها شبكة منتظمة من الدوائر والدواوين المستخفية التي تقوم ، كلا بحسب وظيفتها ، بما يترتب عليها مـــن النشاط الاداري والحكومي . وكان خطوط المقاومة البارزة بدء ذي بدء ، تنظيم الجهاد ، ضـــد المعتدي الالماني . فعهد الى تـــلك المنظمات محاربة كل ما من شأنه ان يمس باذى روح الامة البولونية في ما يتعلق بنظمها القومية في التربية الوطنية والقضاء والتشريع الاجتماعي واعداد الاعمال الادارية ، والمالية والصحافة والدعاوة والاستعلامات ، مما حاول الالمان ارباكه او تعميته او اضعافه . ولكي يفسدوا على الادارة الالمانية عملها التهديمي وخلخلة الروح القومية ، عمدت السلطات البولونية المستخفية ، منذ البدء ، الى تنظيم التعليم العام ومتابعته سرا ، سواء منه الابتدائي والثانوي والجامعي بعـــد ان الغى الالمان الدرجتين الاخيرتين منه واوصدوا ابواب الكليات والجامعات . وقد تابع كثيرون من طلاب العلم دراستهم خفية بحضور الدروس والمحاضرات والاعمال التطبيقية التي كانت تعطى في النوادي السرية بالرغم من ملاحقة الجستابو لها . ولا تزال الشهادات والديبلومات حتى في الدرجات العلمية توزع على مستحقيها . وقد انشىء فيها انشأوا من مؤسسات محاكم خاصة تتولى اعادةالنظر في الاحكام التي يصدرها القضاء الالماني في البلاد وعمال النازيين ووكلائهم .

وقد تولى الاشراف على هذا النشاط تبديه مؤسسات المقاومة والدوائر التي تضطلع بهذه الاعمال وتقوم بتنفيذ القرارات الموكول اليها تنفيذهـــا ، مندوب للحكومـــة الشرعية يتمتع بصلاحيات نائب رئيس الحكومـــة ، يعاونه في مهمته الشاقة والدقيقة معاً ، بعض الوزراء في الحكومة انتدبوا لتولي ادارة حركة المقاومة في البلاد وتوجيهها التوجيه اللازم .

ان رئيس الحكومة البولونية الحالية (١٩٤٦) المسيو ارتشفسكي **(Arciszewski)** الذي استدعي الى لندن بناء على طلب فخامة رئيس الجمهورية البولونية وعهـــد اليه تولي رئاسة الوزارة ، كان على اثر فاجعة ١٩٣٩ ، من ابرز قادة المقاومة البولونية ضد النازيين . وهو مجاهد اشتراكي قديم ذاق صنوف الاضطهاد في عهد الحكومة القيصرية لجهاده الرائع في سبيل الحرية والديمقراطية .

وساعد جداً على توطيد المقاومة الممثلة في الحكومة المتخفية ، هذه المقاومة المرتكزة عـــلى ارادة الامـــة ممثلة في شخص رئيس الجمهورية وحكومته الشرعية التي قامت بدءاً في فرنسا ثم نزحت الى لندن ، وجود مجلس النواب المنتخب من جميع الاحزاب السياسية في البلاد . وتمتعت كل هذه المنظمات السرية بسلطة كبيرة يأتمر بامرها الرأي العام في البلاد ويتبع مقرراتها بكل

دقة . ونشطت الصحافة السرية بنوع خاص وهي تمثل كل التيارات الفكرية والنظريات السياسية في البلاد، وظهرت بدقة وانتظام زهاء ١٤٠ جريدة يبلغ ما تطبعه من الاعداد نصف مليون نسخة تقريباً . وكل هذه المنظمات على اختلاف مناحيها واهميتها : من الحكومة البولونية القائمة في بريطانيا العظمى الى صورتها المنبثقة عنها في بولونيا وما اليها من برلمان نيابي خفي وصحافة ورأي عام ، تتسم بطابع ديمقراطي حر .

نرى بين الوعود الرسمية العديدة ومشاريع القوانين الموضوعة على بساط البحث ما تبديه الحكومة البولونية تبدو من رغبة صادقة في استئناف الاصلاح الزراعي لخير الفلاح البولوني وتأميم الصناعات الكبرى في البلاد وتحقيق العدل الاجتماعي والدفاع عن حرية الفرد .

كانت الحركة الشيوعية في بولونيا بين ١٩٣٩—١٩٤١ خفيفة لا يؤبه لها استطاع معها قيام شيء من التعاون الالماني السوفياتي يقصد منه القضاء على حركة المقاومة . اما بعد انطلاق الحرب الروسية الالمانية (حزيران ١٩٤١) فقد اظهر شيوعيو بولونيا بعض النشاط تأتي محرضاته ودوافعه من موسكو والغرض من ذلك القضاء على منظمات المقاومة البولونية، وقد بدا للجميع ان هم الشيوعيين الاكبر هو تصفية قوى المقاومة وافساد السعي والعمل على السلطات البولونية الشرعية .

الجيش السري — اروع مظاهر المقاومة البولونية وامجدها تتجلى بدءاً في العمل العسكري الذي يقوم به الجيش السري المعروف ب A· K· اي (Armia Krajowa) ومعناها « جيش الوطن » . ان ما قام به هذا الجيش من اعمال البطولة وما بذ له من التضحيات الغالية والدماء الذكية وما قام به من المآتي المجيدة دفاعاً عن الوطن المهيض الجناح وذوداً عن حرياته السليبة المدوسة ، كان في سبيل الحرية وعدالة القضية البولونية المقدسة . وتطوع في هذه الخدمة ، خدمة الوطن الجريح المكلوم، كل ما تعده البلاد من نخبة ممتازة ، وتلك الصدور العامرة من هذا الشعب المتحمس بفلاحيه وعماله . وما مظهر البطولة هذا الا وجهاً حقيقياً من وجوه ما حققته التربية الوطنية في مدة عشرين سنة فنفخت في الامة روحاً فياضة تجيش بالبعث والانطلاق نحو المجد والخلود ، بعد ان بقيت ١٢٠ سنة من قبل ترسف في اكفان الارهاق والضغط والتجويع والترويع . فاناخ المسيطر الغاشم على صدرها بكلكله المرهق الخشن ، وهو يرمي من وراء هذا كله الى اخفات الروح الوطنية واسكان لهثاتها الى الابد .

وبلغ هذا الجيش السري المقاوم في بولونيا زهاء ٣٠٠،٠٠٠ جندي من الجنسين، بين رجال ونساء ، وهو على اتم الاهبة للتدخل في اي وقت وعند كل سانحة او بادرة ، تنفيذاً لاوامر القيادة العليا ، معتمداً في حركاته وسكناته على قواعد سرية ومراكز خفية . وانخرطت عناصر الجيش النظامي من ضباط وصف ضباط وجنود التي تمكنت من الافلات من المعتقلات العسكرية

الالمانية في الجيش المتخفي تخوض بجماس غمار المقاومة وتذكيها .

وجرت بين الالمان وعناصر المقاومة البولونية بعد ان حافظت على وحداتها النظامية وتشكيلاتها ومسمياتها معارك رسمية نظامية ، وذلك من ١٩٣٩ — الى ١٩٤٤ ، ولا سيما في بولونيا الشرقية (منطقة فيلنو ولفوف) . وكان مرجع جميع هذه الوحدات والتشكيلات المستخفية القيادة الحربية البولونية العليا ، ممثلة في شخص الجنرال سيكورسكي ثم بعد وفاته في سوسنكوفسكي (Sosnkowski) ، والجنرال اندرز (Anders) وكالة ، والجنرال بور — كوموروفسكي (Bor-Komorowski) — وكان يتولى الاشراف على الاعمال العسكرية عن كثب الجنرال كروت (Crot) الذي اسره الالمان فيما بعد وقتلوه . ثم خلفه فيها الجنرال اوكوليكي (Okulicki) الذي تولى قيادة البولونيين في مناجزتهم للالمان يوم اخذوا يتقهقرون (١٩٤٤) ، وهو اليوم يرسف في احد سجون الاعتقال السوفياتية .

ولا بد من الاشارة هنا الى حادث يجهله الكثيرون ، وهو انه ما كاد المارشال سمفلي ريدز القائد العام للجيش البولوني عام ١٩٣٩ ، يفلت من الاعتقال في رومانيا (١٩٤٠) حتى قرر الرجوع خفية الى بولونيا والانضمام الى قوى المقاومة والاشتراك في الجهاد ، وقد توفي بالقرب من فارصوفيا بعد قليل من عودته اليها .

وكانت التشكيلات التي تسير عليها قوى المقاومة مرنة خفيفة تتكيف بسهولة وفقاً لمقتضيات المهمه الموكولة اليها : من معارك نظامية وهجوم مفاجيء واعمال التعطيل ، عدا عن اعمال فردية اخرى ، قام بها افراد كثيرون ، وكلها مطبوع بطابع البطولة والمجد . ومن هذه المغامرات المجيدة التي قامت بها قوى المقاومة اتصالها بشبكة المخابرات السرية بين خطوط القتال ومصلحة الاستخبارات الالمانية ، ادت فيما ادت اليه ، الى القضاء على مركز الابحاث والاكتشافات الحربية والاسلحة الجديدة التي كان يرمز اليه بحرف . V في بينامند (Puhneminde) . وقد كان لاعمال كهذه اهمية عظيمة في تغيير مجرى الحرب واستعجال نهايتها .

وكان عمل المقاومة جداً ناشطاً بين ١٩٣٩ — ١٩٤١ لا سيما وقد استهدف عرقلة التموين وقطع خطوط المواصلات للحؤول دون وصول الميرة والعتاد الذي وعدت بارساله الاتحاد السوفياتي الى حليفته المانيا بما كانت في امس الحاجة اليه من نفط وقمح وخامات توى صناعات الحرب الالمانية نفسها في اشد الضرورة لها وقامت وحدات الجيش البولوني بكل ما هو مستطاع للقضاء على قوافل النقليات تلك ومنع وصولها الى اصحابها .

ومع ما كان للحكومة البولونية من حق التذمر والشكاية من مساوىء الاتحاد السوفياتي نحوها فقدرأت مع ذلك الاخذ بالتعاون مع الجيوش السوفياتية ، مرجئة امر الدفاع عن مصالحها المؤذاة

وتسويتها لها مع جيرانها في الشرق الى بعد ان تضع الحرب اوزارها . وما ان كادت تطأ الوحدات السوفياتية الاراضي البولونية ، حتى انسحبت من امامها تشكيلات الجيش البولوني وحشدت بجموعها ضد الالمان، وهي في ذلك آخذة باسباب التعاون مع السوفيات في ساحات القتال الى اقصى حدود التعاون مع ماجرّ ذلك على الاحداث البولونية من خسارة فادحة لافتقارها الى العتاد الفني الحديث .

وقد قدرت القيادة الروسية نفسها المساهمة البولونية حق قدرها واثنت عليها الثناء العاطر، كيف لا وقد كان هذا التعاون من اكبر الاسباب التي عجلت في هزيمة العدو . وقد قامت فيالق جيش المقاومة تهاجم لفيف الوحدات الالمانية المتراجعة مقتحمة المخاطر والاهوال ، فاستطاعت ان تسترجع ظافرة مدن فيلنو ولفوف وغيرهما من المدن الكبرى، سواء اوقعت شرقي خط كيرزون — ريبنتروب — مولوتوف ام غربيه ، يقودها الى النصر القائدان بوركو-ورفسكي وأكوليكي

ومن المؤسف جداً ان ترى السياسة السوفياتية العليا اخيراً هذا التعاون البولوني ومساهمة الجيش السري في غير محلها وغير مناسبين فتصدر تعليماتها بوجوب تصفية قوى حلفائها ومناصريها وأرسلت الاوامر بهذا الصدد، وعلى الاثر تمّ تجريد الجيش السري من سلاحه وابعد عن مراكزه وسيق الضباط الى المعتقلات حيث قضي على الكثيرين منهم .

ولعل اروع مأساة تكشفت عنها المقاومة البولونية في تعاونها مع الجيش السوفياتي والتي ستظل على مدى التاريخ اسوأ ما سطرته الحرب العالمية الثانية ، هي ثورة فارصوفيا ونكبتها سنة ١٩٤٤

رأى جيش المقاومة البولوني السري ان يهاجم قطاع فارصوفيا وذلك تعجيلاً لهزيمة الالمان المتقهقرين ، فيقيم من مدينة فارصوفيا رأس جسر لاعماله في هذا القطاع الهام . وحشد في هذا السبيل ما استطاع حشده من العدد والعُدد، والقيادة الحربية البولونية تنظر الى هذه المعركة نظرها الى احسن مظاهر التعاون الدائم بينها وبين السوفيات . وابتدأت المعركة حين شرع الالمان في اخلاء فارصوفيا وهم في تقهقرهم لا يلوون على شيء . وقد بلغ الجيش السوفياتي ارباض فارصوفيا وسيطر على ضواحيها .

وقد دهش العالم عندما رأى تقدم الجيش الروسي يقف فجأة في هذا القطاع وقد تمكنت الثورة من التسيطر على الموقف في العاصمة وهي تعلل نفسها بأمل وصول النجدة من الجانب الروسي واذ بحكومة موسكو تصدر قرارها بايصاد مطاراتها فاستحال بذلك وصول النجدات الموجودة من حلفاء بولونيا في الغرب ومن جيشها النظامي في الخارج . واستمرت المعركة شهرين في قلب فارصوفيا في غير ما تكافؤ او تعادل بين البولونيين وبين الالمانيين الشاكي السلاح ،زهقت في سبيها ارواح تلك النخبة الممتازة من فتيان العاصمة وشبابها الغض ،ذهبت ضحية زكية في سبيل استخلاص

الوطن او وقعت اسرى في قبضة الالمان الشديدة . وكأن بهذه الضحايا العزيزة لم تكن لتكفي وقوداً للمحرقة ، فما كاد الالمان ينسحبون بقضهم وقضيضهم من البلاد حتى جاءت الاوامر بتصيد رجال المقاومة البولونية ووجوب اخفات حركتهم باي ثمن كان . فزج في المعتقلات عشرات الالوف من جنود المقاومة هؤلاء الذين لم يتمكنوا من الاختفاء بين الدهماء او التغلغل بين الاحراج وبطون الاودية واغوار الكهوف وشقوق الصخور والمغاور بعد ان افترت ثغورهم برجاء الامل المطل من ثنايا فجر الحرية الملتمع في الافق . واسدلت ابواب السجون وراء الوف النفوس التي سيقت اليها سوق النعاج الى الذبح ، ووجهت قوافل الموقوفين والمعتقلين نحو الاصقاع النائية حيث تنتظرهم غوائل من لسعات البرد وعضات الجوع وغصات المتخلفين الذين لا رجعة لهم تخفف مرارة الفراق .

القوى البولونية المسلحة في الخارج

بعد انتهاء معركة بولونيا اصبحت فرنسا القاعدة الاولى لحشد القوى البولونية من جديد واعادة تشكيل وحداتها التي بلغت بعد قليل مائة الف مقاتل ، وقد قسمت الى اربع فرق مختلفة تضم احداها القوى الآلية والثانية الطيران ، والثالثة البحرية والرابعة فرقة المشاة . وقد اشتركت الاخيرة منهـا بحملة نروج واشتهرت في معركة نارفيك . وكان من نتائج معركة فرنسا المشؤومة بين ايار وحزيران ١٩٤٠ ان عرقلت حشد القوى البولونية واخرت تشكيل وحداتها ، هذه الوحدات التي كثيراً ما عهد اليها تغطية حركة انسحاب الحلفاء وتقهقر قواهم امام الفرق الالمانية المدرعة .

وما كادت فرنسا تلقي السلاح حتى قررت الحكومة البولونية متابعة القتال بعد انتقالها الى بريطانيا العظمى . وعلى الاثر تم نقل قسم من القوى البولونية الى انكلترة حيث اعيد تشكيلها من جديد واشتركت وحداتها الجوية والبحرية والآلية والطيران اشتراكاً نشيطاً في الحرب وساهمت بجدوى في معركة بريطانيا التي تمثل ادق مراحل الحرب العالمية الثانية . وقد قامت فرق الطيران البولوني باعمال مجيدة وبآت من البطولة ملأت بردتيها فخراً .

وكانت بلدان الشرق الاوسط من جهة ثانية مركزاً هامـاً من مراكز الحشد البولوني ، فانشيء في حمص ، ١٩٤٠ وحدة بولونية عرفت «بوحدة الكربات» فقد اسهمت بنجاح في معارك ليبيا ولا سيا في معركتي طبرق وغزالة .

وفي سنة ١٩٤١ تكونت في روسيا نواة جيش بولوني جديد تولى قيادتها واعدادها الجنرال اندرز . ثم تم نقلها الى بلدان الشرق الاوسط حيث انصرفت الى اتمام اعدادها الحربي والفني وأمدت باحسن الاجهزة الحربية الحديثة . واشتركت هذه القوى بنوع خاص في معارك ايطاليا ، واسهمت خصيصا في معارك مونت كاسينو وابلت فيها بلاء حسناً بعد ان فشلت دونهـا هجمات الحلفاء العنيفة .

لما تم تجهيز القوى البولونية الموجودة في بريطانيا على الصورة المبتغاة اصبح من الميسور لها ان تشترك اشتراكاً فعلياً بغزو اوروبا والنزول على شواطىء نورمانديا بعد ان ناجزت الاعداء بمرارة وصلابة وتعقبتهم وهم يتقهقرون الى فرنسا وهولاندة حتى الى المانيا . وقد استبسلت الفرقة الآلية البولونية في معركة ارنهايم ولا سيا تشكيلات الطيران البولوني التي نقلت المظليين الى هذه البقعة . وهكذا امتد مجهود بولونيا الحربي طيلة الحرب كلها وقامت بالتزاماتهـا من هذه

الناحية كما يفرضها عليها امر الجهاد ضد المانيا . فقام الجندي البولوني يأتمر بأوامر قيادته العليا ويتبع نواهي حكومته الشرعية غير موفر دمه وجهوده ، وهو يشاهد كيف ان سياسة الحلفاء كانت منذ ١٩٤٣ تتلبس بمظاهر تبعث في البولونيين المظنة والريبة ضاربة بمصالح بولونيا الحيوية عرض الحائط .

اهمية المساهمة البولونية في تعجيل النصر — كان للدور السياسي والستراتيجي الذي قامت به بولونيا وحزمها الجازم بمتابعة القتال ضد الطغيان الالماني اكبر الاثر ، هذا الدور الذي اقر بفضله وخطره البعض كما غمط شأنه وحاول الانتقاص والنيل منه البعض الآخر . فالاتحاد السوفياتي لا يقدر حق قدره ما عاد عليه من الجدوى والاثر الطيب هذا الموقف الصلب تقفه الامة البولونية في وجه الطغاة الالمان ، لا بل هنالك من يحاول فيه طمس كل اثر لهذه المقاومة المجدية . فاذا ما قارنا بين الغرم والغنم وبين المجهود المبذول والمكافأة رأينا ما يبعث الاسف والاسى ويعيد الى الافكار ذكر جزاء سنمار . ويجب ان يعلم الجميع ان وقوف السياسة البولونية هذا الموقف الحازم من خطط هتلر ١٩٣٩ كان ايذاناً بصده وايقافه ، كما انه يجب ان لا ينسى احد بان التضحيات العزيزة التي رحبت بولونيا بالقيام بها عن رضى وطيبة خاطر في مطلع الحرب العالمية الثانية انقذت الحلفاء من الانزلاق الى الهوة . هذه وقائع ومبادىء عامة يقرها الرأي العام المستند الى حقيقة الوضع الراهن .

وليعرف الجميع انه لم يقم في بولونيا ما قام في غيرها من خونة امثال كويسلنغ وخاخا وبتان . ان المساهمة البولونية في مجهود الحرب ، هذه المساهمة التي ادت الى النصر النهائي ، تقوم بدء أو قبل كل شيء ، في موقفها الادبي الرائع وفي جهادها المخضب بالدماء الذكية ، ممثلا في المقاومة السرية في داخل البلاد ، او في الحرب النظامية ضد العدو المشترك في الخارج ، وموقفها المشبع بالتساهل والامحاح مع روسيا بالرغم مما نالها منها من المساوىء والاذى ضناً منها بالأيمن التعاون المتبادل بين الحلفاء ، تلك هي مقومات الاسهام البولوني الذي ادى الى النصر .

وقد كان للمقررات البولونية الحاسمة في بعض ادوار هذه الحرب الدقيقة خير الاثر واطيبه في تعجيل هذا الحل المرتجى . ان موقف بولونيا ، هذا الموقف الرائع الذي لا تشوبه شائبة حمل الرئيس روزفلت لان ينعتها بكونها « ملهمة الامم ورائدتهم نحو الحرية والعدالة الانسانية » .

سياسة الحلفاء وموقفهم من بولونيا

القضية البولونية ومدلولها — يتعدى النظر في القضية البولونية بجميع مشتملاتها حدود هذا البحث اذ يعود بنا الى تبيان العناصر الرئيسية لسياسة الدول العظمى وعرض الخطوط الكبرى للديبلوماسية التي يعتمدها ساستهم لوضع اسس السلام العام بعد ان اضطرب خيطه في الحرب العالمية الثانية .

ان حل القضية البولونية سيأتي قياساً تستطيع معه الحكم على مـا يقوم من الروابط بين تصرفات الدول التي ستفرضه وبين تلك الافكـار والمبادىء التي كثيراً ما نادى بها رجالهم المسؤولون وصرحوا بها على رؤوس الاشهاد . وهكذا يتاح للرأي العام العالمي ، منذ اللحظة الاولى ، ان يتعرف فيحكم بالتالي على ماللنظام الدولي الجديد الذي يتمخض عنه ضمير الانسانية من قيم سياسية وادبية .

اراء الدول العظمى ونظرياتها — من الخير ان نستعرض هنا الخطوط الكبرى لتلك المبادىء الاساسية التي من اجلها امتشقت الدول العظمى الحسام وجردت في سبيلها كل ما لديها من حول وطول . من الثابت المقرر ان فترة ما بين الحربين العالميتين الاخيرتين كانت اعجز من ان توطد بصورة راهنة دعائم السلام . ومع ذلك فقد طلعت فيها على العالم هذه المبادى وتلك النظم الاساسية التي سلم بها الجميع فرغبوا ان ينتظم عقدها بين الامم فتبني عليها ما يشدها من روابط بعضها الى بعض .

وفي عداد العهود والعقود المقطوعة التي اعلنوا عنها بكثير مـن الطبل والزمر العهد بعدم اللجوء للحرب والابتعاد عن كل اعتداء ، وشجب العنف والضغط اخذاً لحق مزعوم ، وعدم التعرض لسلامة الامم والامتناع عن التدخل بامورها الداخلية . وان نذكر فلنذكر التصريحات الرسمية التي كثيراً ما اعلن عنها الاتحاد السوفياتي بالامتناع عـن التدخل بامور الامم التي يتعاقد معها مما يتعلق باوضاعها الداخلية .

وقد اعلن ساسة الدول الكبرى هذه المبادىء واخذوا بهـا ، عقيدة من عقائد ايمانهم ، فتبنتها حكوماتهم وسارت على غرارها وقامت تخوض في سبيلها غمار حرب اكول نهوم غشوم ، فعمرت القلوب بالايمان والصدور بالرجاء وجاءت الملايين تظاهرها الملايين في دفاعها عن الحق والعدالة والحرية .

وفي هذا السبيل قام رئيس الولايات المتحدة يعلن بتاريخ ٦ كانون الثاني ١٩٤١ عن الحريات الاربع دستوراً لكل فرد في هذا العالم الديمقراطي المتمدين .

وفي آب ١٩٤١ وضعت بريطانيا العظمى والولايات المتحدة « براءة الاطلنطيك » وقعهـا

كثيرون من الدول فيا بعد ومنها الاتحاد السوفياتي، اساساً ركيناً يقوم عليه مستقبل عالم احسن، فتعلنان ان الموقعين: «لايبغون اي توسيع ارضي» وانهم لا يعدلون في حدود الدول الاماجاء في مأتى رغبتها الصادقة المعبر عنها بكل حرية، وانهم يحترمون حق جميع الشعوب بانتقاء شكل الحكم الذي ترغب فيه، ويرغبون في اعادة حريتها الى تلك الشعوب التي سلبت منهـا وانه بعد القضاء على الطغيان يرجون بزوغ عهد من السلام تستطيع معه الدول ان تعيش بامان ضمن حدودها المقدسة، يضمن لجميع بنى البشر الحياة بمعزل عن الخوف والعوز » .

ولا شك عندنا ان الكل يرون، مع الدول الموقعة لهذا الميثاق، بان الهدف الموضوع نصب العيون هو خير ما تطمع فيه المدنية الحديثة . وقد جاء في تصريح الامم المتحـدة المعلن في غرة كانون الثاني ١٩٤٢ بان الجهاد المشترك آلاخذة بسبيله هو ضد القوى البربرية المتوحشة التي تسمى لاستعباد العالم، وما القصد منه الا الدفاع عن « الحياة والحرية والاستقلال وحرية الاعتقاد وانه لا بد من انتصار كامل يحقق صيانة العـدالة وحقوق الانسان سواء في ممتلكاتهم ام في الدول الاخرى » . وتعهد موقعو هذه الوثيقة بان لا يعقدوا مع العدو اية هدنة او صلح على انفراد . هذه هي الاهداف والمرامي التي بذل الحلفاء في سبيلها السيل العارم من الدماء الذكية وتحملوا تلك التضحيات الغالية فاستنزفت دماءهم ودماء بولونيا قبل الجميع .

وضع بولونيا قبل حزيران ١٩٤١ — ان من يدرس قضية العلاقـات بين الحلفـاء من جهة وبولونيا من جهة ثانية يرى انها تنقسم الى دورين متميزين يتناول اولهما الفترة التي سبقت الحرب الروسية — الالمـانية (حزيران ١٩٤١) والثاني الفترة التي جاءت بعد هـذا التاريخ . فوضع العلاقات في الدور الاول لا لبس فيه ولا غموض بل صراحة تتجلى باوضح مظاهرها : فالالتزامات المعقودة هي موضوع احترام الطرفين والتعاون بينهما على اتمه والكل يقدر موقف بولونيا الحازم عام ١٩٣٩ حتى سقوط فرنسا في الميدان، ويثني على مجهودها وسياستها الرشيدة .

وباستثناء المعاهدات التي تنص على تبادل المعونة، المعقودة سنة ١٩٣٩ بين بولونيا وفرنسا وانكلترة وما اليها من ملاحق مختلفة، ابرمت الحكومة البولونية مع الحلفاء ايضاً الاتفاقـات الناطقة بالتعاون ولا سيا ما تعلق منها باعادة تنظيم الجيش البولوني في الخارج .

الحرب الروسية الالمانية — في حزيران ١٩٤١ طرأ على الوضع الموصوف اعلاه عنصر جديد كان من شأنه ان عدَّل في الوضعية السياسية والستراتيجية، الا وهو قطع العلاقات ونشوب الحرب بين المانيا وروسيا بعد ان امتلأت الارض دويا يعيد رجع تلك الصداقات التي تشدهما وتربط مصائرهما ابد الدهر .

كانت معركة روسيا في بدء الامر طامة كبرى تنزل بالاتحاد السوفياتي . فلم يستطع بالرغم

من مقاومته الصادقة وتفوقه بالعدد وصلاح سلاحه الحديث ان يحول دون تقدم جيوش هتلر وهجومها الصاعق . ويجب ان نلاحظ بانمعدل سرعة التقدم الالماني وتغلغله في الاراضي الروسية في الجولة الاولى من هذا الهجوم ،يفوق بكثير معدل تقدمه في بولونيـا يوم انقض عليها هتلر بجحافله الجرارة . فالاتحاد السوفياتيالذي سار جنباً الىجنب مع هتلر والذي اقتطع نصفبولونيا رأى نفسه ينتقلا رأساً الى معسكر حلفائه . فلا عجب ، والحالة هذه ، ان يطلب اليه التعويض عن الاضرار التي سببها لبولونيا والحقها بها .

عداء الاتحاد السوفياتي المستمر لبولونيا ــ ان تسوية العلاقات البولونية السوفياتية لم تتبع صراط الحق والعدالة . ان الغاء معاهدة ريبنتروب — مولوتوف يجب ان يؤدي حتما الى العمل باحكام معاهدة ريغا والمواثيق الاخرى التي شدت بولونيا والاتحاد السوفياتي الواحد الى الآخر واقامت علاقاتهما خلال ٢٠ سنة على اساس متين من السلام والتفاهم المتبادل . فلم نر ان الروس تنكبوا عن سياسة التوسع واقتطاع ما يرغبون فيه من الاراضي . وجلّ ما قاموا به من هذه الناحية انهم عرفوا كيف يتحينون الفرص ويكيفون سلوكهم بموجب مقتضيات المناسبات . فقد كان موقفهم ابداً يتجه واحكام الحالة الستراتيجية يسيرونه وفاقاً لما يبدو من دلائل الضعف والوهن على سياسة الحلفاء في الغرب . ففي ذلك الجو المثقل والرهيب معاًالذي لابس الهجوم الالماني على روسيا فكان نذيراً بضربات صواعق رأى الاتحادالسوفياتيمن اللازم اللازب ان يرتبط والحكومة البولونية المقيمة في لندن بميثاق جديد عقده بتاريخ ٣٠ تموز ١٩٤١ ،

وقد نصت مادته الاولى « على ان حكومة الاتحاد السوفياتي تعترف وتقر بان الاتفاقات الجرمانية السوفياتية عام ١٩٣٩ والمتعلقة بتعديل الحدود في بولونيا فقدت صبغتها الشرعية » . وقد قطعت الحكومة السوفياتية عهداً على نفسها بالافراج عن كل المواطنين البولونيين المعتقلين ، سواء اكانوا اسرى حرب او غير ذلك . كما ان هذه الحكومة نفسها رضيت بان يشكل في الاراضي الروسية جيش بولوني خاص قوامه الوحدات المفرج عنها ٠ .

وما كاد يتغير الموقف الحربي تدريجياً وتتبدل ستراتيجية الحرب من جراء شتاء قارس البرد لايرحم واغلاط القيادة الالمانية وشطط الخطط الهوجاء التي وضعها هتلر ومبادرة الاميركان والانكليز لنجدة الروس حتى رأينا الحكومة الروسية تنكص وتحسر عما تبطنه من عداء لبولونيا .

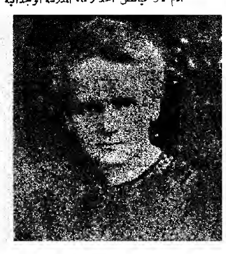
ان السياسة التي انتهجتها روسيا عام ١٩٣٩ فكانت سبباً في انفجار الحرب العالمية الاخيرة اوشكت ان تؤدي بالاتحاد السوفياتي مورد التهلكة فينهار تحت ضربات هتلر الشديدة ، فادت به الى قاب قوسين وادنى ، كما يصرح بذلك جهراً زدانوف (Zdanow) احد زعماء السوفيات . وهكذا اخذ الروس يعربون عن رغبتهم بصورة اوضح كلما تحسن موقفهم الحربي مصرحين بعدم



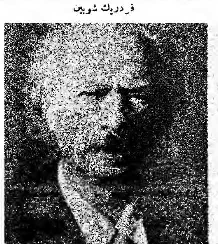
آدم متركيافتش احد زعماء المدرسة الوجدانية



فردريك شوبين



عالمة مشهورة مدام كوري سكلودفسكا



اغناطيوس بادارفسكي من رجال السياسة وموسيقي مشهور



اغناطيوس موشتريتسكي – رئيس الجمهورية السابق
الذي اشرف على وضع قرار الصمود في وجه هتلر



الجنرال سيكورسكي ، رئيس الوزارة البولونية بين
١٩٣٩–١٩٤٤ ومنظم الجيش في الخارج



المارشال جوزيف بيلسودسكي، منشىء
بولونيا الجديدة



الرئيس رتشكيافتش رمز الجهاد
في سبيل تحرير البلاد

*

استعدادهم لاعادة ما اقتطعوه من بولونيا الشرقية بموجب اتفاقهم الماضي مع هتلر ، عام ١٩٣٩ .

وقد زادت الصعوبات فحالت دون التفاهم بين الطرفين ، من ذلك بقاء مئات الالوف من البولونيين في المعتقلات يعانون الوان العذاب ويساموون صنوف الذل ، هذا اذا كانوا لايزالون بعد احياء ، وحرمان البولونيين في المقاطعات الشرقية من حقوق الرعوية البولونية ، والعراقيل التي قامت في سبيل تنظيم الجيش البولوني ، واخيراً قطع العلاقات الديبلوماسية بين بولونيا والحكومة السوفياتية (نيسان ١٩٤٥) . وقد اتخذت الحكومة الروسية حجة لقطع هذه العلاقات الدعوة التي وجهتها الحكومة البولونية للصليب الاحمر الدولي تقترح فيها عليه ارسال لجنة خاصة تتولى التحقيق في امر مذابح الضباط البولونيين بالقرب من سمولنسك في الاراضي السوفياتية .

وكان قطع العلاقات الديبلوماسية هذا بين البلدين ، بمثابة تهيئة مباشرة لاقامة « حكومة بولونية » تعترف باقتطاع الروس لنصف الاراضي البولونية وتقره ، كما تصادق على الخطة التي وضعها الاتحاد السوفياتي لابتلاع النصف الباقي . وفي هذا السبيل انشئت اللجنة الخاصة المعروفة بـ « لجنة الوطنيين البولونيين » وهي مؤلفة من موظفي « الكومنترن » (**Komintern**) ومن عمال حكومة موسكو . وقد انتحلت لها اسم « حكومة لوبلين » ثم عرفت باسم « حكومة فارصوفيا » او « حكومة الاتحاد الوطني » . وقد اخذت الاهلين بالارهاب والترويع ، معتمدة في ذلك على الحراب الروسية ، ومحاولة بما لديها من وسائل التأثير استئصال كل اثر ظاهر للروح الوطنية في البلاد والقضاء على الوعي القومي . وقد وصفنا هذه الاجراءات التي يركن اليها المحتلون وابنا الطابع الذي ترتديه ، المبني على التخويف والتهويل والترويع كما يتضح من الحادث التالي ، المعروف بـ « قضية الـ ١٦ » .

رغب الروس في « تصفية » المقاومة الوطنية في بولونيا والقضاء على ادارتها والزعماء الذين يشرفون على هذه الحركة ويوجهونها معتمدين في ذلك على محكمة العدل الروسية . وتحت ستار كثيف من التعمية احكموا حبكه استقدموا الى اجتماع مزعوم ، بحجة الشروع بمفاوضات سياسية الغاية منها ظاهراً اشد التعاون مع القيادة الروسية ، والهيئة المشرفة على حركة المقاومة والمسيرة لها مع من فيها من القادة والزعماء والوزراء الذين يمثلون الحكومة الشرعية القائمة في لندن . وبعد محاكمة شكلية مغايرة لروح العدل والقانون اصدرت المحكمة حكمها بزج اعضاء هيئة المقاومة ، وعددهم ١٦ ، في غياهب السجون السوفياتية . وقد كان بينهم رئيس المجلس النيابي الخفي في عهد الاحتلال الالماني ونائب رئيس الوزارة وثلاثة وزراء مفوضين من الحكومة الشرعية في لندن ، والقائد العام لقوى المقاومة البولونية وغيرهم من ساسة البلاد ممن يمثلون حزب الفلاحين والحزبين التقدمي والديمقراطي .

تقلب سياسة الحلفاء وتراجعها ــ ماذا كان موقف الحلفاء الانكلوسكسون من القضية البولونية بعد عام ١٩٤١ ، يا ترى ؟ وقد صرحت الحكومة الانكليزية تطميناً للبولونيين ، في المذكرة التي ارسلتها بتاريخ ٣٠ تموز ١٩٤١ (اي في اليوم نفسه الذي ابرمت فيه المعاهدة البولونية) : « ان حكومة صاحب الجلالة لا تعترف باي تعديل أُدخل على الاراضي البولونية منذ آب ١٩٣٩ » .

وقد جاء هذا التصريح ذاته في ذيل الميثاق السوفياتي البريطاني وفي المذكرة البريطانية المؤرخة ١٧ نيسان ١٩٤٢ حيث نقرأ : بان سياسة بريطانيا العظمى تجاه بولونيا ترتكز على المعاهدة الانكليزية البولونية المعقودة بتاريخ ٢٥ آب ١٩٣٩ ، وبانه لايدخل قط في روع الحكومة البريطانية ان تعقد اي اتفاق من شأنه ان يمس سلامة الاراضي البولونية او ان يعترف بتعديل اراضي هذه الجمهورية الذي جرى فيها منذ آب ١٩٣٩ وقد حرصت حكومة صاحبة الجلالة على تأكيد وجهة نظرها بهذا الصدد في كل اتفاق لاحق عقدته مع الحكومة السوفياتية . وهو موقف يتفق كل الاتفاق مع منطوق براءة الاطلسي والالتزامات المعقودة مع بولونيا .

لم تحسن الحكومتان الاميركية والانكليزية وهما زعيمتا الدول الديمقراطية غير المنازعتين الحد من المطالب الروسية الملحفة واخذتا تنهجان نحوها نهجاً اتفق وغرار سياسة « التهدئة » تلك السياسة التي وصفها ونستون تشرشل بقوله : « سياسة ملؤها العار قادت الى الحرب رأساً . »

ومنذ مؤتمر طهران عام ١٩٤٣ ، وهذا التراجع يبدو اكثر فاكثر ، فلا عجب ان ترى الحكومة البولونية نفسها ، ولا سيما منذ ١٩٤٤ ، عرضة لضغط شديد يرمي الى حملها على الاعتراف باقتسام بولونيا واخضاعها للنير . وقد جاءت مقررات مؤتمر يالطا (شباط ١٩٤٥) ومؤتمر بوتسدام (آب ١٩٤٥) ضغثاً على ابالة فتجاهل الحلفاء المواثيق التي قطعوها وتناسوا التزاماتهم ومبادىء الحق والعدالة فضحّوا ببولونيا . فاعترفوا باقتطاع الاتحاد السوفياتي للنصف الشرقي من بولونيا وقالوا بقيام خط كيرزون الجديد (Curzon) ، فجاء اعترافهم هذا تصديقاً وابراماً للاتفاق المعقود بين المانيا وموسكو . ومن علامات تراجع ساسة الحلفاء امام المطالب الروسية اعتراف الدول الانكلوسكسونية بشرعية اللجنة التي اقامها السوفيات وفرضوها فرضاً على بولونيا « حكومة موقتة للاتحاد الوطني » وسوادها يتألف من اعوان الروس وعملائهم فيها .

وهكذا نرى — والتاريخ لم يحفظ لنا ذكر سابقة من هذا النوع بين الدول المتحالفة — كيف ان ثلاث دول غريبة تأخذ على نفسها تصفية السلطات العليا الدستورية والشرعية لدولة ما ، ممثلة في رئيس جمهوريتها وحكومتها . وهكذا ديست تلك المبادىء السامية التي تقول بقدسية حدود الدول وسلامتها وبعدم تدخل الدول الغريبة في امور الدولة الداخلية .

وخليق ان نذكر هنا بان الملحق الاضافي لماهدة التحالف المعقودة بين بريطانيا وبولونيا في آب ١٩٣٩ ، ينص صراحة على انه في حال تعاقد كل من بريطانيا العظمى وبولونيا مع دولة ثالثة تتعهد الدولتان المتعاقدتان في الميثاق المقترح عقده بان لا يلحق تنفيذه اي مساس بسياسة احد الطرفين المتعاقدين او بسلامة اراضيها .

واخذت الحكومة البولونية الشرعية القائمة في لنـدن تحتج عالياً وبشدة على عـدم قانونية مقررات يالطا وبوتسدام وعلى نتائجها المشؤومة . وطبيعي ان لاتتمكن الامة البولونية ، والحالة في البلاد على ما وصفنا ، من رفع عقيرتها بالاحتجاج الشديد . ولكن صوت بولونيا الحرة دوّى عالياً مؤيداً موقف رئيس جمهوريتها وحكومته .

وقد سلق الرأي العام في بريطانيا واميركا مقررات يالطـا بالسن حداد منتقصاً من قيمتها السياسية والمعنوية انتقاداً مراً لاذعاً مصرحاً بان هذا التراجع امام الاتحـاد السوفياتي ليس مايبرره حتى ولاهاتيك الاعتبارات الستراتيجية والسياسية . وقد طوّح بهم الغرور فاعتقدوا انه في حال تحديد منـاطق النفوذ الروسية في اوروبة (ومنها بولونيا) وآسية ، أمّنوا قضية السلام وأمِنوا تدخل الروس في انحاء العالم .

هذه هي غلطة الرئيس روزفلت الكبرى التي نحا عليها باللائمة المسيو بوليت (**Bullit**) سفير الولايات المتحدة في انكلترة سابقاً .

ولما رأت الدول العظمى الضعف الادبي والوهن الذي يعتري المقررات التي اخذتها في مؤتمر يالطا ضد بولونيا ، اتفقت فيما بينها — سيراً على غرار الاتحاد السوفياتي بعد احتلاله ولاياتها الشرقية ، عام ١٩٣٩ — على السعي لدى بولونيا وحملها على قبول هذه الاحكام والتسليم بها فتعترف الامة البولونية « بتصفية استقلالها وترضى عن العبث بسلامة اراضيها وتشويهها على هذه الصورة » .

وقد قامت الادارة السوفياتية في بولونيا الشرقية بعـدة استفتاءات اصطبغت بذات الطابع الذي تصطبغ به النظم الدكتاتورية الاجماعية فجاءت نتائجها بفضل الاساليب الفنية التي تحسن دول الطغيان حبكها تؤيد مائة بالمائة « الامر الذي به تستفتين » . وقـد استعملت تلكم الاساليب ايضاً التي تعتمدها الدول الدكتاتورية وذلك في الاستفتاء الذي جرى سنة ١٩٤٦ وفي الانتخابات التي تمت في كانون الثاني ١٩٤٧ .

وقد ادرك العالم المتمدن ما عسى ان تكون قيمة الاحتكام الى الرأي العام والوقوف على صوت الامة في ظروف كهذه لاظـل فيها للحرية وللروح الديمقراطية الحقة ، فـلا عجب ان تأتي النتائج وفاقاً لرغبات السوفيات القـابضين بيد من حديد عـلى البلاد . وقد حاولوا بوسائلهم المعروفة ان يخلقوا ، رغبة ام رهبة ، او بالوعد والوعيد ، اصطناع بعض الزعماء ويستدرجوا ، استهواء ، بعض

الساسة فيتخذوا منهم تُكأةً للوصول الى قلب الامة البولونية . وقد رفض المسيو ف. فيتوس (W . Witos) احد زعماء حزب الفلاحين ، ان يصافح اليد الممدودة اليه ويقبل بالتعاون مع المحتلين بالرغم من وسائل التأثير واساليب الاغراء والتهويل التي جربوها معه . فلم يرض قط ان يكون تعاونه مع المغتصبين اداةً للوطن اواداةً للنيل من قضيته المقدسة . و«فيتوس» في ذلك انما هو صورة حية لا بل رمز لما عليه جميع ساسة البلاد في بولونيا .

وهذه القضية — القضية البولونية — يسدلون عليها بعض النسيان عندما ينصرفون للنظر في امر الجندي البولوني او امر اللاجىء البولوني الذي يرى نفسه بعد انتهاء الحرب مضطراً للبقاء في ارض غريبة . فالتضامن بين ابناء الانسانية يدعونا جدياً للاهتمام بامرهم . وقد رأى بعضهم ان يجد من هذه الناحية ، فارقاً بين البولونيين انفسهم ، فميزوا بين الوطن كبلاد ديمقراطية وبين رغبة الشعب في المهاجرة . ففي هذا التعليل من الاعتصار والمماحكة ما لا نحتاج معه الى دليل للتدليل ببطلانه . فالمجاهدون الحقيقيون عن حقوق الشعب والديمقراطية البولونية يرون انفسهم بوصفهم معارضين ، عرضة للاضطهاد من قبل الحكومة السوفياتية القائمة في البلاد ، فتتأثرهم وتشدد في مطاردتهم ، فيضطرون للفرار الى الخارج حيث يسعون لتحرير بولونيا واستخلاصها مما تعانيه .

وضع بولونيا السياسي ومنهاجها الوطني اثر اندحار المانيا

وضعية بولونيا ــ لا تطمح بولونيا الى اي تقدير او مكافأة لها على خدماتها طيلة الحرب العالمية الثانية . فهي لا تطمع في تحقيق مطاليبها لقاء اعمال البطولة الرائعة وتلك المقاومة الصادقة المجدية التي ادت بالحلفاء الى النصر الحاسم ، كما انها لا تبغي تقديراً لذلك الموقف الجري، الذي حدا بها الى الصمود في وجه جيوش هتلر الكاسحة فكان منجاة للعالم اجمع من الرق والعبودية ، ولا ترمي الى استدراج تعويضات عما الم بها من خراب ودمار لم يسبق ان وقعت العين على افظع منه .

فبولونيا هي في سبيل الدفاع عن حقها فقط . وهذا الحق ليس مكرمة يجودون به عليها ، انما هو مبدء اولي معترف به من الجميع . هو حق العيش والحياة حسب مجموعة من النظم والقواعد والعرف تواضع العالم المتمدن على الاعتراف بها والاتمساك باسبابها . وهذه المعايير والمفاهيم هي اسس تلك العهود والعقود وقوام تلك المواثيق الدولية والانشاءات الوطنيسة التي يقوم عليها اس الديموقراطية الحقة . فما هو وضع بولونيا اليوم ، يا ترى ، بعد ذلك الاصطراع الجاهد المنتصر ضد الاعتداء الوحشي الذي قامت به الدكتاتورية الالمانية .

عديدة هي الدول التي تشبهاً ببولونيا ، وقفت بوجه هذا الاعتداء ، حتى اذا ما وضعت الحرب اوزارها عادت سيرتها الاولى وفقا لمقتضيات الحية الوطنية ومستلزماتها . وهذه الدول اضطرت حكوماتها هي ايضاً ، بعد ان رفضت الاستسلام وطرح السلاح ، ان تفر من وجه الغزاة وتترك اوطانها الى حين ، لتقود من بعيد، من ارض حلفائها في الغرب، الجهاد ضد المغتصب وتنظم وسائل المقاومة . وقد عادت كل هذه الحكومات الى شعوبها بعد طول الاغتراب واستقرت في في اوطانها بعد طوافها المحمول، وقامت في كل من النرويج واليونان وبلجكة وهولاندة السلطات الشرعية والحكومات المسؤولة وعلى رأسها رؤساء الدولة .

آبت الى اوطانها تلك الملايين من الجنود التي حاربت بعيداً عن حدود بلادها وتلك الجحافل الجرارة من المساجين والمعتقلين والمسبيين والمنفيين والمبعدين التي شردت بهم السلطات الهتلرية ورمت بهم آفاق الارض طولاً وعرضاً .

ولم يقم احد بين الحلفاء من كبار الساسة ورجال الدولة في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة، من اثار او يثير المصاعب، من وضع او يضع العراقيل، من اي نوع كانت ، او من يجرؤ على شيء من ذلك فيقترح مثلا اقتطاع ولو متراً مربعاً واحداً من اراضي فرنسة او بلجكة او هولاندة

او النرويج ، او يرفض بان تستأنف حكومات هذه الدول سيرها الحكومي والدولي .

وقد حدث عكس ذلك كله لبولونيا الحليفة الوفية المخلصة التي كانت في ساحة الشرف منذ اللحظة الاولى . فسيادتها عبث بها واستهين شأنها وخفض جانبها ، وحكومتها الشرعية القائمة في بريطانيا العظمى منذ ان استباح الالمان باحتها لم تتمكن بعد من العودة الى بلادها تستأنف سيرها الحكومي ، لا بل شلّ قسمها القائم في انكلترا لانقاطع الاعتراف الرسمي بتمثيله ، بينما القسم المقيم منها في الوطن صفي طابقه بزجه في غياهب السجون . والجندي البولوني الذي حمل على منكبيه الثقلين من آلة الحرب الالمانية والروسية لا يزال يسخر منه ويعدون لذكره طرف اللسان بتهكم لاذع ، وحظه حظ الشريد الطريد والمنفي البعيد . فجندي الطليعة في جيش الحلفاء وبطل معركة ١٩٣٩ ، لا يزال يرسف للآن، وبعد انتهاء الحرب بسنتين ، في سلاسل الذل والمهانة في المعتقلات ! في المانيا ! ! !

والجندي الباسل هذا الجندي في جيش المقاومة، الذي تحدثت بأسه وبسالته الركبان وضربوا المثل بشجاعته وبما تحلى به من صفات جلى واقدام ، يلقى عليه القبض كالجاني الاثيم ويطارد ويهدردمه اذا لم يستطع ان ينجو بنفسه ويهرول الى مغادرة البلاد مستخفياً عن الانظار ! ! !

والجندي البولوني الذي ناضل وناجز العدو على الجبهات الغربية، واشترك والمجد ملء برديه— في تلك المعارك الحاسمة : في النرويج وافريقية وايطالية وفرنسة وهولاندة وليبيا، ويختم ملحمته التي خطها بدمه القاني لاجئاً ، منواعليه — مؤاســاة — بالاقامة المؤقتة وصرّدوا له الضيافة المشروطة ! ! !

وبولونيا وارضها البارة لا تزال مسرحاً تنهكها الفوضى مستنزفة آخر نقطة من دمها الغالي ، وحقها ان تكون اليوم منصرفة الى كفكفة الدمعة في عين هذه الامة المقرّحة لشدة ما اذرفت من دماء حميمة على بنيها الذين راحوا ولا اوبة لهم ، والى جبر العظم المرضوض في جسم هذا الشعب الشهيد والرفق بتلك الجروح البليغة الفاغرة شدقيها تئن لها الامة جمعاء انين الكليم الوجيع الرضيض !!!

والمواطن البولوني حيران لمصيره، ولهان ليومه ، قلق البال لغده ، ينظر الى المستقبل مشدود النظر موتور العضل مشدوه العقل ، يفتش عن المروءة ترعى الحق ويتساءل من عساه يا ترى مرّ بها ، بعد ان ديست المقومات الشخصية الانسانية .

فالمبادىء التي نادت بها الديمقراطية عالياً فكانت ركنها الركين لا ظل لها اليوم في بولونيا . والحرية الدينية فيها اليوم اسم بلا مسمى فالاضطهاضات تترى على الروم الكاثوليك في بولونيا الشرقية تجعل ضحاياها يترحمون معها على عهد القياصرة لهول ما الم بهم من تقتيل وتقطيع وتشنيع .

والحياة السياسية في البلاد يوجهها عمال الاجنبي وهي لا تستهدف الا القضاء على كل عنصر قومي يلهج بالاستقلال او يمر طيفه بالبال في الخيال .

وما هذه الاساءات الى بولونيا والمظالم التي تنزل بها الا برض من عدم مساوىء مؤتمر القرم ونتائج مقررات يالطا المشؤومة التي قضت ، فيا قضت فيه باقتسام بولونيا من جديد واقتطاع الاتحاد السوفياتي لنصفها الشرقي .

مطالب بولونيا — وما عسى ان تطلبه بولونيا في حالة كالتي وصفنا ? فهي لا تبغي امتيازاً ولا تريد مكافأة ، وجل ما ترغب فيه وتهدف اليه هوان ترى المبادىء التي نصّ عليها الميثاق الاطلسي والحق العام المنصوص عنه في عهد اتحاد الدول الحليفة يطبق عليها بروح العدالة، كما تقتضيه حالتها .

فهي تطلب قبل كل شيء،اعادة الاستقلال الى البلاد وصيانة سيادة الدولة البولونية ، كما انها تطلب ان يحترموا سلامة اراضيها وان يعيدوا اليها الحدود التي كانت لها قبل الحرب الاخيرة . كذلك هي تنشد ، بالتالي ، هل مطلبها العدل من المانيا حلاً سريعاً وذلك بتسوية حدودها الغربية والشمالية معا وفقاً لمقتضيات حكم التاريخ ، فتزول بذلك مساوىء معاهدة فرساي .

المطالب المستعجلة — وبين هذه المطالب التي اتينا على تبيانهاما يجب الاخذ به وتنفيذه بالحال . وهذا شرطاساسييقتضية العدلوالحقوتتطلبه طبيعة العلاقاتالدولية . كلهذا يستدعيقبل كل شيء ان تتمتع البلاد بحريتها والعمل بالنظم الديمقراطية واستتباب مقومات الحياة العادية امام الشعب البولوني . من ذلك :

١ — جلاء القوات السوفياتية في الحال وانسحابهامعما اليها من قوى البوليس والمهامنالعمال، الى ماوراء الحدودالتي كانت تفصل من الشرق ، عام ١٩٣٩ ، بين الاتحاد السوفياتي وبولونيا .

٢ — وضع حد لنظام الارهاب السائد اليوم في البلاد .

٣ — اعادة حقوق الناس وحقوق الجنسية التي يضمنها الدستور البولوني لجميع المواطنين بعد ان تجاهلها وداسها النظام الاجتماعي المعمول به حالياً في البلاد .

٤ — عدم تدخل الروس او سواهم في امور بولونيا الداخلية .

٥ — الرجوع الى السلطات الدستورية القائمة شرعاً والموجودة اليوم في بريطانيا العظمى وتمكينها من العودة الى البلاد لممارسة صلاحياتها القانونية ، وبالتالي تصفية احوال الحكومة القائمة بقوة الحراب الروسية .

٦ — الافراج عن جميع المواطنين البولونيين الموقوفين في المعتقلات والسجون او في غير جهات من روسيا او السماح لهم بالعودة الى بولونيا .

٧ — بعد رجوع جميع المواطنين الموجودين في المنفى والمعتقلات يصار الى انتخابات عامة

حركة، دمقراطية كما يفهم من مدلول هذه الكلمة في الدول الغربية دون اي ضغط من الخارج .

٨ — تسوية قضية الحدود بين المانيا والعمل على تنظيم اوروبا الوسطى .

الاصلاحات المرجوة — ترغب الاكثرية الامة الساحقة سواء منها المقيمة في البلاد او المغتربة ان يصار في الحال الى تحقيق مشروع اساسي تقدمي يرمي الى الاصلاح الاقتصادي والاجتماعي ويضمن للبلاد ازدهار العدل الاجتماعي ، كمشروع الاصلاح الزراعي مثلا وتأميم المشاريع العامة ، وهي نفس المطالب والاماني التي اعربت عنها الحكومات التي تعاقبت على البلاد شرعاً ، منذ ١٩٤٠ والتي اسند اليها رئيس الجمهورية مسيو رتشكيافتش قيادة دفة السفينة البولونية كما طالب بها وبتحقيقها الهيآت المنبثقة منها التي اشرفت على سير وتنظيم قوى المقاومة في بولونيا .

ويحدو الى الاخذ سريعا بهذا الاصلاح وجوب تجنب الفوضى في البلاد والانحدار في المهاوي والمزالق التي تؤدي بها الى شفا جرف هار ، كما يحدو اليه ضرورة اعادة ترميم البلاد وانعاشها .

ومجلس النواب الذي سينبثق عن انتخابات حرة بعيدة عن اي تدخل من الخارج يضفي على هذا الاصلاح المنشود الصبغة القانونية وهو يعيد تنظيم بولونيا في الداخل كما يتولى النهوض بنظامها الاقتصادي والاجتماعي .

حدود بولونيا الشرقية — لحق ببولونيا من هذه الناحية اكبر ظلامة لحقت بها في الحرب الاخيرة . فالامة البولونية لم ترضخ ولن ترضخ لاقتطاع او صالها من هذه الجهة ولا تسلم بتشويه وتمزيق حدودها كما نصت عليه معاهدة يالطا . كيف لا وقد اقتطع مؤتمر يالطا منها نصف مساحتها او ١٨٠،٠٠٠ كلم مربع، اي ستة اضعاف مساحة بلجكة بمن فيها من السكان وعددهم ١٣،٠٠٠،٠٠٠ ، ومن بينها مدينتا فيلنو ولفوف وهما اهم مراكز لاشعاع الحضارة البولونية والمدينتان ، معروفتان بتعلقها بالوطن الام وارتباطها به ارتباطاً وثيقا على مدى الاجيال . واذا بجال بولونيا حال دولة غريبة تريد ان تؤمن لها بداعي سلامتها ، رأس جسر في فرنسا فتقتطع منها ولاياتها الشرقية حتى فردون ونانسي، او في انكلترا فتقتطع ايدنبرغ وغلاسكو .

فما عسى ان تقوله، والحالة هذه، فرنسا او انكلترة لحلفائها الذين يدعمون طلباً مثل هذا الطلب؟ وما مثل روسيا من هذا الامر الا ما ذكرنا من شأن هذه الحكاية بعد ان تطالب باقتطاع ولايات بولونيا الشرقية بما فيها فيلنو ولفوف اي بنصف املاكها الشرقية ؟ فهم يحاولون ان يحشروا بولونيا وراء خط كيرزون الموازي لخط رينتروب — مولوتوف فيقصروها على الحدود التي كانت لها عند اقتسامها الثالث (١٧٩٥) هذا الاقتسام الذي نعته لنين نفسه بكونه جريمة ورذله عالياً عام ١٩١٨

ان خط الحدود التي رسمت بين بولونيا وروسيا عام ١٩٢١ كان موضوع احترام الاتحاد

السوفياتي حتى عام ١٩٣٩ ، وقد قبل به كلا الطرفين دونما ضغط وقسر ، واكدت وجوب المحافظة عليه واحترامه كل المعاهدات والمواثيق والتصريحات التي ابرمها او صرح بهـا الاتحاد السوفياتي والدول الكبرى .

فلا مشاحة ، ولا مراء كما ذكرنا ، بان قضية ضم بولونيا الشرقية الى روسيا حسبما اقترح ذلك وحبذه مؤتمر يالطا ، قضية تخالف الحقوق المبنية عـلى انوار التاريخ والموجبات الشرعية والالتزامات المعقودة . ففي كل هذه المنطقة لا يزيد معدل الروس فيها على ١ بالمائة . والعنصر البولوني فيها هو العنصر البارز المتفوق على جميع القوميات الاخرى : الروتانيين البيض في الشمال والاكرانيين في الجنوب . والبولونيون في تلك المنطقة هم سكان البلاد الاصليون يعيشون مع من جاورهم من الاجناس الاخرى منذ عهد سحيق في جو يسوده التفاهم والتعاون المتبادل .

ومن اسخف الامور الادعاء بان هؤلاء السكان يرغبون هم انفسهم في الانضمام الى الاتحاد السوفياتي . فالاستفتاءات العديدة التي نظمها السوفيات في هذا السبيل ينقصها الكثير من العدالة والنزاهة ، كما انه ليس لها اية قيمة في نظر الراي العالمي ، ويكفي ان نشير بان السكان رفضوا بشيء من الاجماع الالتحاق بغير وطنهم الام بولونيا . وما المقاومة الشديدة التي يبديها الفلاحون الاوكرانيون في مقاطعتهم غاليسيا – ولاية لفوف ، في وجه المعاهدة السوفياتية الا مظهراً رائعاً وبرهاناً صادقاً يعبر خير تعبير عن نوازع هؤلاء السكان الحقيقيـة . فحركة الاجلاء ونقل السكان الاصليين من هذه المنطقة الجاري الاخذ بها وابعادهم عن مسقط رأسهم وتشريدهم، كل هذا يقوم دليلا قاطعا على ما تتصف به احكام مؤتمر يالطا من الظلم والقسوة والعدوان .

فالبولونيون يرون انفسهم عرضة للطرد نحو الغرب وللنفي والتشريد في مجاهيل روسيا ، شأنهم في ذلك، شأن الاوكرانيين والروتانيين البيض الذين ينقلون هم ايضاً نحو الاصقاع الروسية النائية ، فيأتون من المشارق باجناس روسية اخرى او بشعوب آسيوية اقتلعوها هي ايضاً من بطن الاتحاد السوفياتي في القارة الاسيوية .

فمن الوجهة الاقتصادية يؤلف القسم الشرقي من بولونيا ، اهذا القسم الواقع عبر الخط المعروف بخط « ريبنتروب – مولوتوف – كيرزون » القسم الاوفر من الثروة الزراعية ، لا بل يوازي نصف مساحة البلاد من هذه الناحية . ففيه تقع الاراضي الخصبة ومعظم الاحراج وثروة البلاد من النفط . وقد اخذت الملايين من البولونيين منذ عهد بعيد يستثمرون هذه الموارد دائبين على استغلالها بما عرف عنهم وعن اخوتهم الروتانيين، بين اوكرانيين وروتان بيض ، من جلد ونشاط وصبر جميل على العناية في الارض لاستدرار الرزق من بطنها الخصيب .

وبالنظر الى ما تحويه روسيا من موارد الرزق التي لا تنضب ، فالارض المتنازع عليها تمثـل كمية مهملة بالنظر للروس ، بينما هذه الكمية لا غنى عنها لبولونيا وللبولونيين .

وهنالك طغمات برمتها من رجالات العلم والادب والفن والاختراع والسياسة نبتوا في تلك الاصقاع ونبغوا فيها فكانوا من امجاد الامة البولونية وتراثها التاريخي المجيد . وان نـذكر اونتمثل ببعضهم فيكفي ان نأتي على اسمـاء متسكيافتش وسلوفتسكي بين كبار الشعراء والادباء وكوشتزيكو وتراوغوت (Travgutt) وباصدسكي ، بين امجـاد الامة البولونية العسكريين . فالعبث اذاً بهذه البقاع واقتطاعها من جسم الامة البولونية ولا سيما مدينتي فيلنو ولفوف ، اهانة تلحق بشرف الشعب البولوني وانتقاص لكرامته وعزة نفسه .

وهكذا نرى ان الحق يؤيد من اي جهة اتيته : باسم العدل والتاريخ والاقتصاد والعنصرية او العرقية ومطالب الحياة الطبيعية ، جانب بولونيا في مطلبها المقدس ، وفي الاستماتة في صيانة سلامة بولونيا والمحافظة على حدودها الشرقية كما كانت بين ١٩٢١ — ١٩٣٩ ، هذه الحدود التي من حق الاتحاد السوفياتي ان يتمسك بها ويطالب بالمحافظة عليها اكثر مما لبولونيا ، لانهـا في صالحهم اكثر من الحدود التي اقترح وضعها لنين نفسه عام ١٩٢٠ وهي ٥٠ — ١٠٠ كلم . شرقاً ، ضمن الاراضي الروسية اليوم .

سياسة بولونيا الخارجية : تمثل سياسة بولونيا الخارجية ، سيراً مع تقاليدها ، القول بمبدأ السلام والتعاون الدولي الوطيد . ومع ان مصائب الدهر اناخت عليها بكلكلها الثقيل وجثم الاجنبي على صدرها حتى كاد يزهق منها الروح فانها تأبى بشمم ، ان ترى نفسها مبعـدة عن نطاق الدول المستقلة . فهي تعتقد ، وبحق ، ان بامكانها المساهمة على قدم المساواة مع الدول الاخرى وان تطمح معهم الى ما يصبون اليه عندما يعود الحق والعدالة الى نصابها .

نحن في عطفة من التطور والارتقاء سجله التـاريخ نرى فيها الشعوب المستضعفة التي كانت تئن تحت نير الاستعمار وسلاسل الاستعباد يعترف لها اليوم بحق المطالبة بالتمتع بحريتها وباستقلالها الذاتي . فمن المغالطة في التاريخ التي لا يسلم بها احد ان يسمح « بتصفية » امة والقضاء على دولة جرير تهاانها ضحت بنفسها على مذبح الحرية والديمقراطية الحقة .

ففي امتشاقها الحسام للدفاع عن حريتها نرى بولونيا تمتشقه في آن واحد للدفـاع عن الامم الاخرى لئلا تستهدف هي ايضاً للمصير المحتوم نفسه . فهي تعتقد اعتقاداً وثيقاً ان تحرير اوروبة الوسطى من اية سيطرية يحاولون فرضها عليها هو شرط اولي لاستتباب السلام الاوروبي والعالمي معاً . وهذه الفكره نفسها هي التي تجيش بها جميع الشعوب الرابضة بين البحر البلطيق والادرياتيك والبحر الاسود ، الواقعة في مأتي شرقي المانيا وغربي روسيا ، وعلى اساسها تطمح هذه الدول الى تعاون تام نزية يشدها بعضاً الى بعض .

ان حلفاً يقوم على هذه الدول يكون كتلة خطيرة الشأن يربط فيا بينها طابع اقتصادي

واحد يتصف بالسلام والاستمساك باطرافه واهدابه ويكون من طبيعتها وجوهرها التخفيف من حدة التصادم بين الشرق والغرب وتليين وطأة الاحتكاك بينهما. ففي الخروج بهذا الحلف الى حيز الوجود واحقاقه على الوجه المرغوب فيه رجوع الى تحقيق فكرة تمخضت بها قرائح السياسة البولونيين في عهد اسرة « ياجلون » كما يخبر التاريخ ، بعد ان اوشكت هذه الاحلام تتحقق في القرنين السادس عشر والسابع عشر على ايدي ملوك هذه الدولة .

ولهذه الفكرة — فكرة انشاء حلف مركزي وسيط من دول اوروبة الوسطى — انصار اشداء يدفعونها الى الامام ويدعون لها بين تلك القوميات المختلفة . ونرى حكومات الدول العظمى في الشوط الاول من الحرب العالمية الثانية ، تبتسم راضية مرتاحة لحل من هذا النوع ينتظم معه عقد السلام في هذا القسم الحساس من اوروبة المتقدة .

اما اليوم تحت وقع سياسة التوسع والتبسط التي نرى الاتحاد السوفيتي آخذاً في سبيلها تحقيقاً للمدى الحيوي الذي يطالب به ، فالفكرة المذكورة لا اثر لها بيّن عند الشعوب التي تخضع للتوجيه السوفياتي الآن . واننا لنتمنى لخير الجميع ان يزول في القريب العاجل كل اثر لهذا الكابوس الضاغط في تلك الاصقاع .

ان سياسة بولونيا الحرة لا يمكن ان تكون إلا مشبعة بروح السلام والوئام نحو روسيا . فهي ترغب بحرارة ان تستأنف معها عاجلا علاقات حسن الجوار التي شدت بينهما واواصر التعاون الوثيق التي جمعتها الى حد كبير ردحاً من الدهر . غير انه يستحيل عليها الرضوخ والتسليم لما يمس سلامة ارضها والقبول بما ينتقص من سيادتها واستقلالها .

ان بولونيا دولة ديمقراطية في الصميم . فهي ترغب بحسب هذا الوصف ، ان تدعم الامم الاخرى في مجهودها الصادق لتركيز السلام واقعاده على اسس وطيدة من المبادىء القويمة الرشيدة التي يقرها العدل الدولي . فسياسة بولونيا الخارجية تقوم ابداً ، والحالة هذه ، على اقصى حدود التعاون مع حلفائها في الغرب .

*

نتائج عامة

يدعو نابوليون القضية البولونية « مفتاح العقد » او حجر الزاوية في السياسة الاوروبية . ونحن وان كنا لا نود ان نطاق هذا الرأي بدون حصر او قيد على مشاكل اوروبة كافة، فلا يسعنا الا ان نعترف بان الاحداث الاخيرة جاءت مصداقاً لحكم نابغة الحرب والسياسة مؤيدة للواقع و الوضع الراهن وهو ان استقلال بولونيا وحريتها لمن مقومات وجود الشعوب المجاورة لها ومن مستلزمات تمتعها بالحرية و الاستقلال .

وروسيا السوفياتية نفسها كانت فريسة لهجوم الماني عنيف زعزع منها الاركان كاد يطوح ببنائها الشامخ و يدك معالمها، و بولونيا اذ ذاك تدعي استقلالها، وقد اسقط في يدها . واشترك المارد ان الجباران بصراع هو صراع الطواغيت واخذ الغربي منهما بتلابيب الشرقي يبغي صرعه . والحقيقة التاريخية التي لا مراء فيها هي ان حرية وسلامة كل دولة ومنها بولونيا قامت، قبل كل شيء، وارتكزت على سلاح الامة البولونية ونشاطها وعلى حراب الجندي البولوني وسلاحه المشحوذ . هذه حقيقة راهنة من التجني الاغضاء منها قلما حسبوا لها حساباً، لا في بولونيا ولا في غيرها من الدول الاخرى .

وقد جاء سير الحوادث دليلا صادقا على ان بولونيا كانت ابداً ، وفي كل اين وآن ، حجر الزاوية الذي يقوم عليه التوازن الدولي في القارة الاوروبية . وقد سبق لفولتير ان صرح ، منذ القرن الثامن عشر : «بان ما يجيش به البولوني من حب للحرية يجعل من البولونيين ابداً شعباً شديد البأس قوي الشكيمة . قد يُغلبون على امرهم فتتحطم سفينتهم ويُرهقون عبودية ورقا ، الا انهم لا يلبثون حتى ينتفضوا فيزول عنهم القهر والكفن ويخلعون عن عاتقهم ما يرسفون تحته من نير الاستعباد . ومثلهم مثل العاصفة تعصف بالبذرة فتوردها مورد الهاوية والهلكة ، حتى اذا ما علقت اصولها في التراب برزت وتفتحت اكمامها بخير الثمر وانيع المحصول . »

لم تفقد هذه الكلمة المأثورة عن فولتير شيئاً من جدتها لليوم . وعندما يقوم رئيس الولايات المتحدة ، من بضع سنين ، فيصرح على الاشهاد : « بان بولونيا هي الوحي الهابط على العالم » كما يقوم كاردينال انكليزي ويدعوها « ضمير العالم » ويصرح بان «مستقبل بولونيا »، هذه الدولة التي هي اول من وقفت في وجه العدوان اقرت الصمود امام الطغيان، سيكون مقياساً لدرجة الاخلاص في الجهاد ومعياراً لاستتباب العدل في العالم، نعم عندما يصرح شهود عدل كهؤلاء بمثل هذه الاقوال الرفيعة، ندرك جيداً ، اذ ذاك ، من اين للبولونيين الطاقة على احتمال الارهاب والاضطهادات التي يرهقونهم بها بصورة لم يسجل مثلها التاريخ . فهم يستمدون هذا الكبر في النفس وهذا الشمم

والاباء في كلف من امجاد ماضيهم السحيق وهم عـلى اشد من اليقين بانهم سيمدون المستقبل بامجاد تبهت دونها ما لهم منها في ضمير الزمن طارف وتليد .

فالمبادىء المثلى التي استلهمتها الامة البولونية فكانت قاعدة حياتها خـلال التاريخ والتى ذادت عن حياضها باذكى دماء شبابها، تتجلى بجلاوة صفاة في حب الحرية واحترام الانسانية والمواطنين وما لهم من حقوق مقدسة ، كما تتجلى في هذا الاسماح وفي تلك الروح الديمقراطية التي تنفخ الصدور وتعمر القلوب . كل هذا وما اليه يغذي المثل العليا التي تستهدفها بولونيا وهو خليق بان يكفل الهناء ويقر السلام لبني الانسان

«ليهلك كل من لا يرتكز على المحبة . كل ما سواها زائل وهي الباقية ابد الدهر . المحبة تشعّ بنفسها وتطفي نار الحسد وتردع الغيرة وتكبح الشهوة وتسكّن سورة الغضب وتقضي على ما يقوم بين العباد من فروق وتزيل ما يباعد بينهم من اضداد ، وتقوّم المنحنيات وترفق بالجميع وتغضي عن المسيء وتظل تحت جناحيها الهلع الولهان وتمر بالوعيد والتهديد . فالمحبة تطلع على الناس بالشرائع وتسيّر الدول وتنشيء المدن وتعمر الارياف . فمن سخر منها عبثت به هازئة . ولذا رغبةً منا في السلام ، وبسطا لسرادقه ورفعا لدعائمه بيننا ، رأينا، نحن المجتمعون هنا تحت ظلال المحبة ان نرتبط بهذا الميثاق يحدونا اليه البر بها، وان نشد بعضها الى بعض منازلنا وما تعمر به من أسر وجماعات .

هذا بعض ما جاء في الصك المعلن في هورودلو (Horodlo) المبرم عام ١٤١٣، هـذا الميثاق الذي ربط معا مصير البولونيين والليتوانيين والروتانيين بضع مئـات من الاجيال بعد ان ضمهم صعيد واحد هو صعيد الجمهورية البولونية التي تمكنت من ان تضمن مقومات الحياة ومستلزماتها لهذه المجموعة من الشعوب التي كوّنت دولة غطت رقعتها مليوناً ونيفاً من الكيلومترات المربعة .

وصراط المحبة، هذا الصراط القويم الرشيد، هو وحده خليق بان يضمن السلام للعالم والطمأنينة للشعوب كافة .

*

مصادر ومراجع —

١ — العربية

فرح انطون — بولونيا والترنسفال — الجامعة ، ٣ : ٣٦١
زكي محمد حسن — اثر الفنون الاسلامية في بولندة — الثقافة، مجلد ١ (١٩٣٩)عدد ٤١ : ١٥
حسن المهدى غنام — شعب بولندة وطبقاته — المقتطف ١٠٥ : ٣٢٨
عادات البولنديين وعقائدهم — المقتطف ١٠٥ : ٤٢٥
الاب جبرائيل لوفنك — نهضة بولونية — المشرق ٢٠ (١٩٢٢) ٣٦٠
في بولونيا من المسلمين — الهلال ٤٢ : ٧٠٢
التقسيم الرابع لبولونية — الثقافة ١ (١٩٣٩) : ، عدد ٣٩ : ١
المارشال بلصدسكي ، منشىء بولونيا الجديدة — المقتطف ٨٦ : ٤٨٢
بولونيا بين طي التاريخ ونشره — المقتطف ٩٥ : ٥٨٩
الكاثوليك في بولونيا — المسرة ٢٠ : ٩٠
توماس كامبل —سقوط بولندةفي اواخر القرن الثامن عشر ، ترجمةمحمود عزت عرفة— الرسالة ١٠ (١٩٤٢) : ٨٨١
حسن مهدي غنام — اللغة البولونية وتاريخها — المقتطف ١٠٤ : ١٤٢
روسيا والبلطيق — من ايفان الرهيب الى ستالين—المقتطف ٩٥ : ٥٧٧
يوسف داغر — بولونيات — الاديب ٥ ، عدد ك ١ (١٩٦٤) : ٢٩
اوليفيا عويضة عبد الشهيد — باديروفسكي ، رئيس جمهورية بولوندا كلمة عنه — منيرفا ٣ :
بادروفسكي يعود الى الكفاح — المقتطف ٩٦ (١٩٣٠) : ٣٣٧
المارشال بلسودسكي منشيء بولونيا الجديدة ـ المقتطف ٨٦ (١٩٣٥) : ٤٨٢
كريم ثابت — حديث مع المارشال بلسدسكي بطل استقلال بولندة — الهلال ٤٠ : ٩٥٤
محمد احمد الحفني — اشهر مشاهير الموسيقى الغربية قديماً وحديثاً : فريدريك شوبين — ص ٧٥ — ٧٨ (مصورة)
محمد عزت موسى — الموسيقي الخالد شوبين ، مأساة النبوغ والحب ـ السياسة الاسبوعية ، عدد ٢٠٤ : ١٩
شوبين وكشف المخبأ — المقتطف ٦٥ (١٩٢٤) ٢٧٢
منير الحسامي — النبوغ الموسيقي : فريدريك شوبين — منيرفا ٨ : ١٨٠

امين هلال — الجنرال جوزف بيم (مراد باشا) ونقل رفاته من حلب الى بولونيــا — الكلمة (حلب) مجلد ٤ : ٢٠٦

جان سوبيسكي وتذكار موقعة فينا (٧ — ١٢ ايلول ١٩٣٣) — المسرة ١٩ : ٥٥٧

بشير اللوس — كوبرنيكوس وتاريخ العلم — مجلة الرابطة (بغداد) مجلد ١ عدد ٤ (١—٥ — ١٩٤٤) : ٨٩

جودة شهوان — كوبرنيكوس بمناسبة مرور اربعمائة سنة على وفاته — الرسالة ١١ — ٧٧٦

تهم الهرطقة يرثها القرن العشرون عن العصور الوسطى — العصور ١ : ٥٢ — ٦٣
(نظرية كوبرنيكوس واضطهاد الكاثوليكية والبروتستانتية)

فؤاد صروف — نقولا كوبرنيكوس — في كتابه « اساطين العلم » ص ١ — ٧

مصطفى محمود حافظ — مدام كوري وقصة الراديوم — الرسالة ، عدد ٥٤ (١٦ — ٧ — ١٩٣٤) ص ١١٩٠

حبوبة حداد — مدام كوري — الحياة الجديدة ١ : ١٢٣ (مصورة)

خورستين خوري — حياة مدام كوري — المرأة الجديدة ، ٢ : ١١٤

ذكرى مدام كوري (نقلاً عن اميل لودفيغ) الرسالة عدد ١٣٦ : ١١٧٧

فؤاد صروف — اساطين العلم الحديث : مدام كوري — المقتطف ٧٨ (١٩٣١) : ٢٣ وفي كتابه ايضاً : ١٤٠ (مصورة)

محمد عفيفي — مدام كوري واكتشاف الراديوم وتاريخه — السياسة الاسبوعية ، عدد ٢٠٢ (١٩٣٠) : ٩

محمد محمود غالي — مدام كوري — الرسالة ، عدد ٢٧٦ : ٢١٩

مصطفى الديواني — مدام كوري على فراش الموت — الهلال ٥١ : ٦٢٣

خليل فرا — مدام كوري — الدهور ٣ : ٥٧٧

ميخائيل كزما — مدام كوري — الثقافة (دمشق) ١ : ١٠١٢ و ١٠٢٩

الاستاذ كوري — المقتطف ٣١ (١٩٠٦) : ٤٤٥

مدام كوري — المقتطف ٤٣ (١٩١٣) : ٤١٢

الاستاذ كوري وزوجته — المقتطف ٣٠ (٥ — ١٩) (مصورة)

مدام كوري والراديوم — المقتطف ٥٨ (١٩٢١) : ٥٧٢ (مصورة)

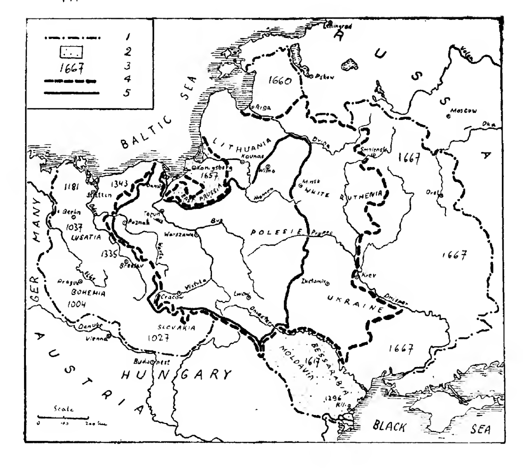
مدام كوري وهدية نساء اميركا — ٥٩ (١٩٣١) : ٢٠٥

مدام كوري : حياتي وعملي — المقتطف ٧٥ (١٢٢٩) : ٩١

مدام كوري المقتطف ٨٥ (١٩٢٤) : ١٣٣ (مصورة)
مدام كوري والراديوم — المرأة الجديدة ١ : ١٣٠
مدام كوري — الخدر ٣ : ٣٨٩

٢ — الفرنجية

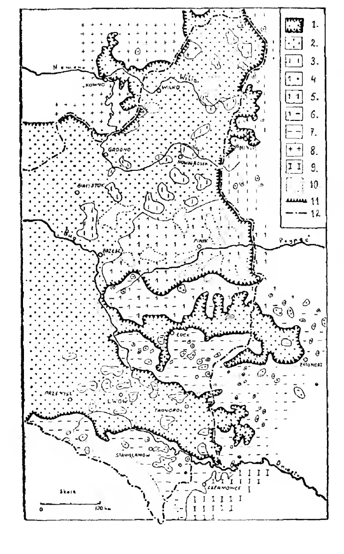
D'Abernon (Vicount) — The eighteenth decisive Battle of the World.
Askenazy (Simon) — Danzig and Poland (1921).
Ancienne Cracovie — Old Cracow (Reimpression 1941, Glasgow).
Annuaire statistique de la Pologne (Varsovie, 1937).
Bartel (P. prof.) — Le Maréchal Pilsudski.
Beck (Joseph) Le Discours, 1931-1939.
Buell (Raymond) — Poland key to Europe (N. York, London, 1939).
⁂ — The Cambrigde History of Poland, 1697-1935.
Chlebowski (B.) — La Littérature polonaise au XIXe siècle (Paris, 1935).
Choloniewski (A.) — L'esprit de l'histoire de la Pologne (Lausanne, 1917).
⁂ — Concise Statistical Year Book of Poland, September 1937 June 1941 (The Polish Ministry of Information, Glascow).
Gorecki (R. dr.) — La Pologne Nouvelle (Varsovie, 1931).
Gorka (O. prof.) — Outline of Polish History — Past and Present (Tel Aviv, 1942).
Gotlib (H.) — Polish Painting (1941).
Grappin (H.) — Histoire de la Pologne des origines à 1922 (Paris).
Gross (F.) — The Polish Worker (N. York, 1945).
Halecki (O. prof.) — La Pologne de 963 à 1914.
Henderson (H. W.) — An outline of Polish-Soviet Relations (Glascow).
Jordan (P.) — Central Union (1943).
Karski (J.) — Story of a Secret State (Boston, 1944).
Nalkowski (W.) — La Pologne, entité géographique (Varsovie, 1921).
Opienski (H.) — La musique polonaise (Paris, 1918).
Pilsudski (J.) — L'année 1920.
⁂ — Poland's Progress 1919-1939 (London, 1944).
⁂ — Pologne 1919-1939 (Neuchatel, Edit. de la Baconnière, 1946).
⁂ — The Polish Government, The Polish Undergroundstate (N. York, 1944).
⁂ — The Polish White Book (N. York, 1945).
Pragier (A. prof.) — Polish Peace Aims (London).
Przezdziecki (R.) — Varsovie (1924).
Slocombe (G.) — A History of Poland (1939).
Soltynski (R.) — Glympses of Polish Architecture (London).
⁂ — Varsovie-Warsow (Bâle, 1945).
W. R. — History of Poland (Stambul, 1943).
Zweig (F. prof.) — Poland between two Wars (London, 1944).



حدود بولونيا في الادوار التاريخية التي مرت بها

١ — حدود بولونيا في أكبر مدى بلغته رقعتها.
٢ — الدول التي خضعت لبولونيا .
٣ — يشير العدد الى السنة التي فقدت بولونيا الولايات المرقومة .
٤ — حدود بولونيا قبل ١٧٧٢ (اي قبل بدء اقتسامها)
٥ — حدود بولونيا بين ١٩٢١ — ١٩٣٩





مدلول الشارات

١ – مناطق كبرى يسود فيهـا العنصر البولوني بأكثرية مطلقة او نسبية .

٢ – البولونيون .

٣ – الروتان البيض

٤ – بوليزيا – اكثريـة نسبـة لبولونيين ، مع عنصر سلافي قوي بدون وعي قومي متبلور .

٥ – سكان بولسيزيا بدون وعي قومي واضح ، انسبـاء الروتان البيض والبولونيين .

٦ – سكان بوليزيا مع الاوكرانيين

٧ – اوكرانيون وروتان

٨ – الليتوانيون

٩ – رومانيون

١٠ – مساحـة قليلة السكان او خالية منها : مستنقعات – احراج وجبال عالية .

١١ – حدود المنطقـة التي يسود فيها العنصر البولوني

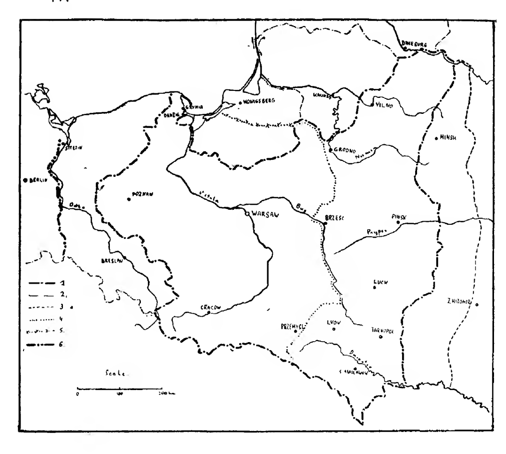
١٢ – حدود بولونيا بين ١٩٢١–١٩٣٩

رسم بياني يشير الى القوميات المختلفة في بولونيا الشرقية

يشير هذا الرسم الى توزيع القوميات في البلاد دون النظر الى اعمال الاضطهاد كالنفي والابعاد والنقل وغيرهـا من اعمال الارهاق التي ينزلها المحتلون بالسكان الاصليين .

فالخريطة تدل اجمالا الى هذه القضية معتمدة على الاحصاءات البولونية وسواها ، وعلى الدروس والابحاث التي قام بها الاثنوغرافيون وعلماء اللغات .





قضايا الحدود البولونية بعد بعث بولونيا الجديدة

١ – الحدود بين ١٩٢١ – ١٩٣٩ ، كما رسمتها في الشرق معاهدة ريغا بين بولونيا والاتحاد السوفياتي

٢ – حدود الدول المجاورة الاخرى ، عام ١٩٣٨

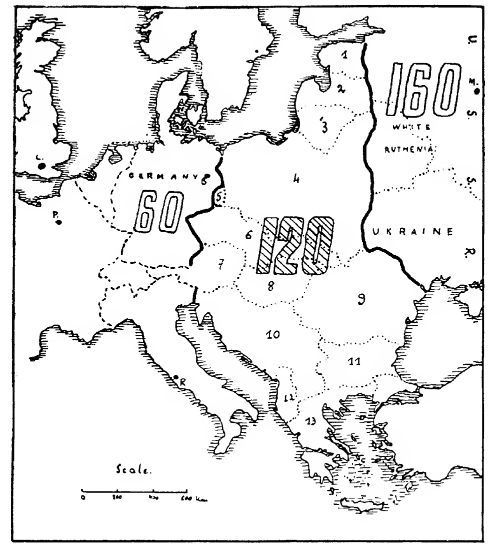
٣ – خط « لنين » كما اقترح وضعه عام ١٩٢٠ حدودا لبولونيا الشرقية

٤ – خط « كيرزون » كما اقترح وضعه عام ١٩٢٠ أثناء الحرب التي قامت اذذاك بين بولونيا والاتحاد السوفياتي تحديدا لمناطقها وهذا الخط يتفق في مجموعه بالخط الذي اتفق على وضعه ريبنتروب – مولوطوف عندما دبرا الاعتداء على بولونيا عام ١٩٣٩ وقد فرض على بولونيا فرضا في مؤتمر القرم ١٩٤٥

٥ – توسيع نطاق خط كيرزون – ريبنتروب – مولوتوف الى بروسيا الشرقية ، كما اقترحه الاتحاد السوفياتي في مؤتمر بوتسدام ، ١٩٤٥ .

٦ – الحدود الغربية الحالية بين بولونيا والمانيا .





اوروبة الوسطى

تعود فكرة انشاء اتحاد من دول اوروبة الوسطى الى الاستاذ بيتر جوردان (لنـدن) في كتابه المعنون : « اتحاد اوربة الوسطى » — يدخل في هـذا الاتحاد : ١ — استونيا — ٢ — اتونيا — ٣ — ليتوانيا — ٤ — بولونيـا • —منطقةسلافيلوزاس —٦—تشيكوسلوفاكيا — ٧ — النمسا —٨—المجر — ٩ — رومانيا —١٠— يوغوسلافيا — ١١ — بلغاريا — ١٢ البانيا — ١٣ — اليونان — ان الارقام ٦٠ — ١٢٠ — ١٦٠ تشير الى عدد الملايين من السكان في كل من المانيا ، واتحاد اوروبة الوسطى ، والاتحاد السوفياتي .



بيان الالواح والخرائط

ص

يرمز الرسم الموجود على الصفحة الاولى من الغلاف الى شعار الجمهورية البولونية في القرن السابع عشر .

ويرمز الرسم الموجود على الصفحة الثانية من الغلاف الى شعار المقاومة الحالية .



اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٤	٢٢	اقطرا	اقطار
٣١	١٩	غنيزنو	غنيزنو
٤٣	١٥	البولمونية	البولونية
٤٣	٢٤	كلاْ	كلاً
٤٣	٢	Zartoriski	Czartoryski
٥٠	٢٨	.ي	الذي
٥٩	٢٠	المعين	المعلن
٧٠	١٢	لذكية	الذكية
٧٠	٢٥	لاشعاع	الاشعاع
٧٢	١١	بينهما	بينها
٧٣	٥	تسميم	وتسميم
٧٣	٢٨	اجتاذهم	اجتيازهم
٧٧	١٤	١١٣٨	١٠٣٨
٧٨	١	افنى	اثنى
٧٨	١٧	الذي	والذي
٧٨	٢٨	ب	تهب
٧٩	٥	اقوعد	قواعد
٨٠	٣	يتعهدد	يتعهد
٨٠	٢٨	قفت	فوقفت
١١١	٤	اليجادة	التجارة
١٢٨	٣	١٩ ٤	١٩١٤

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٤٠	٨	كالوفتش	كارلوفتش
١٤٠	٧	**Brukner**	**Bruckner**
١٥٢	١٨	**Nikhalski**	**Michalski**
»	»	**Loutoslowski**	**Lutoslawski**
»	١١	**Brojozowski**	**Brzozowski**
١٥٣	٤	**Cicerkowski**	**Cieszkowski**
١٥٤	٢٧	**Moukhilinsk**	**Muchlinski**
١٥٦	١٤	السي٠	الشيء
١٦٠	٧	**Czartorysk**	**Czartoryski**
١٥٦	١١	**Switostanski**	**Swietoslawski**
١٨٥	٧	قومية	قومية
١٨٦	٦	ناصبت	ناصب
١٨٨	٧	ستئنياف	استئناف
١٨٩	٢٣	وعدت	وعد
٢٠٠	٤	فيتون	فيتوس
٢٠١	١٠	الاقساك	الاستمساك
٢٠٢	٢٥	الاضطهاضات	الاضطهادات
٢٠٣	١٠	هل	حل
٢٠٣	٢٧	بالعوة	بالعود
٢٠٤	١	حركة دقراطية	حرة ديمقراطية
٢٩٤	٢٢	انكهترة	انكلترة
٢٠٨	١٩	انيع	اينع
٢١٢	٥	**Abernon**	**d'Abernon**
٢١٢	٥	**(Vicout)**	**(Viscout)**
٣٧	رسم	جان سوبيسكي	تاده كوشتيسكو
٥٢	رسم	الاوبرية الملكية	الاوبرا
٦٨	رسم	فيلنو– لفوف : كارتدائيةفيلنو	كاتدرائية فيلنو

فهرسة المواد